الفتوحات الإسلامية في عهد الراشدين



الأستاذ

بدر نبيل ملحم

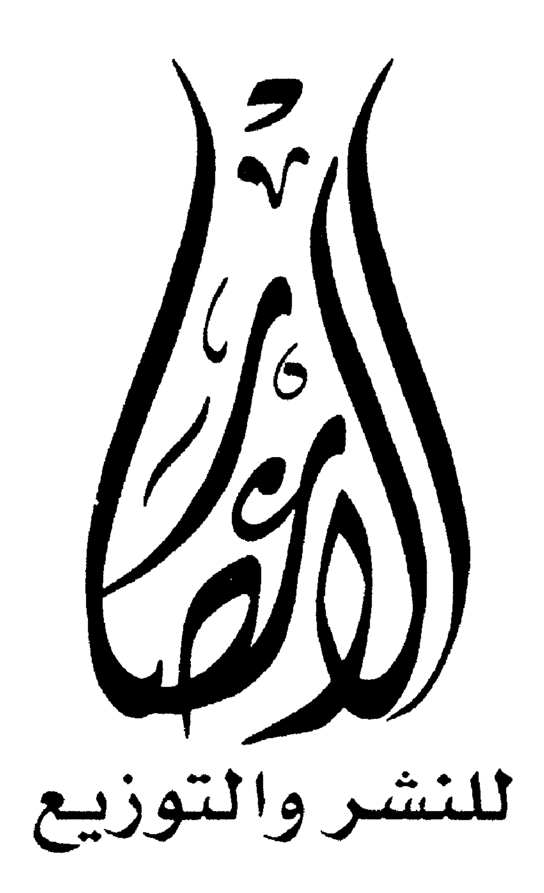
كلية الخوارزمي – الإمارات

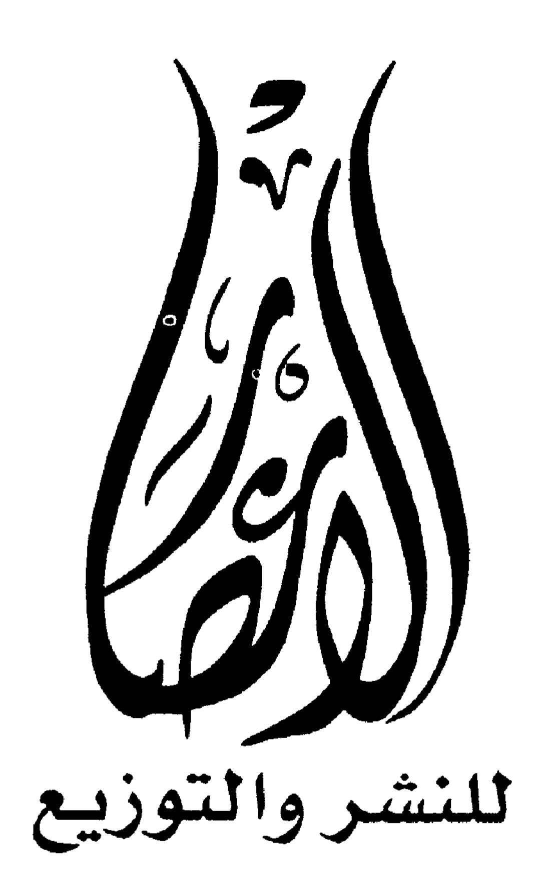


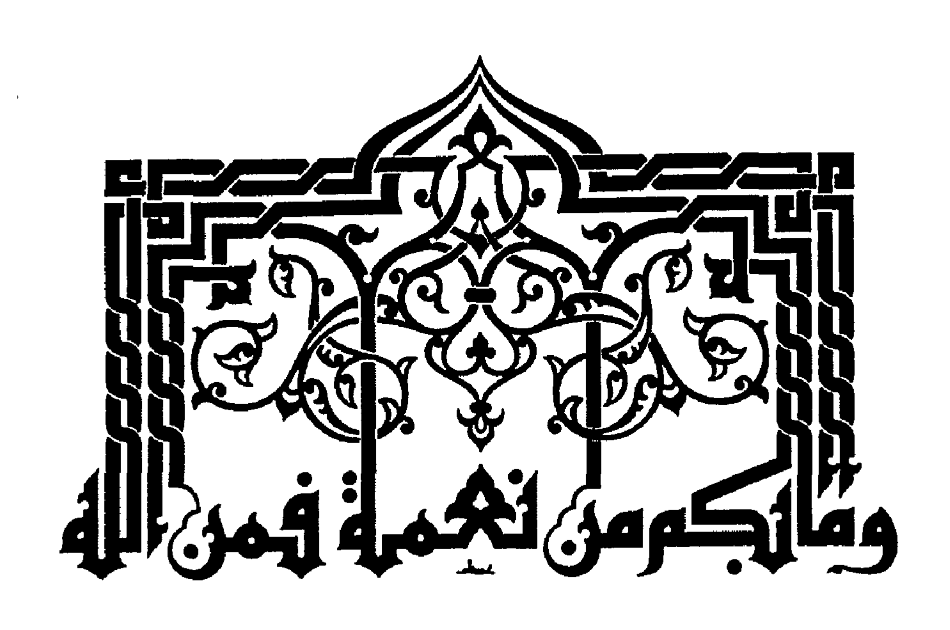


حيث لا إحتكار للمعرفة

www.books4arab.com


للنشر والتوزيع


للنشر والتوزيع



الفتوحات الإسلامية
في عهد الراشدين

الفتوحات الإسلامية في عهد الراشدين

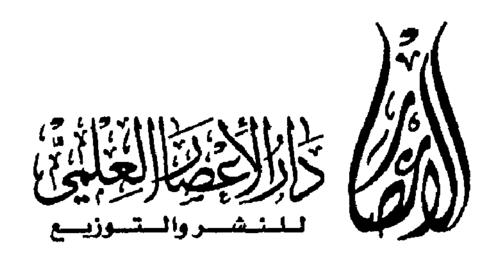
الأستاذ

بدر نبيل ملحم

كلية الخوارزمي - الإمارات

الطبعة الأولى

2015م - 1436هـ



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2014/7/3432)

956.03

إبراهيم، بدر نبيل

الفتوحات الإسلامية في عهد الراشدين / بدر نبيل إبراهيم.- عمان: دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، 2014

( ) ص

ر.أ. : 2014/7/3432

الواصفات: /الفتوحات الإسلامية//التاريخ الإسلامي/

• يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

جميع حقوق الطبع محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر

عمان – الأردن

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

الطبعة العربية الأولى

2015م-1436هـ



الأردن – عمان – وسط البلد – شارع الملك حسين – مجمع الفحيص التجاري

هاتف: 96264646208+ فاكس: 96264646470+

الأردن – عمان – مرج الحمام – شارع الكنيسة – مقابل كلية القدس

هاتف: 96265713906+ فاكس: 96265713907+

جوال: 00962 – 797896091

info@al-esar.com – www.al-esar.com



ISBN 978-9957-98-030-6 (ردمك)

إهداء

لإخوتي وأخواتي

لمعلمي وأساتذتي

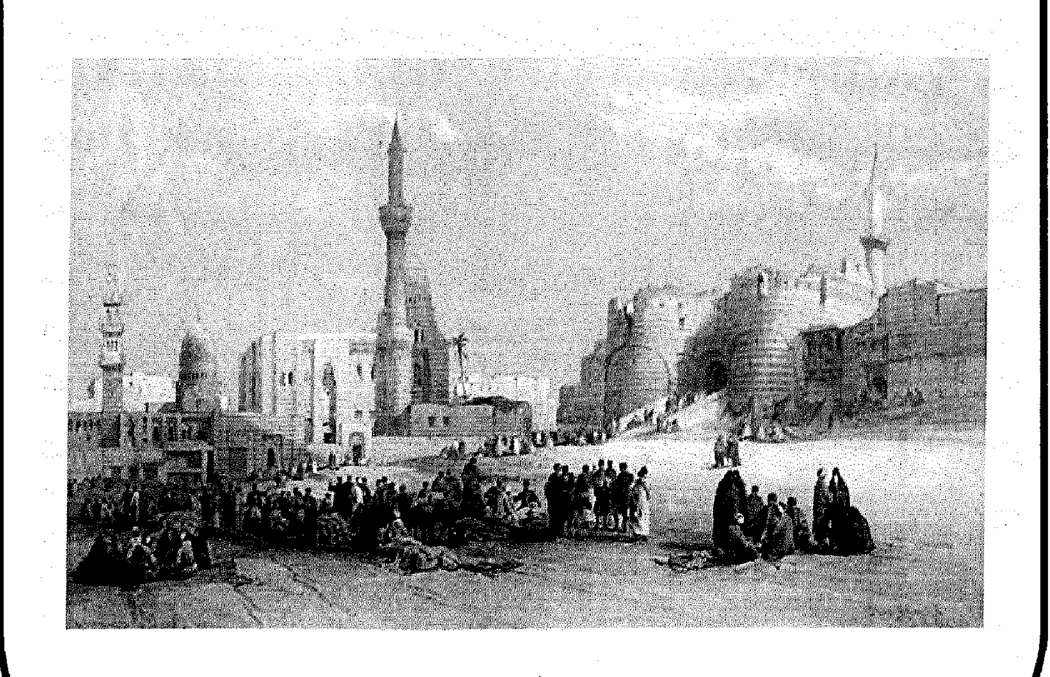
و لكل من يبحث عن الحقيقة والعلم والنور

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول

الخلافة الإسلامية



الخلافة الإسلامية

لقد احدث موت الرسول أزمة سياسية حادة بين المسلمين، وذلك لأن الرسول لم يشير الى طريقة يتم فيها انتخاب الخليفة من بعده، كما إن القران الكريم والحديث النبوي لم يعينا تلك الطريقة.

معنى الخلافة:

الخلافة من مصدر الفعل "خلف"، أي جاء بعد. فيقال خلفه خلافة كان خليفته وبقي بعده. والخليفة هو بمثابة السلطان الاعظم. وصاحب اعلى مرتبة في الدولة الاسلامية يقابله الامبراطور او القيصر لدى الممالك والامبراطوريات في اوروبا. وكسرى في بلاد الفرس والجمع خلائف او خلفاء.

والجمع خلفاء فالخلافة موضوعة في الاصل لكون الشخص خلفا لاحد. ومن ثم سمي من يخلف الرسولﷺ في اجراء الاحكام الشرعية "خليفة" والخلافة في الاصطلاح هي رئاسة عامة في امور الدين والدنيا نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم. ويسمى ايضاً "اماما" ولهذا تعرف الخلافة "بالامامة الكبرى".

ان مكانة الخليفة من الامة كمكانة الرسولﷺ من المؤمنين له عليهم الولاية العامة والطاعة التامة وله حق القيام على دينهم فيقيم فيهم القوانين والشرائع كما تفرضه الشريعة.

ويقول الماوردي: "الخلافة تنوب عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا".

اما ابن خلدون فيقول "والخلافة هي حمل الكافة على مقتدى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها. اذ ان احوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع الى اعتبارها بمصالح الاخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا".

وتقوم الخلافة على وحدة العالم الإسلامي، وهذا ما يميزها عن سائر أنظمة الحكم المتعارف عليها.

وأبو بكر الصديق هو أول خليفة في الإسلام، لأنه أول من خلف الرسول ﷺ.

ظهور مؤسسة الخلافة:

كما ذكرنا فإن موت الرسول ﷺ أحدث نقاش حاد بين المسلمين وقد برز هذا الخلاف بين عدة تيارات وفئات التي طالبت بحق الخلافة لنفسها.

التيار الأول: المهاجرين أراد حصر الخلافة في قريش وعلى رأس هذا التيار كان ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وبعض المهاجرين.

والتيار الثاني: الانصار هو ذلك التيار الذي أعطى حق الخلافة لجميع المسلمين. هذا التيار بدأ بالأنصار، وتبنته فيما بعد فرقة الخوارج التي انشقت عن صفوف جيش علي في موقعه صفين.

التيار الثالث: ال البيت هو التيار الذي أراد تخصيص الخلافة لأقرباء الرسول ﷺ من ال هاشم.

ووقف على رأس هذا التيار علي بن ابي طالب باعتباره ابن عم الرسول ﷺ. وفيما بعد تبنى هذا التيار اتباع علي الذين يسموا الشيعه.

اما بالنسبة لادعائات كل تيار بالنسبة لحقهم بالخلافة فكانت:

ادعاءات الانصار:

1. نصروا الرسولﷺ واصحابه وساعدوه وقت الشدة واووهم في المدينة.
2. لهم سابقة في الدين الاسلامي، وفضيلة في الاسلام.
3. دافعوا عن الرسولﷺ واتباعه ضد الكفار وشهدوا معه المواقع كلها.
4. توفي الرسولﷺ وهو راض عنهم.

ادعاءات المهاجرين:

1. لهم سابقة في الاسلام.
2. ما تحملوه بسبب الهجرة وبذلهم الغالي والرخيص من اجل انجاح الدعوة الى درجة التخلي عن بيوتهم واملاكهم في مكة.
3. الصبر مع الرسولﷺ على شدة اذى قومهم به.
4. شهدوا المواقع كلها مع الرسولﷺ.

أما بالنسبه لإنتخاب الخليفة فظهرت اربع طرق اساسية خلال العصور الاسلامية:

أ. الطريقة الإستشارية – الإختيارية. (ابو بكر الصديق):

وهي تلك الطريقة التي انتخب فيها الخليفة الأول أبو بكر الصديق في بيعة السقيفة فبعد وفاة الرسولﷺ وانشغال المسلمين في تشييعه علم عن اجتماع للانصار في سقيفة بني ساعدة وكاد المجتمعون ان يعينوا مرشحهم سعد بن عبادة (سيد الخزرج). فاسرع ابو بكر الصديق وعثمان وعمر بن الخطاب وابو عبيده عامر بن الجراح الى السقيفة. وهناك دار نقاش حول دور المهاجرين في دعم الدعوة الاسلامية فاقترح ابو بكر الصديق مبايعة عمر بن الخطاب فقام عمر وبايع ابو بكر ومن ثم بايعه ايضا ابو عبيده وباقي المجتمعين وسميت هذه البيعة بالبيعة بالصغرى. او (بيعة السقيفه) حيث تخلف عن مبايعة ابو بكر طلحة والزبير وعلي

بـن أبـي طالـب لانشغالهم بغسـل جثـة الرسـول. وفي اليوم التـالي يجلـس أبـو بكـر في مسجد الرسـول في المدينـة كخليفـة للرسـول ويلقـي خطبـة الخلافـة. وعنـدها قامـت الوفود بمبايعته ومنهم طلحة والزبير وهـذه البيعـة سميت بالبيعـة الكبرى أمـا علـي بـن ابـي طالـب فقـد تخلـف عـن مبايعتـه لمـدة سـتة أشـهر حتـى وفـاة زوجتـه فاطمـة الزهـراء.

لو نظرنا الى طريقة انتخاب أبـو بكـر الصـديق نلاحـظ شـيء مـن التشـابه في انتخاب زعماء القبائل في الجاهلية حيث كان أبو بكر الصديق أكبر الصحابة سناً ويتمتـع بالـذكاء والحكمـة كـذلك كـان غـني حيـث أصـرف كـثير مـن أموالـه في سبيل الدعوة الاسلامية.

اما على الدوافع التي كانت من وراء انتخاب الخليفة أبو بكر:

1. أنه كان من الاولين في الاسلام.
2. كان صديق الرسولﷺ.
3. هاجر مع الرسولﷺ الى المدينة.
4. كان امام المسلمين عند غياب الرسولﷺ.

بعد انتخـاب أبو بكـر الصديق قام بالقـاء خطبتـه الـتي ميـزت سياسـته الـتي ظهر فيها تواضع أبو بكر وتحقيقه للعدالة الاجتماعية وكذالك تمسكه بالشـريعة الاسلامية والتركيز على الصدق والامانـة في علاقـة الافـراد والـزعيم كـذلك حـث المسلمين على الجهاد الديني كوسيلة لنشر الدعوة الاسلامية.

ب. طريقة العهد(عمر بن الخطاب):

نقصد بالعهد ان يعهد الخليفة القائم بالخلافة قبـل وفاتـه الى رجـل معـين وأول من فعل ذلك كان أبو بكر الصديق وهو على فراش الموت حيث عهـد بالخلافـة لعمر بن الخطاب.

الاسباب لاتباع هذه الطريقة:

- خوف ابو بكر من حصول فتنة بين المسلمين حول هذا المنصب كما حدث بالسقيفة فتختلف كلمتهم.
- في الفتره التي كانت جيوشهم تقوم بالفتوحات في بلاد الهلال الخصيب وتقاتل الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية.

لم ينفرد ابو بكر بقرارة هذا بل استشار كبار الصحابة وسموا باهل الاختيار او اهل الحل والعقد.

وقد املى ابو بكر كتاب العهد على عثمان بن عفان حيث برزت فيه الاسس التالية:

- ترشيح الخليفة القائم.
- استشارة اهل الحل والعقد.
- وموافقة عامة المسلمين ورضاهم على ما اتفق عليه اهل الحل والعقد.

ج. طريقة الشورى: (عثمان بن عفان):

هذه الطريقة استعملها عمر بن الخطاب في إنتخاب الخليفة الثالث عثمان بن عفان. وهذه الطريقة هي طريقة ديمقراطية في إنتخاب الخليفة لأنها تكون بعد التشاور مع كبار الصحابة.

وقد سؤل عمر بن الخطاب وهو على فراش الموت عن خليفة المسلمين القادم فقال لو ان ابي عبيدة بن الجراح على قيد الحياة لاخترته ولكنه كان قد استشهد في طاعون عمواس. فقام عمر بن الخطاب باختيار ستة من المبشرين بالجنة وهم:

علي بن ابي طالب، عثمان بن عفان، عبد الرحمان بن عوف، سعد بن ابي وقاس. طلحه والزبير بن العوام. ان الانظار كانت تدور حول علي وعثمان في

الخلافة فطلب عمر بن الخطاب من ابنه عبدالله ان يقف مع احد الكفتين اذا تساووا بشرط الا يرشح نفسه للخلافة وبعد التشاور وقع الاختيار على عثمان بن عفان.

د. البيعة: (علي بن ابي طالب):

وكانت هذه هي طريقة اختيار الخليفة علي بن ابي طالب.

البيعة كما ذكرنا نقصد فيها الطاعة والموافقة من قبل المسلمين لشخص معين الذي نسميه خليفة الرسولﷺ. وقد كانت اول بيعة في الاسلام هي مبايعة ابو بكر الصديق والمبايعة تكون عادةً من قبل زعماء القبائل وتكون عن طريق المصافحة او القسم كتاكيد للطاعة، ان البيعة مهمة جداً في استقرار نظام الحكم. في العصر الأموي مثلا كانت البيعة تستعمل قبل تولي الخليفة الجديد للحكم. وكانت اما بوسائل التخويف او الترغيب. مثال على ذلك مبايعة المسلمين ليزيد بن معاوية اثناء خلافة معاوية نفسه.

وفي العصر العباسي اصبحت البيعة تأخذ الطابع الفارسي والبيزنطي حيث كان الخليفة يجلس في قصره، وليس بالمسجد كما ذكرنا سابقاً وتقوم الناس بمبايعته عن طريق تقبيل اليد او الرجل او الارض في حفل يحضره كبار المسؤولين في الدولة.

ان البيعة كانت مهمة جداً. نلاحظ ذلك من خلال الفتنة التي كانت في زمن علي بن ابي طالب بسبب رفض معاويه مبايعته والنتيجة كانت موقعة صفين وموقعة الجمل.

ه. طريقة التوريث: (يزيد بن معاوية):

أ. العهد الاموي:

تاثير الاعاجم على الدولة الاموية في فترة معاوية لاتباع طريقة التوريث:

ظهرت طريقة التوريث في العصر الاموي. واول من اتبعها هو معاوية مقلدا بذلك النظم الفارسية والبيزنطية. وقد اثر عنه انه قال: "انا اول الملوك"، ولهذا اطلق خصوم بني امية عليهم لقب الملوك لانهم يحملون صفة الاستبداد والطغيان ومن القاب حكام الاعاجم الملوك.

تبنى طريقة التوريث على يد معاوية:

شعر معاوية ان التنافس على الحكم قد فرق كلمة المسلمين لذلك فقد عهد بالخلافة الى ابنه يزيد وقد استعمل بمايعته جميع اساليب الترغيب والترهيب وكل ما اوتي من حنكة سياسية، وبذلك قضى معاوية على نظام الشروى الذي كان اساس انتخاب الخلفاء الراشدين.

وهكذا دار صراع بين ثلاثة مبادئ هي:

1. المبدا الاسلامي الذي يعد السلطة ملكا الاهيا لا بشريا ولذلك لايمكن ان يورثها الخليفة من شاء بل ان الخلافة يجب ان يشغلها اصلح المسلمين.
2. المبدا القبلي الذي يختار اقدر افراد القبيلة وافضلهم.
3. مبدا الوراثة من الاب الى الابن.

ب. العهد العباسي:

مساوئ اتباع طريقة التوريث والمبالغة بها:

1. سار العباسيون على مبدا الوراثة حتى انهم بالغوا في ذلك في تولية عهدهم اثنين بل ثلاثة. وهكذا انقسم رجال الدولة بين ولاة العهد كل يناصر صاحبه.
2. وهكذا كثرت الدسائس والمؤامرات التي حيكت في بلاط الخلافاء، ثم تدخلت النساء في تولية العهد. فالخيزران زوجة الخليفة المهدي وابنها الهادي، استمرت في التدخل في شؤون الدولة السياسية والادارية. وقد قتلت ابنها عندما منعها من التدخل.

3. قسم هارون الرشيد الدولة بين اولاده الثلاثة: الامين، المامون، والمعتصم وعهد بالخلافة الى الامين ثم المامون ثم المعتصم. الا ان حروبا اهلية نشات بين الامين والمامون لان الامين حاول تعين ابنه خليفة من بعده. لذلك قرار هارون الرشيد السياسي بتقسيم الدولة بين اولاده مما ولد الحروب الاهلية التي دارت بين الاخوين.

تلخيص: التغير الذي حصل على طريقة اختيار الخليفة في العهدين الاموي والعباسي:

التغير الاساسي في العصرين مقارنة مع العصر الراشدي هو اتباع الحكم الوراثي، والملك الاستبدادي بدلا من التوجه الاستشاري الذي معمولا به في السابق:

العصر الراشدي: لقد كان نظام الشورى اساساً لانتخاب كل خليفة من الخلفاء الراشدين.

العصر الاموي: تحولت الخلافة لتصبح بقوة السيف والتسلط. ولما ولى معاوية ابنه يزيد العهد بدات طريقة التوريث. وقد اثارت طريقة التوريث مشاكل ونزاعات عديدة وادت الى سقوط الدولة الاموية.

العصر العباسي: اتبع العباسيون نفس الاسلوبفي التوريث. بل والتوريث لاكثر من واحد، واخذت العناصر الاجنبية تلعب دورا في تشكيل الحكم وهذا التدخل مع ازدياد نفوذ الموالي في شؤون الدولة العباسية قد جعل من العرب عنصراً جانبياً ضعيفاً فقد قدرته على ادارة الحكم والسلطة.

تاثير هذا التغير على مكانة الخليفة بين المسلمين:

العصر الراشدي:

راينا كيف كان الخليفة في الفتره الراشدية رجلا بسيطا ومتواضعا وقريبا من الشعب ولم يعتبر نفسه غريبا او متفوقا عليهم من حيث منصبه، ولم يقم حاجزا او حاجبا بينه وبين الرعية.

اما في العصرين الاموي والعباسي:

- فنلاحظ ان اسلوب التوريث قد ادخل الخلفاء في صراعات داخلية فيما بينهم وبين النساء في القصر والورثة وتمثلت قمة الصراع في خلافة الاخوين الامين والمامون بسبب زوجات هارون الرشيد: الفارسية والتركية والعربية. وكل واحدة تريد الحكم لولدها.
- من جهة اخرى تحولت انظمة الخلافة وكل انظمة الحكم تابعة له تحولت لتكون تحت سيطرة الخليفة وعائلته. ان التغيير في منصب الخلافة قد ادى الى حدوث ضعف في الجهاز الاداري للدولة.

البيعة:

البيعة كما ذكرنا نقصد فيها الطاعة والموافقة من قبل المسلمين لشخص معين الذي نسميه خليفة الرسول. وقد كانت اول بيعة في الاسلام هي مبايعة ابو بكر الصديق والمبايعة تكون عادةً من قبل زعماء القبائل وتكون عن طريق المصافحة او القسم كتاكيد للطاعة، ان البيعة مهمة جداً في استقرار نظام الحكم.

في العصر الأموي مثلا كانت البيعة تستعمل قبل تولي الخليفة الجديد للحكم. وكانت اما بوسائل التخويف او الترغيب. مثال على ذلك مبايعة المسلمين ليزيد بن معاوية اثناء خلافة معاوية نفسه.

وفي العصر العباسي اصبحت البيعة تأخذ الطابع الفارسي والبيزنطي حيث كان الخليفة يجلس في قصره، وليس بالمسجد كما ذكرنا سابقاً وتقوم الناس بمبايعته عن طريق تقبيل اليد او الرجل او الارض في حفل يحضره كبار المسؤولين في الدولة.

ان البيعة كانت مهمة جداً. نلاحظ ذلك من خلال الفتنة التي كانت في زمن علي بن ابي طالب بسبب رفض معاويه مبايعته والنتيجة كانت موقعة صفين وموقعة الجمل.

القاب الخليفة:

كان للخليفة القاب مختلفة أول لهذه الالقاب كان كلمة خليفة وثاني هذه الالقاب كان امير المؤمنين الذي لقب فيه عمر بن الخطاب واللقب الثالث كان الامام الذي كان يحمل صيغة دينية وأول من لقب بذلك كان علي بن ابي طالب.

ازداد استعمال الألقاب في العصر العباسي مثل: السفاح هذا اللقب أُعْطِيَ لأبو العباس عبدالله بن محمد، أول الخلفاء العباسيين، وذلك لكثرة ما سفك من دماء الأمويين. وهناك القاب أخرى مثل المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد. . .

ان لعدم استعمال الخلفاء الراشدين والأمويين لهذه الألقاب يعود الى ان الحياة الاجتماعية والسياسية في ذلك العصر كانت بسيطة وغير معقدة.

مميزات الخلافة الاسلامية في عصورها المختلفة:

مميزات الخلافة الراشدية:

كانت حياة العرب في صدر الاسلام بسيطة، ساذجة لقربهم من عهد النبوة و عدم اختلاطهم الكبير بسكان البلاد المجاورة، فكيف انعكس ذلك كله على منصب الخلافة؟

1. اختيار الخلفاء الراشدين يتماشى مع الشورى الذي جاء بها القران و اشارت اليه السنة النبوية وخضعت تصرفات الخلفاء للشورى، ولا اثر فيه للوراثة. لقد كان النظام الشورى اساساً لانتخاب كل خليفة من الخلفاء الراشدين.

(للتوسع: راجع باختصار طرق اختيار الخلفاء الراشدين: طريقة الاختيار طريقة الشورى وطريقة العهد).

2. لم يحاول أي خليفة ان يجعل الخلافة وراثية، حتى ان عمر لما راى ان يكون ابنه عبد الله مع الستة الذين جعل الخلافة لواحد منهم، لم يجعل له غيرالمشورة فقط وليس له من الامر شيء. (للتوسع: راجع طريقة اختيار عثمان بن عفان – طريقة الشورى).
3. كان الخليفة بعد انتخابه يخطب في الناس مبنيا اسلوبه في الحكم وسياسته التي قرر السير عليها وهذا ما فعله ابو بكر عندما تسلم الحكم القى خطبته في المسلمين شارحا خلالها اسس السياسة التي سيتبعها في الامة.
4. لم يكن الخليفة مقيداً براي من يستشيرهم، لكنه كان ينزل عند رأي المسلمين في كل امر ليس فيه نص من كتاب او سنة، و هذا ما فعله ابو بكر في طريقة الشورى عندما استشار اهل الحل والعقد لاختيارعم بن خطاب وعمر بن الخطاب بطريقة الشورى عندما عين ستة اشخاص مبشرون بالجنة لاختيار خليفة، اذ اعتمدوا الخلفاء الراشدين على المشورى واهل الاختيار، خاصة اذا لم يكن حلاً لامر ما في القران او السنة النبوية.

5. كانت سلطة الخليفة مقيدة بالعمل بما في كتاب الله وسنة رسوله و يرضى الأمة. و بذلك كانت الخلافة تشبه الملكية المقيدة.
6. إن بقاء الخليفة في منصبه غير مقيدة بمدة محدودة كما هو الحال في منصب رئيس الجمهورية في أيامنا.

تلخيص:

- كانت الخلافة في العهد الراشدي حكومة ديمقراطية، فكان الخليفة يعتبر نفسه واحداً من المسلمين ويجلس معهم ويختلط بهم ويستطيع أي فرد إن يتحدث إليه في كل ما يريد.
- كانت حياته بسيطة بعيدة عن ابهة الملك ومراسيمه.
- كان يستشير كبار الصحابة في أمور هامة.
- كانت حياته مثل حياة غيره من المسلمين. ولا يقطع رأيا دون استشارة كبار الصحابة. أي ان الخليفة يعتبر نفسه واحد من المسلمين ويختلط مع كل فرد ويجلس مع كل فرد وحياته مبنية على البساطه بعيدة عن حياة الترف والتبذير والتكبر على عامة الناس.

مميزات الخلافة الاموية:

1. اصبحت الخلافة اقرب الى السياسة منها الى الدين واستمالت الى الملكية.

اصبح الخليفة يعين ولي عهده وياخذ البيعه له من وجهاء وكبار القواد في حضرته كما كانت تؤخذ البيعة في الامصار بحضور الوالي نيابة عن الخليفة. فكان هذا النظام يجمع ما بين مساوئ الحكم المطلق في ان واحد دون استفادة من حسنات أي منها، فحالما تؤخذ البيعة كانت موافقة الشعب سواء حصل عليها بطريقة الاغتصاب او التملق او الرشوة تضفي صبغة شرعية على الانتخاب.

2. الابتعاد عن البساطة والسذاجة: التي تحلت فيها خلافة الراشدين واخذ الخلفاء الامويين يظهرون بمظاهر الابهة التي تمتع الملوك والقياصرة، واول من استحدثها كان معاوية بن ابي سفيان:

أ. اتخاذ السرير للملك.

ب. اقامة شرطة لحراسته مع العلم انه لم يكن للخلفاء الراشدين حرس خاص.

ج. اتخاذ المقصورة في المسجد فاصبح يصلي وحده خوفاً من قتله، فاصبح يصلي منفرداً عن جمهور المصلين فاذا سجد قام الحرس على راسه رافعي السيوف.

د. احتجابه عن الرعية اذ وضع على باب قصره موظفا سمي الحاجب ياذن بالدخول لمن يرغب فيه الخليفه. فقد انشا معاوية وظيفة الحاجب في الدولة الاموية مقلداً بذلك الاعاجم، وذلك بسبب محاولة قتله، ولاضفاء مظاهر الابهة والابتعاد عن الرعية (للتوسع: راجع الحجابة في العصر الاموي).

بالاضافة الى ذلك:

- اعتبر الامويين خلافتهم مقدسة ومصونه من الله ورسوله وانها وسيلة لابراز الحق واقرار العدالة وتطبيق الشريعة ورعاية المصالح العامة للناس.
- ويتبع هذا ان طاعة الخليفة الاموي معناها طاعة الله ورسوله وان الثورة على الخليفة معناها معصيت الله ورسوله.

مميزات الخلافة العباسية:

أ. نظرية التفويض الالهي:

لقد طرأ تغيير جوهري على معنى الخلافة، خلال الخلافة العباسية، اذا احدث خلفاءالعباسيين بفعل تاثير النظم الفارسية "نظرية التفويض الالهي":

معناها/ مضمونها:

أي ان الله يختار للحكم رجلا يتولى امر الدولة طيلة حياته ويعقبه في الحكم رجل من اسرته ثم يلية اخر وهكذا بحيث لا يخرج الملك عن نطاق الاسرة واذا تولى الملك شخص فصله الى البيت المالك يعتبر مغتصبا لحق غيره.

تغيرت سلطاتها واصبح نظام الحكم مماثلا الى حد ما لنظام الحكم الفارسي من الوجوهات التالية:

الاستبداد بالسلطة والتسلط على ارواح الرعية. وذلك لان الحكم اصبح ملكيا وذلك تمشيا بالتقاليد والعادات الفارسية، فقد استبد الخليفة برعيته وابتعدوا كل البعد عن نظام الشورى والتقيد بالشريعة الاسلامية.

ب. الاحتجاب عن الرعية. اتخذوا العباسيين وزادوا في منع الناس عن ملاقاة الخليفة الا في الامور الهامة وهذا يسمى بالحجاب الثاني وصار بين الخليفة والناس داران. دار عامة ودار خاصة. وقد تطرقوا عند انحطاط الدولة الى حجاب ثالث لحجبه عن الخاصة.

ج. اتخاذ الوزير. فقدد اصبحت الوزراة زمن العباسيين ظاهرة ثابتة المعالم وتمهدت قواعدها وقوانينها واصبحت رسمية، وقد اتخذ الخلفاء العباسيين وزراء لهم اثناء حكمهم. ومع تطور الوزارة نشا نوعين من الوزارة: وزارة التفويض ووزارة التنفيذ.

د. احاطة شخص الخليفة بهالة خرافية من القداسة والزعم له بالجبروت المفتعل.

ه. ظهور الازياء الفارسية والاحتفال بالاعياد الفارسية القديمة مثل: النيروز والمهرجان.

و. اتباع حياة البلاط الفارسي كاظهار الابهة والعظمة وانحناء الداخل على الخليفة وتقبيل الارض بين يديه وردائه اذا اقترب منه.

ز. التوسل ببردة الرسول لتاييد نظرية التفويض الالهي اذا كان الخليفة يلبسها عند تولية الامر، واثناء الاحتفالات الدينية باعتباره نائبا عنه ولنشر هذه النظرية بين الامه، قرب الخلفاء اليهم العلماء ورجال الدين حتى اصبح لهم شان كبير في الحياة السياسية للدولة.

ح. السير على النظام تولية العهد لاكثر من واحد والمبالغة في هذه البدعة المؤسفة مما كان له ابلغ الاثر على انهيار نظام الخلافة وتحطيم كيان الدولة السياسي والجغرافي. (انظر حادثة تولية الرشيد لاولاده الثلاثة)، مما كان له بالغ الاثر في انهيار نظام الخلافة وبالتالي تحطيم لكيان الدولة السياسي والجغرافي.

الفرق الدينية في الإسلام وموقفها من مسالة الخلافة:

1. السنة: المهاجرين والانصار:

أ. الانصار:

هم سكان المدينة من الاوس والخزرج. بعد وفاة الرسول اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار احدهم خليفة وكان الخزرج قد رشحوا لها زعيمهم سعد بن عبادة.

أما حجتهم في أحقيتهم في الخلافة فكانت:

- انهم نصروا الرسول واصحابه وقت الشدة واووهم في المدينة ودافعوا عنهم ضد مشركي قريش.
- وقد توفي الرسول وهو راض عنهم فهم اولى الناس ان يخلفوه، واعتمدوا على الرسول بانه لم يميز مسلم على اخر الا بالتقوى ولا قبيلة عن اخرى.

ب. المهاجرين:

اما المهاجرون فهم المسلمون الذين هاجروا من مكة الى المدينة.

رأيهم في الخلافة:

فقد اعترض زعماؤهم وهو ابو بكر وابو عبيدة، على جعل الخلافة في الانصار، فالقى ابو بكر خطبة اظهر فيها:

- فضل المهاجرين لسبقهم في الاسلام وما تحملوه بسبب الهجرة.
- ثم اثنى على الأنصار لإيوائهم إخوانهم المهاجرين.

ومما احتج به المهاجرين في احقيتهم في الخلافة كان:

- ان النبي اوصى بهم خيرا.
- قال الرسول ان الائمة من قريش.
- وان بكر خليفة الرسول على الصلاة، فقد قال الرسول: "مروا ابا بكر فليصل الناس".

وفي النهاية اختاروا ابو بكر وسميت بالبيعة الخاصة او الصغرى لانه لم يبايعه الا قليل ومن ثم البيعة العامه فكانت في المسجد وبايعه الناس.

راى السنة (الانصار والمهاجرين) في مسالة الخلافة:

اعتقدت السنة بان الخلافة يجب ان تكون محصورة في قريش ولكن ليس فقط في بيت اقرباء الرسول ﷺانما ايضا لمن يجدون فيه المكونات الازمة والكفاءة.

وما احتجت به السنة واحقيتهم بالخلافة:

- الرسول من قريش.
- وكان الرسول قد قال الائمة من قريش وذلك يعود الى انهم ازروه وساعدوه.
- بذلوا كل ما في وسعهم لنشر الدعوة الاسلامية في الجزيرة وخارجها.
- حافظوا على تعاليم وتوجيهات الرسول طوال السنين.
- بسبب تضاحيهم وخسارتهم املاكهم ومنازلهم وتفكك عائلاتهم وما تحملوه بسبب الهجرة.

الراي الذي كان سائدا حتى اواخر العصر العباسي:

يتبين لنا الفريق السائد من حيث الحفاظ على الخلافة ومقاليد الحكم هو التيار السني. فالخليفة الاسلامي كان دائما سنيا ويمت بصلة القرابة للرسول او لقبيلة قريش اما الشيعة و الخوارج فلم يصلا الى الخلافة الا لفترات متقطعة ولو

نظرنا الى الخلفاء الراشدين فنرى انهم كلهم من السنة ومن قريش كذلك الخلفاء الامويين فكانوا من قريش ومن السنة ايضا كما ان العباسيين ورغم صلة القرابة بينهم وبين الرسول الا انهم كانوا سنيين ايضا.

2. الشيعة:

من هم؟

الشيعة في اللغة هم الاتباع والانصار. والشيعة هم القائلون ان علي افضل الناس واحقهم بالخلافة واولاده من بعده ومن خالفه في هذا فهو ليس شيعيا.

اختلف الكتاب حول بدا التشيع لعلي فكان هناك اربع اراء:

- يوم مصرع عثمان.
- بعد وفاة الرسولﷺ.
- زمن فتنة طلحة و الزبير في البصرة.

كانت بذرة التشيع في مكة حين امر الرسول ان ينذر عشيرته فجمع بني هاشم و انذرهم وقال من يكون اخي ووراثي من بعدي فاجابه علي فقط. فاعلن الرسول انه اخوه ووراثه ووزيره وخليفته.

نظريتهم في الخلافة: لا يعترفون بصحة خلافة ابو بكر وعمر وعثمان ويعتبرونهم مغتصبون لها.

والخلافة يجب ان تكون في ال البيت وفي سلالة علي ثم اولاده من بعده عن طريق الوراثة. وذلك لان: علي ابن عم الرسولﷺ و صهره واول من امن به من الصبيان. وكما نعلم فان الرسولﷺ لم يكن له اولاد من الذكور واحفاد الرسول الحسن والحسين هم احق الناس بعد علي بجدهم رسول الله وبخلافته.

- اشتهر علي بالاستقامة و الشجاعة و شدة الورع و الحكمة.
- وان الرسول قد عهد بالخلافة من بعده لعلي: وان الخلافة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة، وهي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبي اغافلة ولا تفويضة الى الامة، بل يجب عليه تعيين الامام لهم الذي يكون معصوما من الكبائر والصغائر، وان صلوات الله وسلامة عليه، قد عين عليا خليفة له.

الزيدية – فرقة شيعية:

كانت الزيدية وهم اتباع زيد بن حسن بن علي بن ابي طالب اكثر الشيعة اعتدالا فيرى زيد "جواز أمامه المفضول مع وجود الافضل" أي ان علي افضل من ابو بكر وعمر الا ان بيعتهما صحيحة.

تتلخص نظريتهم في الخلافة – في جعلها بعد زيد من حق كل فاطمي عالم شجاع سخي قادر على القتال في سبيل الحق و يخرج للمطالبة بها من الخلفاء المغتصبين.

وضع الشيعة في العصرين الأموي والعباسي:

- قارع الشيعة الخلفاء الأمويين واعتبروهم مغتصبين للخلافة.
- وفي العصر العباسي ارادت الشيعة مشاركة العباسيين في الحكم لهذا اضطهدهم الخلفاء ونكلوا بهم فاضطرهم ذلك الى اللجوء للعمل السري التقيه والتي تعني كتم السر وستر العقيدة الشيعية والتظاهر بالعقيدة السائدة في البلد اذ ما اكره الشيعي على تغيير معتقده وذلك حرصا على نفسه وعرضه وماله.

3. الخوارج:

من هم؟

يرتبط ظهورهم بقضية التحكيم بين علي ومعاوية اثر موقعة صفين اذ رفضت جماعة من جند علي مبدا التحكيم لانه يعني التشكيك في شريعة خلافته في حين اخلصوا له وحاربوا الى جانبه لانه على حق. وقد خرجوا عليه بعد عودته الى الكوفة لرفضه استمرار القتال، على اثر قضية التحكيم واستجابة علي لضغوط الاكثرية الذين رغبوا في وقف القتال حين رفع جيش معاوية المصاحف على اسنة الرماح. استقر الخوارج في منطقة قرب الكوفة تدعى حروراء فلقبوا بالحرورية وأيضا المحكمة لانهم قالوا "لا حكم لله". وقد حاربهم الخليفة علي في معركة النهراوان.

من اسباب ضعفهم:

- محاربة علي وبطشه بهم.
- ملاحقة ولاة الامويين لهم في كل مكان.
- انقسام الخوارج الى فرق متناحره جاوزت العشرين فرقة كل منها تكفر من عداها: الازارقه – النجدات – الاباضية والصفرية.

وهكذا وصلت احوالهم في القرن السابع الى حاله من الضعف استحال معها ان يواصلوا نشاطهم السياسي بصورة علينة وهكذا اتبعوا اسلوب الدعوة المستورة وتنظيم العمل السري ونقل نشاطهم الى الاطراف بعيدا عن قبضة الخلافة. ومازال فريق منهم يعيش في شبه عزله في جبال ليبيا ووادي الميزاب في صحراء الجزائر.

نظريتهم في الخلافة:

انهم كانوا يقولون بصحة خلافة ابو بكر وعمر وعثمان، ويعتقدون ان الخلافة حق لكل عربي فشرطوا الاسلام والعدل بدل العروبى. هم يقرون بخلافة علي ولكنهم قالوا انه اخطا في قبوله التحكيم وكفروا ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص الحكمين.

اما عن طريقة تعيين الخليفة فقالوا:

أ. ان الخلافة يجب ان تكون باختيار حر من المسلمين.

ب. اذا اختير الامام فلا يصح ان يتنازل او يحكم.

ج. على الخليفة ان يخضع لما امر الله والا كان الخروج عليه حقا وواجبا.

د. ليس من الضروري ان يكون الخليفة من قريش فالخلافة حق بين جميع المسلمين على حد سواء حتى الارقاء و يجوز ان تسند الخلافة الى رجل او امراة بدليل قول الرسول لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى. ولهذا اطلق عليهم لقب "جمهريو الاسلام".

صلاحيات وواجبات الخليفة:

أما بالنسبة لصلاحيات وواجبات الخليفة فنلاحظ بأنها كانت تختلف من عصر الى عصر في بعض الاحيان فنلاحظ بأنهم كانوا يتمتعون بصلاحيات مطلقة وفي بعض الاحيان كان الخليفة مقيد بالقرآن والسُنه ولكن بشكل عام يمكن تلخيصها على النحو التالي.

1. كان على الخليفة حفظ الدين الاسلامي أي الاهتمام بالنواحي الدينية مثل: الزكاة، الصلاه والصوم وتنظيم الحج والدعوة الى الجهاد الديني الذي من شأنه نشر الدين الاسلامي وتقويته في الداخل.

2. اقامة الحدود والقضاء: ونقصد فيها الحكم بالعدل بين المسلمين ومعاقبة الذين يخرجون عن القانون هذه المهمة كانت ملقاه على عاتق الخليفة وبعد إتساع الدولة بدأ يساعده في ذلك أمراته وولاته.
3. الأمن والدفاع: ونقصد فيها أنه على الخليفة أن يهتم في أمور الجيش من ناحية الترتيب ومن ناحية تحصين الحدود كما عليه ان يهتم بتوفير الامن في الداخل عن طريق الشرطة فكان الخليفة الاسلامي هو القائد العام للجيش فهو الذي يعين قادة الجيوش وهو الذي يعزلهم كما كان على الخليفة دفع رواتب للجنود.
4. جباية الضرائب وانفاقها: كان الخليفة كذلك مسؤول عن الناحية المالية حيث يهتم بجباية الضرائب كالزكاة، الخراج، والعشور وغيرها من الضرائب التي سنجدها في موضوع النظام المالي. وكان على الخليفة ان يحدد طُرق صرف هذه الضرائب بالطريقة التي يراها مناسبة.
5. تعيين موظفي الدولة: كانت السلطة بيد الخليفة لتعيين موظفي الدولة ويستطيع عزلهم أيضاً ومع إتساع مساحة الدولة نلاحظ في بعض الاحيان ان الموظفين الكبار مثل الوزراء والولاة والقضاة كانوا يعينون الموظفين الصغار ولكن بشكل عام بامكان الخليفة عزل جميعهم.
6. الاشراف على أعمال الدولة كان من واجبات الخليفة مراقبة أعمال الولاه والموظفين وكانوا يستعينون بالبريد كوسيلة لجمع أخبار عن ولاتهم وعندما استحدث منصب الوزير. بدأ الوزير يقوم بهذه المهام هذه الامور كانت واجبات الخليفة.

أما عن حقوقه فتتلخص في إطاعة الناس له بالمعروف وبمناصرته ومساعدته بما يأمر به كذلك من حقه ان يحصل على راتب لإعالته وإعالة عائلته بشكل معتدل. وكانت الخلافة هي لمدى الحياة او اذا الخليفة استمر يحمل الكفائة في إدارة شؤون الدوله.

1. الوزارة

الوزارة ونشأتها:

الوزارة كلمة مشتقة من:

- الوزر، أي الثقل لان الوزير يحمل أعباء الحكومة عن الملك.
- الأزر، الظهر لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره.
- الوزر، الملجأ والمعتصم لان الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته.

ويرى البعض أن كلمة وزير مشتقة من الأصل الفارسي فيشر والوزارة فارسية الأصل من حيث نشوؤها وتنظيمها.

نشأة الوزارة منذ عهد الرسول وحتى العصر العباسي الثاني:

ما قبل الإسلام:

ليست الوزارة من مستحدثات الإسلام، فقد عرفها بنو إسرائيل والفرس، والمقصود المساعدة والمعاونة والاستشارة.

فقد عرفت لدى معظم الدول المنظمة، فان ملوك ما قبل الإسلام في اليمن والحيرة والشام كانوا يسمون من يؤازرهم أعباء الملك:

- الراهن لأنه مرتهن بالتدبير.
- والزعيم لأنه زعيم بصواب الرأي.
- والكافي لأنه يكفي الملك مهمات الأمور.
- والكامل لأنه المفروض فيه انه كامل الفضائل.

في صدر الإسلام:

الحقيقة أن الآراء حول نشوئها قد تعددت كثيرا فمن المؤرخين من يقول انها نشأت في عهد الرسولﷺ ومنهم من قال انها نشأت في العهد الراشدي.

كان الرسول يشاور أصحابه في الأمور العامة والخاصة ويخص أبا بكر ببعض الامور حتى ان العرب الذين اختلطوا مع الروم والفرس قبل الاسلام عرفوا الاسم عنهم وكانوا يسمو أبا بكر وزير النبي.

زمن الخلفاء الراشدين:

وكذلك كان الحال مع أبي بكر، فقد كان عمر يقوم بالقضاء وتوزيع الزكاة.

عمر بن خطاب:

وكذلك كان شأن عثمان وعلي مع عمر فكان يستعين بهم ويستنير ارائهم. يعهد اليهما القيام بكثير من شؤون الدولة فقد كان علي يقوم بكتابة الرسائل والقضاء بين الناس والنظر في أمور الاسرى وفداء اسرى المسلمين.

زمن الخلفاء الأمويين:

اما في العصر الأموي: نلاحظ بان ألخلافه الاسلاميه تحولت إلى خلافه شبيهه بالانظمة الملكية الوراثية فالعصر الاموي هو عصر تصارع الأحزاب السياسية المتنافسة والمطالبة بالسلطة فالحلفاء الأمويين كانوا بحاجه إلى أشخاص بارزين (مثل دهاة العرب في عهد معاوية كعمر بن العاص). هؤلاء كان عليهم إيجاد الحيل السياسية لتثبيت حكم الخليفة، هؤلاء الأشخاص كانوا ذوي رأس سياسي. وقاموا بالمهام والثقل الملقى على عاتقهم ولكن لم يحظوا بمنصب رسمي كوزير. ولم يرغب الامويين ان يخاطبوا عامله لهم باسم وزير لانها مشتقة المؤازرة. وقالوا ان الخليفة اجل من ان يحتاج الى المؤازرة.

تلخيص: لم يتم الاعتراف بمنصب الوزير في العهد الأموي. يمكن القول أن العرب لم يعرف الوزارة من حيث نشوؤها وتنظيمها وقد ظهرت بشكل رسمي فقط في العصر العباسي إذ انه لم يعلن عن وظيفة رسمية لوزير في عصر الرسول ولا في العصريين الراشدي والأموي.

الوزارة في العصر العباسي الأول:

أصبحت الوزارة زمن العباسيين ظاهرة ثابتة المعالم. وهذا يظهر في قول ابن الطقطقي "الوزارة لم تستمد قواعدها وتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس". وأول وزير في هذا العصر كان ابو سلمة الخلال الذي حصل على لقب وزير.

فان الوزارة لم تتمهد قواعدها وتقرر قوانينها إلا في الدولة العباسية واصبحت كوظيفة رسمية في الدولة العباسية فأصبحت واضحة القواعد واستشارة اصحاب الأراء الصائبة، ولهذا لما ملك العباسيين تقررت الوزارة وسمي الوزير وزيرا وكان قبل ذلك يسمى كاتبا أو مشيرا. وكان أول وزير زمن السفاح أبو سلمى الخلال وفوض الأمور إليه وسلم إليه الدواوين. ثم استوزر أبا الجهم وخالد بن برمك وسلالته من بعده الذين عظم شأنهم واشتدت سطوتهم أيام هارون الرشيد.

الأمثلة:

1. بلغ نفوذ الوزير في عهد الرشيد غايته، فقد أخذ يحيى بن خالد البرمكي وزيرا له وقال له:

- سلمتك أمر الرعية.
- اعزل وعين من أردت.
- أعطاه خاتمه الخاص.
- بيدك الحل والعقد في إدارة الدولة.

2. أ) ثم خلف يحيى جعفر في الوزارة ففي عهده:

- قبض البراكمة على ازمة الحكم وسيطروا على الدخل والخرج وبيت المال.
- وشاركوا الخليفة في الحكم وغلبوه.
- كان هارون الرشيد يطلب البسيط من المال فلا يصل اليه الا عن طريق البراكمة.

ب) الحادثة الثانية تدل على مدى نفوذ جعفر هي ان رجلا من اقرباء الرشيد طلب من جعفر

ثلاث حوائج:

- ان يسد عنه مبلغ من المال.
- أن يزوج ابنه من ابنة الخليفة.
- وتعيين ابنه والي على إحدى الولايات.

وقد نفذ جعفر هذه الأمور في الحال دون استشارة الرشيد واعلمه في اليوم التالي بمى جرى.

الوزارة في العصر العباسي الثاني:

تتناسب سلطة الوزير في هذا العصر تناسبا عكسيا مع النفوذ العسكريين فكلما زادت سيطرة القادة العسكريين واتسع نفوذهم في الإدارة كلما نقصت سلطة الوزير وتقلص نفوذهم، كما ارتبطت سلطة الوزير بمدى قوة وضعف الخليفة.

1. مما زاد ضعف الوزارة في العصر ظهور وظيفة أمير الأمراء التي استحدثها الخليفة الراضي إذ عين أميرا في منصب جديد وفوض إليه تدبير المملكة وبذلك علت مكانتة على حساب مكانة ومرتبة الوزير.
2. كانت سنة 946 أهم سنة في تاريخ الوزارة ففي هذا الوقت دخل بنو بويه بغداد وتحكم أمراؤهم بالسلطة وصاروا يعينون الوزراء وغيرهم من العمال، فصارت الوزارة من جهتهم والأعمال إليهم، وقد احدث البويهيون تعديلا في نظام الوزارة فاتخذ احد أمرائهم وزيرين في أن واحد. مما يدل على سقوط هيبة الوزارة في عهدهم هو ضربهم لوزرائهم.

وقد عانت الوزارة من سياسيتين:

أ. التضمينات: بسبب عجز خزينة الدولة اضطر معه الوزراء إلى تعين شخص ما في منصب أو إقليم على أن يضمن للخزينة مبلغ من المال. وبمرور الزمن أصبحت التضمينات تستغل للحصول على المناصب الحكومية ووصل الأمر إلى أن كان هنالك أشخاصا عرضوا أموالهم مقابل شراء منصب الوزير.

ب. المصادرات: أي الاستيلاء على أموال الوزراء وكتابهم بعد إقصاء الوزيرعن منصبه، حتى أن الوزير كان يفهم تسلمه لمنصب انه ستصادر أمواله عند عزله عن منصبه.

ويعود سبب هذه السياسة إلى:

- فراغ بيت المال لعدم تدفق الواردات من الولايات.
- الحاجة إلى إخماد الثورات.
- أو حتى بهدف الانتقام الشخصي من الوزراء.
- لإسراف الطبقة العسكرية والبلاط.

3. وظلت سلطة ونفوذ الوزير على ما هي من الضعف حتى زمن السلاجقة حين ظهرت وظيفة السلطان التي حازها طغرل بيك السلجوقي التي قضت على ما للوزارة من نفوذ متبق.

تلخيص العوامل التي أثرت على الوزير في هذا العصر:

1. مدى ارتباط الوزير بالمحاور والتكتلات في الدولة.
2. قوة الخليفة وضعفه.
3. نوعية العلاقة بينه وبين الحاشية والحريم في البلاط.
4. الأزمات المالية والإدارية التي كان عليه أن يواجهها في فترة استيزاره.
5. موقف قادة الجيش من الوزير.
6. الاضطرابات والفتن السياسية التي شهدها عهده وطبيعة معالجته لها.

أنواع الوزارة:

انقسمت الوزارة في عهد العباسيين إلى قسمين:

1. وزارة التفويض:

وهي ان يعهد الخليفة بالوزارة الى رجل يفوض اليه النظر في امور الدولة والتصرف في شؤونها دون الرجوع اليه. ولكن يطلعه على ما قد يقرره فيما بعد ولم يبقى للخليفة بعد ذلك الا:

- ولاية العهد.
- وسلطة عزل من يوليهم آل – برمك.

ومثالا على وزارة التفويض هي وزارة آل – برمك.

2. وزارة التنفيذ:

وهـي الـتي تكـون فيهـا مهمـة الـوزير تنفيـذ اوامـر الخليفـة وعـدم التصـرف بشـؤون الدولـة مـن تلقـاء نفسـه بـل كـان يعـرض امـور الدولـة علـى الخليفـة ويتلقـى اوامره فيها.

صلاحيات وزير التنفيذ:

ولم يكـن بهـذا سـوى واسـطة بـين الخليفـة والـولاة ورعيتـه في شـؤون الدولـة. ينفذ ما يأمره به الخليفة وينقل ما استمع اليه من الناس والولاة في شؤون الدولة.

شروط الوزاره المطلوبه بمنصب وزارة التفويض وغير مطلوبة بمنصب وزارة التنفيذ:

1. الحرية: ان يعمل من منطلق حر وان لا يكون عبدا.
2. الاسلام: ان يكون مسلما فلم يحق لغيرالمسلمين تقلد هذا المنصب مثل اهل ذمه.
3. العلم بالاحكام الشرعية والدين الاسلامي: عالم بالدين الاسلامي: السنة القران وهذا منطلق ان المسلم عليه التقيد بالشرعيه الاسلامية.
4. المعرفة بامرى الحرب والخراج: اي المعرفة بجبي الاموال وله خبرة بادارة بيت المال من مصروفات ومدخولات بيت المال وتسيير الجيوش ويجهزها للحرب ومحنك سياسي ومدبر للجيش.

صلاحيات وزاره التفويض:

1. مباشـرة الحكـم في المظـالم يعطـي قرارتـه وينهـي فيهـا القضـايا فهـو اذا القاضـي للنظر في تظلمات الرعية والشكاوي.
2. الانفراد بتفويض الولاه اي يـولي الموظفين ويعزلهم دون الرجـوع للخليفـة ويعـين الولاة وكبار رجال الدولة والموظفين.
3. تسير الجيوش وتدبير الحروب يتولى مسألة الجهاد والتحضير له ويقود الجيوش بنفسه ويجهزها.

4. التصرف بامور بيت المال يقبض ما يستحق له ويدفع ما يجب فيه، اي يعرف بشؤون بيت المال.

كل هذه الصلاحيات ليست موجودة في وزارة التنفيذ.

تلخيص:

وزيرالتفويض في سلطاته كالخليفه يوجه سياسة الدولة ويولي الموظفين ويعزلهم ويجبي الاموال وينفقها يسير الجيوش ويجهزها، ويجلس للمظالم ويفصل فيها متى يشاء.

لكن على الوزير أن يطلع الخليفة على جميع أعماله ومنها:

1. أن يطلع الخليفة على جميع أعماله من تدبير وتقليد حتى لا يكون في استبداده بها كانه خليفة.
2. للخليفة عزل الوزير وأبطال أعماله متى شاء.
3. ليس له أن يعزل من قلده الخليفة وللخليفة أن يعزل من قلده الوزير.
4. للخليفه وحده الحق في ان يستعفي من الخلافة وان يعهد الى من يريد بالخلافة من بعده وليس للوزير شيء بذلك.

2. الحجابة:

معنى الحجابة:

هي مؤسسة ادارية تاسست في العهد الاموي وهي احدى المناصب في قصر الخليفة. أي حجب الخليفة عن الناس ويشرف عليها الحاجب الذي يغلق باب الخليفة دون الناس او فتحه لهم.

وظيفتها: اغلاق باب الخليفة دون الناس او فتحه لهم. ثم تطورت وظيفتة واصبح عمله تنظيم مقابلة المراجعين للخليفة وترتيبه في الدخول عليه مراعيا في ذلك مركزهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي واهمية اعمالهم.

الحجابة في العصر الراشدي:

كان الخلفاء الراشدون لايمنعون احد من الدخول عليهم بل كانوا يخاطبون الناس على اختلافهم بلا حجاب وقد كان لعمر بن الخطاب مع الرسول كسرى مشهوره اذ جاء هذا الرسول ﷺ يسال عن الخليفة عمر فافتقدوه فسال عن مكان وجود فقيل له انه قرب المسجد فذهب واذا هو قد افترش الارض ونام نوما مطمئنا فنظر اليه وقال: عدلت فامنت فنمت اما حكمنا فظلموا فخافوا فاحتجبوا.

الحجابه في العصر الأموي:

ظهرت الحجابه اول ما ظهرت في زمن الامويين عندما معاوية حين اتخذ الحاجب على بابه خوفا على حياته بعد محاولة قتله الفاشلة على يد احد الخوارج وقد قلده بني اميه والولاة في اتخاذ الحاجب على ابوابهم. فالحجابة اذن ظهرت زمن الامويين. وقد اتخذ حكام الفرس الحاجب على ابوابهم خوفا على حياة كسرى. ومنذ زمن معاوية كان الخلفاء يرتبون دخول الناس عليهم حسب طبقاتهم وانسابهم فكانوا يفضلون في الدخول: اولا اهل النسب — فاذا تساوت الانساب فضلوا اهل السن — فاذا تساوت فضلوا اهل الادب والعلم.

لكنهم كانوا يبيحون الدخول لثلاثة في أي وقت شاءوا:

- المؤذن للصلاة فانه داعي الله.
- وصاحب البريد لاهمية ما يجيء به.
- وصاحب الطعام لئلا يفسد.

الاسباب التي دفعت الامويين الى انشاء وظيفة الحجابه:

1. اغتصاب الامويين للخلافة وخوفهم على حياتهم وخاصة بعد فشل محاولة الخوارج قتل معاوية واتهام يزيد ابنه في مقتل الحسين في كربلاء، وحين اجتمعت كلمة المسلمين على خليفة واحد وهو معاوية اعتبر آل هاشم ان الامويين اغتصبوا الخلافة منهم وبعد محاولة قتل معاوية اتخذ الامويين الحذر والحيطة فانشؤا وظيفة الحجابه خوفا على حياتهم.
2. تقليد الفرس والاعاجم: ان الاحتكاك المتزايد بين الدولة الاسلامية زمن الامويين والعباسيين ادى الى استحداث مؤسسة الحجابة وادخالها الى الدولة الاسلامية مقلدين بذلك الاعاجم وخاصة الفرس ومما زاد تاثير الدولة الاسلامية بالنظم الفارسية والاعاجم هو الفتوحات وبراعتهم في الامور الادارية في الدولة الاسلامية.
3. ابتعاد الامويين عن البساطة اذ اصبحت الخلافة اقرب الى السياسة منها الى الدين. في العصر الاموي اصبح الخليفة يعين ولي عهده وياخذ له البيعة من وجهاء وكبار القواد والناس في الامصار.

فكان هذا النظام يجمع ما بين مساوئ الديمقراطية ومساوئ الحكم المطلق في ان واحد دون الاستفادة من حسنات أي منها. واول من اتبع ذلك معاوية بن ابي سفيان.

4. تحول الخلفاء الى ملوك مما اوجب الاختفاء. بسبب ابتعاد الخلفاء الامويين عن البساطة والسذاجة التي تحلت فيها خلافة الراشدين. اخذ الخلفاء الامويين يظهرون بمظاهر الابهه واول من بدا بهذا كان معاوية مثل: اتخاذ سرير اقامة الشرطة لحرسته – اتخاذ المقصورة في المسجد واتخاذ الحجابة كمظهر من مظاهر العصر والابتعاد اكثر عن الشعب محددا بذلك من يريد استقباله ومن لايريد اسقباله عن طريق الحاجب.

الحجابة في عصر العباسيين:

الحجاب الثاني:

اقتدى بني اميه فاتخذوا الحجاب وزادوا في منع الناس عن ملاقاة الخليفة الا في الامور الهامة وهذا ما يسميه ابن خلدون بالحجاب الثاني وصار بين الناس وبين الخليفه داران:

أ. دار الخاصة حيث يستقبل فيها اقرباءه ورجال دولته وطبقة الاشراف واتباعه.

ب. دار العامه حيث يستقبل فيها طبقات العامة مثل اصحاب الحرف والتجار والادباء والشعراء والمغنون.

الحاجب الثالث:

وقد تطرقوا عند انحطاط الدولة الى حاجب ثالث ووظيفته حجب الخليفة عن البطانة والخاصة خصوصا وان النساء في القصر اصبحن يتدخلن في شؤون الدولة وولاية العهد وكثرت الدسائس والمؤامرات ضد الخليفة لذلك اتخذ الحاجب الثالث ليحول بينه وبين الخاصة.

تطور الحجابة في العصر العباسي:

علت مرتبة الحاجب بارتقاء الخضارة الاسلامية في ايام العباسيين فاصبح يستشار في كثير من امور الدولة ومن ابرز الحجاب في هذا العصر(العباسي الاول) هو الفضل بن ربيع الذي اوقع البرامكة عند الرشيد كما لعب دورا بارزا في احداث الخلاف بين الاخويين الامين والمامون حيث اغرى الامين بعدم التنازل لاخيه المامون عن ولاية العهد وان ياخذ البيعة لابنه.

وعلت مرتبة الحاجب في ايام العباسيين فأصبح يستشار في كثير من امور الدولة. وكان الحاجب في العصر العباسي الثاني كثيرا ما يتدخل في امور الدولة

و يستبد بالنفوذ دون الوزير ويلزم اصحاب الدواوين بالرجوع اليه في كل امور الدولة ويحتم عليهم بالا يفصلوا في الاعمال الا بعد موافقة.

3. الدواوين:

الديوان:

قال سيبويه ان كلمة ديوان عربية الاصل ومعناها الاصل او المصدر الذي يرجع الذي اليه، و قال اخرون ان الديوان هي كلمة فارسية من المصدر ديفان، ومعناها السجل او الدفتر وقد اطلق اسم الديوان مجازا على مكان الذي يحفظ فيه السجلات الادارية التابعة لجهاز الحكم. والديوان عبارة عن مؤسسة في الدولة الاسلامية تهتم بشتى المجالات وقد ظهرت في العهد الراشدي زمن عمر بن الخطاب بسبب الحاجة لضبط اموال بيت المال وتنظيم الجيش.

نشاة الديوان:

يقال ان عمر بن الخطاب كان اول من انشا الديوان في الاسلام بينما لم يكن شيء من هذه الدواوين للدولة الاسلامية قبله. فلم يكن للرسولﷺ بيت مال. ولكن لما كثر دخل الدولة نتيجة الفتوحات زمن عمر اشار عليه بعض اصحابه باتخاذ الديوان.

الاسباب التي جعلت عمر يقيم الدواوين:

الروايتين اللتين اديتا الى اهتداء عمر بن الخطاب الى "الدواوين":

1. الرواية الاولى:

ان ابا هريرة عامله على البحرين، قدم ومعه مال كثير فقال له عمر: ما الذي جئت به؟ قال 500 الف درهم، فقال عمر: أ حلال هو؟ قال: لا ادري. ثم

صعدعمر وخطب بالناس قائلا: قد جائنا مال كثير ان شئتم كلناه كيلا وان شئتم ان نعده عدا. فقام رجل فقال: قد رايت الاعاجم يدونون ديونا لهم فقال: دونوا الدواوين. الامر الذي ادى الى انشاء ديوان الخراج ومن ثم بيت المال.

2. الرواية الثانية:

يقال ان الذي اشار على الخليفة عمر بوضع الديوان هو احد زعماء الفرس الذين اسلموا، اذ كان حاضرا مجلس الخليفة وقد راه يرسل جيشا فقال له: هذا الجيش قد أعطيت أهله الأموال فان فقد منهم رجل بمكانه فما يدري قائدك به. و اشار عليه بوضع الديوان و فسره له و شرحه. فامر عمر بانشاء ديوان الجند.

3. كثرة الاموال المتدفقة على الدولة الاسلامية من جراء الفتوحات و الانتصارات العسكرية.

أي كثرة المدخولات و المصروفات و الحاجة الى ضبط الاموال العامة. ففي زمن عمر كثرت الفتوحات الاسلامية ضد الفرس والبيزنطيين في عدة معارك واسترجع المسلمين العراق وسوريا، مما ادى الى تدفق الاموال وغنائم الحرب، وبالتالي الحاجة الى تنظيم مصروفات ومدخولات الدولة.

4. كثرة المستحقين من الاموال من الجنود والموظفين وسواهم.

فقد قسم عمر بن الخطاب الدولة الاسلامية الى ولايات ووضع على كل ولاية والي يساعده موظفون على مختلف المستويات وما تبع من ذلك من تجنيد واحتياجات عسكرية، وكان على الدولة الاسلامية سد احتياجات الجنود من تمويل وارزاق ومعدات.

5. حاجة الخليفة ومعاونيه من رجال الدولة الى ضبط الامور ومجريات التنظيم الاداري بسبب اتساع الدولة.

فقد قسم عمر الدولة الى ولايات وجعل على كل ولاية وال يستمد سلطته من الخليفة وعمل الى جانبه في الولايات موظفون اخرون مثل: العامل والقاضي وكاتب الديوان وصاحب بيت المال. وكان لكل ولاية مقر دائم للحكومة. كل هذه الامور، بالاضافة الى الفتوحات احوجت وجود ضبط وتنظيم للامور الاداريه، أي ازدادت وارادت الدولة من الفتوحات وتشعبت الادارة.

6. الحاجة لتنظيم الجيش ومعرفة تفاصيل افراده . فقد ازداد عدد الجنود مما لزم تدوين المعلومات عنهم. (للتوسع: راجع ديوان الجند)

الدواوين التي ظهرت في العصر الراشدي:

1. ديوان الجند:

سجل فيه اسماء الجند ونسبهم وقبائلهم وحتى الوانهم وملامحهم وسائر ما يميز الجندي من غيره.

وظائفه:

1. عين مقدار العطاء لكل واحد من الجنود، وبذلك وضع الخليفة عمر اسس الجند النظامي.
2. التزم الديوان باعداد المعدات الحربية وتموين الجيوش، في حين تولى الجند انفسهم صيانة السلاح من ارزاقهم وعطائهم.

اهميته:

وضع عمر اساس الجند النظامي فكان القائد اذا اراد الاستعداد للقتال احضر دفاتر الديوان واختار منها المقاتلين. وصار التجنيد الالزامي نظاما اساسيا في التجنيد وتكوين الجيوش الاسلامية منذ ان وضع عمر ديوان الجند.

2. ديوان الخراج (الجبايه):

وظائفه:

1. سجل فيه جميع واردات الدولة المالية من الزكاة و الخراج و الجزية و العشور، أي هو بمثابة ديوان لمدخولات و مصروفات الدولة. أي من و ظائفه تسجيل جميع واردات الدولة المالية من المواد المذكورة اعلاه. و هذا لان في فترة عمر ازدادت واردات الدولة من الفتوحات و تشعبت الادارة فاوجد الديوان لتسهيل انفاقها و صرفها.
2. اقرار ما يفرض لكل مسلم من العطاء. جعل عمر العطاء للمسلمين على اساس:

- السابقة في الاسلام ونصره الرسول في مواطن حروبه.
- اما المقاتلون من اهل المدينة فجعل لهم العطاء على اساس السابقة في الاسلام ونصره الرسول في حروبه. فمن اسلم قبل بدر كان عطاؤه اكبر ممن اسلم بعد بدر. اما في العراق والشام ومصر فجعل لمقاتلي المعارك الكبرى النصيب الاوفى، ثم يتدنى النصيب كلما قلت المساهمة في القتال.

الدواوين في عهد الامويين:

سبب ظهور الدواوين الاضافية في عهد الامويين:

لقد اتيح للامويين الاتصال بالفرس والبيزنطيين اكثر مما اتيح للراشدين فاتسعت في عصرهم مرافق الدولة مما ادى الى احتياج دواوين جديدة لتنظيم ادارتها ولتتلائم مع تطورها.

1. ديوان الرسائل:

ما هو؟

دائرة رسمية تشرف على مراسلات الخليفة في اول الامر مع الولايات والامصار وفي بعض الاحيان مع الدول الاخرى التي تفاوض في بعض الاحيان الشؤون ذات الصبغة العسكرية السياسية والاقتصادية.

وكان كاتب الرسائل من اهم الكتاب في الدولة لانه كان يطلع على اسرار الخليفة وكان اول الداخلين عليه واخر الخارجين عنه ولهذا حرص الخلفاء الا يولوا هذا المنصب الا اقربائهم وخاصتهم. وظلوا على ذلك الى ايام العباسيين.

ومن واجبات صاحب ديوان الرسائل على مر العصور تشمل:

- التوقيع على الرسائل المرسلة الى جميع الولايات والموظفين، والنظر في الكتب الواردة اليه.
- النظر في الالقاب التي في الرسائل حتى لا يزاد او ينقص فيه.
- الاطلاع على ما يكتب في ديوانه ويوقع عليها.
- الاطلاع على امر البريد.
- النظر في ابراج الحمام الزاجل من السعاة الذين يوصلون الرسائل.
- النظر في امر العيون والجواسيس والنظر في الامور العامة.
- الرد على الاجوبة في يومها وعدم تاخيرها.

2. ديوان الطراز:

أي رسم اسماء الخلفاء والامراء اوعلامات تختص بهم على اطراف ثيابهم الرسمية وقد اخذ الامويين ذلك عن البيزنطيين الذين اعتادوا كتابة عبارة" باسم الاب والابن والروح القدس"، على الطراز فعندما جاء عبد الملك بن مروان امر

باستبدال العبارة البيزنطية باحدى الشهادتين "لا اله الا الله". ثم اقيمت الدور لنسج الاثواب واشرف عليها عامل خاص دعي "صاحب الطراز".

3. ديوان البريد:

مؤسسة:

كان معاوية بن ابي سفيان اول خليفة استحدث نظام البريد في الدولة.

الظروف التي ادت الى انشاءه:

ان البيئة الجديدة والاحتكاك بسكان البلاد المفتوحة اضطرته الى ادخال نظم جديدة على الادارة فادخل نظام البريد الذي اخذه عن الروم اثناء حكمهم بالشام، ثم ادخل عبد الملك بن مروان عدة تحسينات على نظام البريد واصبح بذلك اداة هامة في ادارة شؤون الدولة.

وظائف صاحب البريد:

1. كان البريد مخصصا بالأصل لخدمة اغراض الدولة، لنقل اوامر واخبار السلطات المركزية الى الولايات وبالعكس أي كان صا حب البريد يوافي الخلفاء بالاخبار اولا باول.
2. كانت احدى مهمات صاحب البريد التجسس على الولاة.

واصبح البريد على ثلاثة انواع:

أ. البريد البري:

كانت طريقه تمتد من عاصمة الدولة نحو اطراف الدولة، و تكون هنالك محطات للبريد تتالف المحطة من خان ومسجد وسقاية وفيها دواب البريد من بغال وخيل وابل.

ب. البريد البحري:

وقد اقتصر على البلاد البحرية بصفة خاصة، وكان صاحبه يزود عادة بمراكب سريعة لاستغلالها في نقل البريد، وكان الاعتماد على هذا النوع ضعيفا، ولا يلجا اليه الا عند تعذر الطرق البرية.

ج. البريد الجوي:

بواسة الحمام الزاجل او حمام الرسائل وبرز ذلك بشكل خاص في العهد الفاطمي.

4. ديوان الخاتم:

مؤسسة:

معاوية بن ابي سفيان – الفترة الاموية.

الهدف من الديوان ومعناه:

أن كانت الرسائل تطوى ويلصق طرفها بالشمع او الطين الاحمر الذي يطبع عليه وهو طري خاتم الخلافة ويترك حتى يجف فاذا فتحت الرسالة من قبل ان تصل الى مرجعها عرف ذلك.

وكان معاوية اول من استحدث هذا الديوان بسبب حادثة الغش التي حدثت بتزوير المبلغ على يد شخص ارسله الى زياد بن ابية فجعل ال 100 الف درهم200 الف درهم. ومن هنا وضع معاوية ديوان الخاتم وهدفه منع التزوير لذلك احتفظ في الديوان بنسخة من الرسائل التي ترسل من الخليفة الى الولاة.

وصارت العادة ان يحتفظ ديوان الخاتم بنسخة عن كل ما يوقع من الرسائل وحسابات، وكذلك فعل الولاة، وذلك للرجوع اليها والمطابقة، وخاصة في

العصر العباسي الثاني حين نكب عدد كبير من الوزراء بدعوة الرشوة والتلاعب والغنى غير المشروع. وفي عهد الملك بن مروان عربت الدواوين.

تعريب الدواوين:

في عهد عبد الملك بن مروان عربت الدواوين في كل من العراق والشام ثم عربت دواوين مصر في خلافة ابنه الوليد ودواوين خراسان في خلافة هشام بن عبد الملك فاصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية في السياسة والادارة ونقلت اليها الكثير من الاصلاحات الفارسية والرومية واخذت طبقة الكتاب تظهر منذ ذلك الحين.

الديوان في عهد العباسيين:

سبب ظهور الدواوين في هذا العصر:

تأثر العباسيين بالنظم الادارية الفارسية. كما ان الامور تعقدت وتشعبت بعد العصر الاموي فأنشئت دواوين عديدة. كان اهم ما احدثه العباسيون ان الدواوين جمعت في دفاتر او سجلات بدلا من ان تكون صحفا مبعثرة ويذكر ان الدواوين كثرت وتشعبت.

1. ديوان الازمة:

سمي ديوان الازمة في العاصمة وديوان الزمام في الولايات.

انشأه الخليفة المهدي وكانت هذا الدواوين عبارة عن دوائر صغيرة تشرف على اعمال الدواوين الكبيرة حتى كانها دواوين محاسبة، اذ كانت تهتم بالدرجة الاولى بالتدقيق والحسابات والشؤون المالية التي يتصرف بها ديوان من الدواوين.

وفي عهد المهدي انشئ ديوان زمام الازمة، ينظم في ان واحد جميع دواوين الازمة. وكان صاحبه يشبه وزير المالية، فهو يجمع الواردات كلها وانواع النفقات كلها ويقيم الموازنة بينهما.

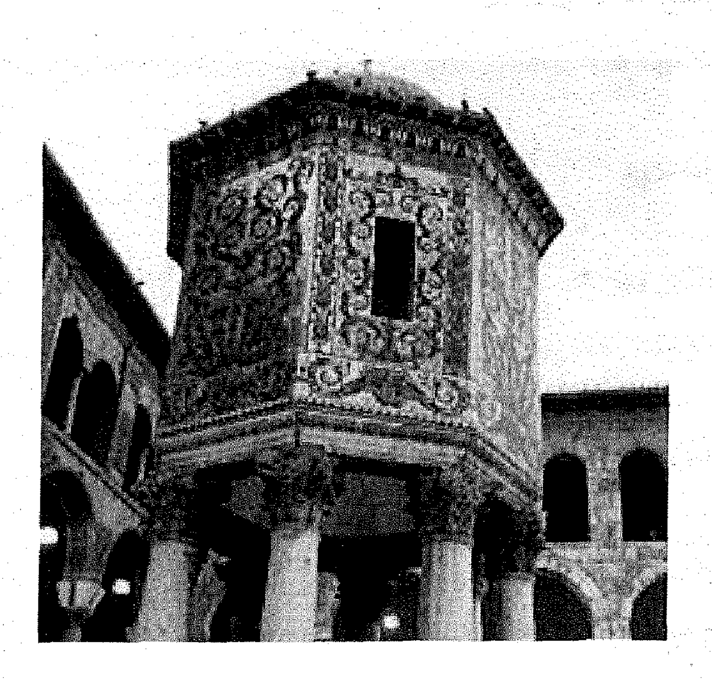
2. ديوان الموالي والغلمان:

استحدثه المعتصم بهدف تسجيل اسماء مواليه وغلمانه من الاتراك والاهتمام في الاستكثار منهم.

وسبب ظهوره كثرة الاتراك واستخدامه لهم وتزايد عددهم في الجيش والبلاط. فأنشأ لهم هذا الديوان لكي يهتم بشؤونهم واحتياجاتهم.

الفصل الثاني

النظام المالي



النظام المالي

ان النظام المالي يتناول عدة قضايا منها، بيت المال نشأته وموارده من الضرائب المختلفه مثل الخراج – الزكاه – الفيء – الغنائم والعشور. ومصروفاته والتغييرات التي طرات عليه في الفترات المختلفه.

معنى بيت المال:

لا تستطيع اية دولة ان تتقدم و ليس لها مال تصرفه على شؤونها او موارد تجمع منها حاجاتها المالية. و قد حدد الاسلام بعض موارد الدولة الاسلامية، وكانت تجمع في مكان يقال له بيت المال. وهو اشبه بخزينة الدولة العامة او بوزارة المالية في عصرنا هذا. وكان عمر بن الخطاب اول من انشا بيت المال.

العصر الراشدي:

اعتبر بيت المال في العصر الراشدي ملكا للمسلمين عامة و لكل منهم نصيب فيه و ينال كل محارب او موظف مقدارا معينا في كل شهر.

العصر الاموي:

ولكن الامويين اعتبروه ملكا لهم يتصرفون به كيف يشاوؤن، فنرى معاوية يهب خراج مصر الى عمرو بن العاص طيلة حياته، و يفرق في الاموال بلا حساب لاكتساب الانصار، وتبعه غالبية الخلفاء الامويين والعباسيين الذين صاروا ينفقون اموال بيت المال حسب اهوائهم ثم حددت رواتب الخلفاء وسائر الموظفين فيما بعد واصبح الخليفة او الوالي لا يستطيع ان يتصرف باكثر مما حدد له وتصرف بقية الاموال على شؤون الولاية او مركز الخلافة.

نشأته: الاسباب التي ادت الى نشاته:

1. ان ابا هريرة عامل البحرين، قدم ومعه مال كثير فقال له عمر: ما الذي جئت به؟ قال 500 الف درهم، فقال عمر: أ حلال هو؟ قال: لا ادري. ثم صعد عمر وخطب بين الناس قائلا: قد جائنا مال كثير فان شئتم كلناه كيلا وان شئتم ان نعده عدا. فقام رجل فقال: قد رايت العجائم يدونون ديوانا لهم فقال: دونوا الدواوين. الأمر الذي أدى إلى إنشاء بيت المال.
2. كثرة الاموال المتدفقة على الدولة الاسلامية من جراء الفتوحات والانتصارات العسكرية.

اي كثرة المدخولات والمصروفات والحاجة الى ضبط الاموال العامة. ففي زمن عمر كثرت الفتوحات الاسلامية ضد الساسانيين والبيزنطيين في عدة معارك واسترجع المسلمين العراق وسوريا، مما ادى الى تدفق الاموال وغنائم الحرب، وبالتالي الحاجة الى تنظيم مصروفات ومدخولات الدولة.

3. كثرة المستحقين من الاموال من الجنود والموظفين و سواهم.

فقد قسم عمر بن الخطاب الدولة الاسلامية الى ولايات وعين على كل ولاية والى يساعده الموظفون على مختلف المستويات وما تبع ذلك من تجنيد واحتياجات عسكرية، وكان على الدولة الاسلامية سد احتياجات الجنود من تمويل وارزاق ومعدات.

موارد بيت المال الاساسية:

1. الخراج: ما هي ؟هي كلمة من اصل ارامي وعرفت لدى العرب وهي ضريبة تؤخذ على الارض. والخراج عند المسلمين مقدار من المال او الحاصلات يفرض على الاراضي التي بقي الاعاجم عليها و صاروا ذمة لا تسقط الخراج اذا اسلم الذمي.

و يؤخذ الخراج:

أ. عن الاراضي التي فتحها المسلمون بالقتال اذا عدل الخليفة عن تقسيمها على المحاربين بعد ان عوضهم عن نصيبهم فيها، كما فعل عمر بن الخطاب في جنوب العراق.

ب. عن الاراضي التي افاء بها الله على المسلمين فملكوها و صالحوا اهلها عليها على ان يتركوها بخراج معلوم يؤدونه الى بيت المال. ولم يكن مقدار الخراج ثابتا.

وكانت هنا اربعة انواع من الاراضي التي يفرض عليها الخراج وانما يدفع عنها اصحابها عشر.

ثمارها ومحصولها وهي:

- الأرض التي اسلم اهلها وهم عليها بدون حرب، فهذه تترك لهم على ان يدفعوا عنها ضريبة العشر زكاة.
- الأرض التي ملكها المسلمين عنوه وقسمها الخليفة على الغانمين فيدفع عنها العشر.
- الأرض التي كانت تؤخذ من المشركين عنوة وهي تعتبر غنيمة تقسم بين الفاتحين فيملكوها ويدفعون عنها العشر من غلتها.
- أراضي الموات (البور) تمنح للمسلم ليستصلحها على ان يدفع العشر.

جرى تحديد مقدار الخراج على الارض بوسيلتين:

- على أساس مساحة الأرض أي "حساب الارض".
- و على أساس ما تنتجه الأرض من الزرع، وهذا يعتمد على مدى خصوبة الأرض.

اما طرق جباية الخراج فكانت:

1. طريقة المقاسمة:

وهي الطريقة التي وضعها عمر بن الخطاب، وهي عملية مصادرة الاموال التي اخذها من الولاة والموظفين وقواد الجيش بشكل غير مشروع. أي اذا عين عمر واليا احصى امواله وبعد انتهاء ولايته شك بان الوالي حصل بطريق غير سليم على الاموال صادرها كلها او نصفها حسب الاحوال. – الطريقه المباشرة – وطريقة التضمين.

2. الطريقة المباشرة:

و ذلك ان الخليفة كان يعين الى جانب الوالي، صاحب الخراج، لجباية الخراج من الولاية، لا يكون للوالي اية سلطة، الا ان الولاة كانوا احيانا يضمنون كما فعل يحيى بن برمك وغيره.

3. طريقة التضمين/الالتزام:

- كانت الدولة تعلن عن رغبتها في تضمين الخراج لمناطق مختلفة فيجتمع الناس من الاغنياء ويلتزم كل منهم منطقة من مناطق الخراج بمال معين يقع بالمزايدة (مزاد).
- اما اذا كانت الارض من املاك الدولة فان الملتزم يضمن بلدة او قرية فيزرعها ويستغلها ويدفع عليها الخراج ويستولي على الباقي.

المبالغة في طريقة التحقيق مع عامل الخراج:

لقد لجا الامويين الى طريقة الاستخراج او التكشيف وذلك باجراء تحقيق دقيق مع الجباة وموظفي الخراج عند اعتزالهم اعمالهم الادارية وكانوا يعذبون ليقروا بالاموال التي جمعوها واودعوها عند اهلهم واصدقائهم، كان مثل هذا

التحقيق يتجاوز احيانا الحدود المشروعة ويصبح وسيلة للانتقام ولأخذ الثار وجمع المال. واحيانا كانت تنتهي بموت عامل الخراج، وعندها تثور قبيلة العامل وتطالب بثأره، وهذا ما كان يؤدي الى حدوث الإضرابات الداخلية ولا سيما في أواخر الدولة الأموية.

2. الزكاة(او الصدقة):

و هي اول ضريبة فرضها الاسلام وهي تؤخذ من المسلم الذي يملك لتعطى الى الذي لا يملك. وهي من اركان السلام الخمسة.

وكانت مصادر الزكاة:

- زكاة السوائم او المواشي مثل: الابل والغنم والبقر.
- زكاة الذهب والفضة.
- زكاة التجارة.
- زكاة المعادن و الركاز – أي الكنز الدفين.
- زكاة المزروع والثمار.

و تنفق الزكاة في جهات ثمان:

- الفقراء: هم الذين لا شيء لهم.
- المساكين: هم الذين يملكون شيئا قليلا.
- العاملون عليها هم القائمون بجبايتها وتفريقها.
- المؤلفة قلوبهم هم الذين كان النبي وخلفاؤه يتالفون لكف اذهم عن المسلمين او لترغيبهم في الاسلام.
- الرقاب أي مساعدة العبيد على التحرر من اسيادهم.
- الغارمون وهم المدينون الذين استدانوا في مصالح انفسهم او مصالح المسلمين فيعطى لهم ما يقضون به دينهم.

- في سبيل الله أي يعطى للغزاة واهل الجهاد نفقة ما يحتاجون اليه في حروبهم.
- ابناء السبيل أي المسافرون المنقطعين في بلد ما فيعطى لهم ما يعينهم على العودة كل الى بلده واهله حتى ولو كان غنيا وانقطع في بلد ما.

3. الجزية:

ما هي؟

وهي ضريبة شخصية فرضها الاسلام على اهل الذمة مقابل بقائهم على دينهم وحماية المسلمين لهم فهم في ذمة المسلمين. وهي تقابل فريضة الزكاة المفرضة على المسلم وتختلف عن الخراج بكونها تسقط اذا اسلم الذمي. اما الخراج فلا تسقط حتى ولو اسلم الذمي. اما مقدارها فقد حددها الخليفة عمر بن الخطاب كالتالي: 48 درهما من الاغنياء – 24 درهما من متوسطي الحال – 12 درهما من الفقراء.

على من تفرض الجزية؟

فرضت الضريبة على جميع الذكور الذميين القادريين على دفعها فلا تؤخذ من النساء والصبيان، والشيوخ والعميان والمقعدين والمجانيين ولا من الرجال الدين الا اذا كانوا اغنياء. كما انها تجبى عليهم مرة واحدة في السنة.

كيف تتم جباية الجزية:

حث الاسلام على الرفق والانصاف في جباية الضرائب من الذميين وحماية ارواحهم واموالهم من عبث الجباه، فلا يضرب احد من اهل الذمة في اجباره على الدفع ولا يجعل عليهم في ابدانهم شيء من المكاره، ولكن يرفق بهم ويحسبون في حالة عدم دفعهم الجزية، كما كان باستطاعت الذمي الامتناع عن دفع الجزية اذا لم توفر له الدولة الاسلامية الحماية كما يجب.

4. الفيء:

هو كل ما وصل من المشركين للمسلمين من غير قتال.

اما طريقة صرفه فكانت:

- يقسم الى خمسة اخماس، ويكون الخمس الاول مقسوما الى خمسة اسهم:

الخمس لاول: للرسول، ينفق منه على نفسه وازواجه ويصرف في مصلحة المسلمين، وقد اسقط بموته.

اما الاربعة المتبقية للقربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

اما الاخماس الاربعة الباقية فكانت تقسم في صدر الاسلام بين الجند لشراء الاسلحة حتى دون عمر الدواوين فعرفت مقادير ارزاق الجند ومرتباتهم.

5. الغنيمة:

غنم الاشياء أي فاز بها وكسبها في القتال. والغنيمة هي كل ما كسبه المسلمون من عساكر الكفار وتشمل الاسرى من الرجال المقاتلين والسبايا من النساء والاطفال، والاموال المنقولة وغير المنقولة:

- فالاسرى كانوا يفتدون او يطلق سراحهم بمال او يباعون وتوضع اثمانهم في بيت المال.
- وتباع الاموال المنقولة كذلك.
- اما الاراضي فقد شرح عنها في موضوع الخراج.

ويقوم الخليفة بتوزيع الغنيمة ويخرج الخمس منها ويقسمه بين اصحاب الخمس على اسهم كالفيء.

- لكن اذا من الخليفة على الأسرى بإطلاق سراحهم بطلت حقوق القائمين فيهم.

6. العشور:

يرجع نظام العشور الى عهد عمر بن الخطاب اذ كان تجار المسلمين الذين يفدون الى دار الحرب (دول اجنبية) يدفعون العشر عن بضاعتهم فامر عمر المسلمين باخذ العشر من التجار غير المسلمين الذين يفدون الى دار الاسلام (دولة المسلمين) ومن اهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين ربع العشر الا اذا دفعوا زكاة عن تجارهم.

ويحق للخليفة ان يزيد او ينقص الى نصف عشر، او ان يرفع ذلك عنهم اذا راى في ذلك مصلحة للاسلام.

يؤخذ العشر من التاجر مرة في العام. وتؤخذ الضريبة من التاجر الذي ينتقل من بلاده الى بلاد اخرى وهو ما يعرف اليوم بالضرائب الجمركية.

ج. مصروفات بيت المال التي نص عليها القران:

1. ارزاق القضاة والولاة والعمال وصاحب بيت المال وغيرهم من الموظفين وكانت زيادة ارزاقهم ونقصها من حق الخليفة وحده.
2. ارزاق الجند والمقصود رواتبهم فيقبضونها في اوقات معينة في كل عام.
3. حفر الانهار واصلاح مجاريها: ري الترع الكبيرة والمجاري لتوصل الماء الى الاراضي البعيدة وحفر الترع والزراعة. أي الاتفاق على حفر القنوات والمجاري المائية التي تاخذ مياهها من الانهار كدجلة والفرات لتوصيل الماء الى الاراضي البعيدة بهدف تحضيرها للزراعة ولاقامة السدود والسور على الانهر الكبرى لربط ضفتين او اجزاء من المدينة.

4. النفقة على المسجونين وأسرى المشركين من مأكل ومشرب وملبس ودفن من يموت منهم.
5. المعدات الحربية.
6. العطايا والمنح للادباء والعلماء والشعراء وبناء المساجد والمكتبات ودور العلم.
7. نفقات ومصروفات الخليفة وقصره وحاشيته وكل ما يتطلب ذلك.

الفصل الثالث

النظام القضائي



النظام القضائي

أ. مصادر التشريع في الاسلام:

1. الشريعة الاسلامية:

وهي مصدر الاحكام التي يتوصل اليها القضاة ويسير بموجبها كافة موظفي الدولة على راسهم الخليفة الشريعة تعني مجموعة الاحكام التي سنها الله لعباده ولتنظيم صلاتهم به وعلاقتهم ببعضهم في نواحي الحياة المختلفة.

تستند الشريعة على اصلين وهما: القران والسنة، وعلى فرعين الاجماع والقياس لكن يجب ان يستند الاجماع والقياس على القران والسنه، لذلك حدد علماء المسلمين مصادر التشريع باربعة:

القران – السنة – الاجماع – القياس.

أ. القرآن الكريم:

وهو كلام الله المنزل على سيدنا محمد بواسطة الملاك جبريل، تبلغ عدد سور القرآن الكريم 114سورة منها سور مكية حوالي 90سورة. والسور المدنية عددها حوالي 24 سورة. نزلت خلال 23عاما في مكة والمدينة، والقرآن الكريم يحتوي الكثير من الاعجاز اللغوي والعلمي والتاريخي وغيره. كما ان القرآن الكريم بين اهداف العبادات واسس الاسلام والايمان واسس الثواب والعقاب. اما السور المكية فهي السور التي نزلت في مكة وتمتاز بان معظمها قصيرة الطول كثيرة العدد فيها الدعوة الاسلامية للتوحيد وتبين اسس النظام الاجتماعي والديني في الاسلام وتبين للمسلمين اهمية عبادة الله وتركهم للظواهر السلبية والاشراك بالله، ويبين فضائل الله على الانسان. اما السور المدنية فهي السور التي نزلت في المدينة وتمتاز بطولها مثل سورة البقرة والنساء، بينت هذه السورانواع العبادات مثل الصوم والحج

وبينت الشرائع والقوانين في المعاملات مثل الزواج والطلاق والميراث وبينت قوانين اجتماعية وعادات مثل الغيبة والتجسس والظن بالناس. وتحتوي كذلك على القصص.

ب. السنة/الحديث:

تعني كلمة "سنّة" الطريقة أو العادة، وبذلك فإن سنة محمد ﷺ تعني طريقته أو عادته، وتعرّف السنة بأنها كل قول أو فعل أو تقرير او صفة خلقية او خلقية صحت عن الرسول محمد ﷺ.

والسنة تعتبر ثاني مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن. والسنّة، جمعت بعد وفاة الرسول ﷺ بفترة معينة، وكتبها العديدون مثل البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجة وأبو داود وتسمى أيضا كتب الحديث وهي تختلف عن كتب السيرة النبوية التي تدرس حياة النبي محمد ﷺ وفق ترتيبها الزمني أما كتب الحديث فتدرس الأحداث من الأقوال والأفعال وفق موضوعاتها بصرف النظر عن ترتيبها الزمني.

وقد تم وضع ضوابط صارمة لتصنيف الحديث حسب صحته من حيث نصّه (متن الحديث) ومن حيث رواته (الإسناد). وذلك لتحديد الصحيح والمدسوس منها أو الضعيف والموضوع (أي منسوب له زورا).

وظهر على إثر ذلك علوم كثيرة لدراسة السنة منها (علم الرجال) للتعرف على جميع رواة الحديث، وظهر علم (الجرح والتعديل) لمعرفة مَن من هؤلاء الرجال صادقا أوكاذبا أو غير ذلك. وكان له تأثيره الواضح في تصنيف الأحاديث وقبولها أو رفضها وعلم أصول الحديث وبه يكون الدليل على ما يقبل وما يترك من أحاديث، ومعرفة رواتب نقلة الحديث من الصحابة والتابعين والتفاوت بينهم، والتفاوت في الأسانيد من حيث الإتصال أو الإنقطاع والسلامة من العلل، وعلم مصطلح الحديث لمعرفة مرتبة الحديث.

ج. الاجماع:

وهو اجماع راي المجتهدين من علماء المسلمين على حكم شرعي في عصر غير عصر الرسول ويستند الى دليل شرعي. وقد سمح الرسول في استعمال الجماع بقوله"لا تجتمع امتي على ضلالة".

ظهر الاجماع زمن الخلفاء الراشدين كمصدر ثالث من مصادر التشريع ولذلك تشاروا الناس في القضايا التي لم يجدوا جوابا لها في القران او السنة.

الاجماع على نوعين قولي وسكوتي:

1. القولي هو ان يجمع علماء المسلمين بقول صريح على حل شرعي.
2. السكوتي هو ان يصدر احد العلماء حكما شرعيا فلا يعارضه او يزيده احد فيكون سكوتهم علامة الرضا.

و لما تفرق الصحابة بفعل الفتوحات تعذر الوصول الى اجماع، كما هي الحال في العصر الاسلامي الاول، فلم يكن من السهل تحقيق اجماع من مجتهدي المسلمين، لذلك لجاوا الى مصدر رابع للتشريع وهو القياس.

د. القياس:

معناه إلحاق أمر بآخر في الحكم الشرعي لاتحاد بينهما في العلة. ولكل مجتهد مسلم ان يقيس بنظره الخاص وبالاستناد الى القران والسنة في كل حادثة لم يرد نص صريح فيها لا في القران ولا في السنة ولا حدث اجماع حولها.

ه. المذاهب السنية الاربعة وتطورها:

مع انتهاء عصر الصحابة ظهر عصر المذاهب الفقهية وهي التي تناولت استنباط الاحكام الشرعية.

ظهر في البداية مدرستان للفقه: مدرسة اهل الحديث ومركزها في الحجاز ومدرسة اهل الراي ومركزها في الكوفة.

ترعرعت المذاهب في العصر العباسي وقد انتشرت في انحاء الدولة الاسلامية حيث صار القاضي ملزما بان يصدر احكامه وفق احد هذه المذاهب فادى ذلك الى ضعف روح الاجتهاد.

1. المذهب الحنفي:

نسبة إلى حنيفة النعمان بن ثابت، فارسي، تولى رئاسة مدرسة الكوفة وهي المعروفة بمدرسة الراي. درس على يد علماء هذه المدينة عرض عليه تولي القضاء في العصر الاموي والعباسي فرفض ذلك وكانت النتيجة انه تعرض للاضطهاد، فقد سجنه الخليفة ابو جعفر المنصور حتى مات في سجنه.

المصادر التي يعتمد عليها لاستنباط الاحكام الشرعية:

1. كان ابو حنيفة يستعمل القران الكريم.
2. و اذا يجد نصا فيه لاستخراج الحكم استعمل ما صح لديه من السنة فهو لا يقبل الخبر عن الرسول خوفا من الوقوع في حديث موضوع.
3. و قد توسع في استعمال القياس والاستحسان لان المجتهد حسب راي علماء الحنيفة له ان يستحسن بعقله.
4. واستعمل ايضا الحيل الشرعية يعني تقليب الفكر حتى الاهتداء الى المقصود.

2. المذهب المالكي:

نسبة الى مالك بن انس، عربي، كان احد كبار أئمة الراي. ولد في المدينة المنورة. في العهد العباسي انقطع عن الخلفاء فترة حتى ان حاكم المدينة ضربه بالسياط حتى انخلعت كتفه لانه افتى بفساد بيعة الخلفاء بالقهر والاكراه.

المصادر التي يعتمد عليها لاستنباط الاحكام الشرعية:

1. اعتمد مالك في استنباط الاحكام على ظاهر النص القرآني.
2. واذا لم يجد حلا استعمل السنة واخذ باجماع اهل المدينة ولم يعمل بالراي، وذلك لان المدينة هي دار الهجرة وبها نزل القران واقام بها الرسول وصحابته واهل المدينة اعرف المسلمين بالتنزيل وما بين رسول الله من الوحي وهي مميزات ليست لغيرهم فيكون عملهم حجه.
3. وكان مالك ياخذ ايضا بقول الصحابة. وقد تميز مذهبه بالقول في المصلحة المرسلة حتى اعتبره البعض خاص بمذهبه.
4. كما استعمل القياس في حالة عدم وجود نص قراني او سنة او اجماع من اهل المدينة او قول صحابي فكان يجتهد رايه ويستعمل القياس.
5. ثم استعمل سد الذرائع المقصود هو التذرع بعمل جائز الى غير جائز، فجاء سد الذرائع لمنع ذلك لان ما يؤدي الى المفسدة يكون مفسدة.

3. المذهب الشافعي:

نسبة الى محمد بن ادريس الشافعي. ولد بغزة في فلسطين ثم انتقل الى مكة وهو صغير السن. درس على يد علماء مكة الحديث والنقد وانتقل الى المدينة فدرس على يد الامام مالك، حفظ الموطأ. ثم ولي اليمن. برع في العراق بفقه مدرسة اهل الراي بالاضافة الى دراسته فقه اهل الحديث وبذلك جمع بين راي المدرستين في الفقه، فجاء مذهبه في الفقه معبرا عن هذه الازدواجيه.

المصادر التي يعتمد عليها لاستنباط الاحكام الشرعيه:

1. اعتمد اولا على القران، اذا وجد حلا فيه.
2. والا لجأ الى السنة لان السنة ملحقة بالقران. ويرى الشافعي ان القران والسنة كلاهما من الله لما اوجب الله طاعة رسوله على خلقه، فمن قبل عن الرسول فقد قبل عن الله.

3. ثم ان لم يجد حلا شرعيا في القران والسنة رجع الى الاجماع. والاجماع حسب رأيه يكون من كافة المسلمين في كل المناطق الاسلامية. ومع ذلك فقد رفض الشافعي الاجماع السكوتي لانه لا اجماع من ساكت.
4. واستعمل قول الصحابي. شرط إلا يعلم له مخالف وهو بالنسبة له خير من الرأي، وإذا اختلف أصحاب الرسول في مسالة كان يأخذ قول بعضهم ما يراه اقرب إلى القران والسنة.
5. وكان الشافعي يلجأ إلى القياس عند الضرورة فقط.

ولكنه امتنع عن العمل باجتهاد الرأي إذا لم يكن نصّ من الكتاب أو سنة يقيس عليه، وقد رفض العمل بالاستحسان لأنه لا ضابط له ولا مقاييس تقاس بها الحق من الباطل.

4. المذهب الحنبلي:

نسبة الى الامام احمد بن حنبل المولود في بغداد. اخذ عن الامام الشافعي الحديث والفقه والانساب القرشيه. عذب زمن المأمون والمعتصم لرفضه القول بمقولة المعتزله بخلق القران.

المصادر التي يعتمد عليها لاستنباط الاحكام الشرعية:

1. اتبع الامام حنبل في استنباط الاحكام بشكل تدريجي اولا على القران.
2. ثانيا على الحديث الصحيح. اذا لم يجد حلا في القران اعتمد على الحديث الصحيح لانه حسب رايه هو بمنزلة القران لان السنة بيان القران.
3. ثالثا: فتاوى الصحابة. اذ فتاوى الاصحابة هي حجه شرط الا يعلم لها مخالف.
4. رابعا: الاختيار من فتاوى الصحابة اذا اختلفوا، يختار ما كان اقربها الى السنة والقران.

5. خامسا: الاخذ بالحديث المرسل او الحديث الضعيف على الاخذ بالراي.
6. سادسا: القياس وهو الملجا الاخير له اذا اعتذر علية التوصل الى حكم شرعي من المصادر الخمسة السابقة فكان يستعمله عند الضرورة فقط.

الفصل الرابع

القضاء في الإسلام وتطوره



القضاء في الإسلام وتطوره

1. القضاء زمن الرسول:

في هذا الموضوع سنتطرق الى تطور القضاء منذ عصر الرسول حتى العصر العباسي، لو نظرنا الى القضاء الذي كان في العصر الجاهلي قبل مجيىء الاسلام نلاحظ بانه لم يكن هنالك دستور او كتاب قوانين ثابت تسير علية القبائل في الجاهليه وانما اعتمد القضاه في هذا العصر على ما نسميه بالعُرف اي القوانين المتعارف عليها بين القبائل وعن طريق كبار مشايخ القبيلة في مجلس الملوك.

بقي الوضع هكذا حتى مجيىء الرسول حيث اصبح القضاء في عهد الرسول يعتمد على تعاليم القرآن وهو دستور مكتوب، وكان الرسول القاضي الاعلى بين المسلمين حيث كان يحضر المتخاصمين اليه ويحكم بينهم بطريقة الاثبات او حلف اليمين. ولم نرى في عهد الرسول مؤسسة قضائية فيها موظفين فكان الرسول هو الحاكم الوحيد والقاضي الوحيد واول من احتكم عند الرسول كانت قبيلة الاوس والخزرج وبعد انتشار الدعوة الاسلامية سمح الرسول لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس معتمدين في قضاءهم على القرآن وعلى السنه النبوية مثال على ذلك انه ارسل معاذ بن جبل للقضاء في اليمن.

تلخيص: اعتبر الرسول اول قاضي في الاسلام والمشرع للقوانين الاسلامية من خلال الايات والاحاديث فكانت هذه القوانين مستمدة من الله فحين عين معاذ بن جبل قاضيا على اليمن سأله الرسول: "بم تحكم" قال: "بكتاب الله" فسأله: "فان لم تجد" فاجاب: "بسنة رسول الله" ثم سأله: "ان لم تجد؟" فاجابه: "اجتهد رايي" فاعجب الرسول بهذا الجواب وطلب من القاضي ان يكون الحكم بالدليل واليمين لقول الرسول: "الحجة على من إدعى واليمين على من انكر" فكان القاضي يحكم بموجب الايات والاحديث وقد اشترطوا في القاضي ان يكون عادلا محبا للحق والا يظلم الناس ومعروفا بسيرته الحسنة.

2. القضاء زمن الراشدين:

أبو بكر الصديق:

استمر الخليفة ابو بكر في اتباع سيرة الرسول في القضاء وعين عمر بن الخطاب قاضيا في المدينة لمدة سنتين واعتزل عمر عن هذا المنصب لانه لم يأت احد ليتقاضى عنده خلال هذه المدة.

عمر بن خطاب: كان عمر أول خليفة عين قضاه في الولايات الإسلامية وقد حدد لهؤلاء القضاة منهجا للقضاء. فقد عين أبا الدرداء قضاي للمدينة وشريحا بن الحارث الكندي قاضيا للبصرة وأبا موسى الاشعري قاضيا للكوفة ثم جعل قضاء الشام قضاءا مستقلا. وكان الخلفاء يختارون القضاة من بين العلماء المسلمين بحكام الشريعة والمعروفين بتقوى الله وتحري العدل.

لقد ترسخت اسس القضاء في عهد عمر بن الخطاب والتي اصبحت اساسا للمرافعات القضائية. وكان القاضي في هذا العصر مستقلا محترما ويراعي في عملية اختيار القاضي ان يكون متعلما ومؤمنا وعادلا. كان القاضي يجلس للحكم في منزله ثم اصبح يعقد جلساته في المسجد ولم يكن له كاتب او سجل تدون فيه الاحكام، لان الامر لم يكن يدعوه الى شيء من ذلك فالقاضي هو الذي يحكم وهو المنفذ للاحكام ويطالب بتنفيذها فورا.

وبسبب اندماج العرب بغيرهم من الشعوب تطلبت الاحوال بتعيين قضاة ينوبون عن الخليفة في الاقاليم والمناطق. كان عمر اول من عين قضاة في الولايات وجعل القضاء مستقلا عن السياسة يحافظ فيه على الحدود بين المهمتين: السياسية والقضائيه.

3. القضاء زمن الامويين:

هذا القضاء كان استمرار ايضاً للقضاء في العصر الراشدي ولكن اختلف عنه بان القاضي كان يعتمد في قضائه بالاضافه الى القرآن الكريم والسنه الاجتهاد حيث لم يكن في هذا العصر مذاهب فقهيه ولم يتأثر القضاء بالسياسة اما الصفات التي كان يجب ان تتوفر في القاضي لانتخابه في هذا المنصب فكان العلم بامور الدين النزاهه الاقتداء بالائمه ومشاركة اهل الرأي والعلم، من هنا نلاحظ انه كلما ابتعدنا عن عصر الرسول والعصر الراشدي ازدادت الحاجه في الدوله الامويه الى الاجتهاد في امور الدين لاستنباط الاحكام الشرعيه.

وما يميز القضاء في تلك الفترة:

1. اهتم خلفاء بني امية بالقضاء لكنهم امتنعوا عن مباشرته بانفسهم بل قلدوه للمقربين لهم بالنسب او الولاة وذلك لانشغالهم بالجهاد والفتح وحماية الحدود وكان معاوية اول من عهد بالقضاء فعين فضالة بن عبيد الانصاري ولما مات عين مكانه ابا ادريس الخولاني
2. لم تقتصر اختصاصات القاضي على النظر في الاحكام والفصل في الخصومات بل امتدت في النظر في الاوقاف والوصاية على الايتام.
3. كما حافظ القضاء في هذا العصر كالعصر الراشدي على عدم التأثير بالسياسة اذ كان القضاه مستقلين في احكامهم لا يتأثرون بميول الدولة الحاكمة فكانت كلمتهم نافذه على الولاة وعمال الخراج.
4. ولم يكن تعيين القضاه وعزلهم متأثرا بتعاقب الخلفاء وتبدل الولاة او تغير الدول، فكان اغلب قضاة الدولة الامويه مضرب المثل في النزاهة والتجرد عن الميول الشخصي او التاثير بذوي الجاه والسلطان. وكانوا ايضا مطلقي التصرف وكلمتهم لها تاثير ومفعول على الولاه والمظفين في اجهزة الدولة.

5. وقد شهد هذا العصر تطور من حيث تسجيل الاحكام التي يصدها القاضي في سجلات خاصة، كانت تحفظ في بادئ الامر عند القاضي في منزله ثم صارت تحفظ فيما بعد في المسجد، وذلك حرصا على عدم حدوث تلاعب في الاحكام.

4. القضاء زمن العباسيين:

تطور نظام القضاء في الدولة العباسية تطورا كبيرا نتيجة طبيعية لاختلاف نظم الحياة العباسية عن الحياة الاموية.

أما المميزات التي تميز بها القضاء في هذا العصر فهي: (اسباب ضعف القضاء)

1. نشأة المذاهب:

اطلق على هذا العصر عصر أئمة المذاهب ففيه وضعت اصول الفقه وظهرت المذاهب الكبرى منها المذاهب السنية الاربعة. وصار القاضي من البلد السائد فيها ذلك المذهب يقضي بموجبه. فاذا تقدم متخاصمان على غير المذهب الشائع في بلد من بلدان اناب القاضي عنه قاضيا يدين ويتقن اصول مذهب المتخاصمين. وبتحديد المذاهب السنية الاربعة ضعف روح اجتهاد والرأي لدى علماء المسلمين.

2. خضع القضاة غالبا للاهواء السياسية:

اذا عمد بعض الخلفاء على حمل القضاة على السير وفق رغباتهم من الحكم امتنع كثير من الفقهاء عن تولي منصب القضاء خوفا من الحكم بما يخالف اصول الشريعة. اذ اعتذر ابو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي عن تولي منصب القضاء، عندما عرضة عليه ابو جعفر المنصور، فضربه 30 سوطا فأصر على الاعتذار فحبسه وقيل انه مات في حبسه.

3. قاضي القضاة:

اتخذ العباسيون نظام قاضي القضاة وهو بمثابة وزير العدل في ايامنا، وكان يقيم في حاضرة الدولة ويناط اليه امر تعيين القضاة في الاقاليم والامصار واول من لقب بهذا اللقب هو القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم وكان يطوف على القضاة ويتفقد احوالهم وسيرهم، وهو اول بدل لباس العلماء والقضاة وميزهم بلباس مخصوص بهم، بعد ان كانوا كسائر الناس.

4. اتساع سلطة القاضي:

اتسعت سلطة القاضي في هذا العصر فبعد ان كان ينظر في الخلافات المدينة والخصومات الجنائية، اصبح يفصل في الدعاوى والاوقاف وتنصيب الاوصياء وقد تضاف اليه الشرطة، والظالم والحسبة ودار الضرب وبيت المال، واحيانا حتى قيادة الجند.

5. اصبح في كل ولاية جملة من القضاة:

بعد ان كان قاض واحد لكل ولاية، وذلك تمشيا مع التطور الذي شهدته الدولة العباسية فصار في كل ولاية اربعة قضاة يمثلون المذاهب الاربعة ينظر كل منهم في النزاع الذي يقوم بين من يدينون بعقائد مذهبه.

شروط منصب القضاء:

1. الاسلام: فلا يجوز تولية غير المسلم القضاء بين المسلمين ويجب ان يكون القاضي ذات تقوى وخشية الله.
2. الذكوره: فلي للمراة ان تتولى القضاء.
3. البلوغ: لان الصبي لا يعقل لن يتولاها فهانك من يتولى امره.
4. العقل: فلا يجوز ان يتولى القضاء مجنون فبالعقل يستطيع ان يكون صحيح التمييز بين الامور.

5. الحرية: فلا يجوز للعبد ان يكون قاضيا لانه مملوك لاخر.
6. العلم: وهو العلم بالامور الشرعية التي تؤدي الى اجتهاد الراي. والعلم بالامور التي كانت قبله والاقتداء بالائمة السابقين.
7. سلامة السمع والبصر والنطق فلا يستطيع القاضي ممارسة عمله بصورة صحيحة بدون ان يكون سليم الحواس.
8. العدالة: ان يكون عادلا في سيرته الذاتية متجنبا للمحرمات والمكروهات والعدل في كل قضية وعدم الوقوع تحت تاثير الاخرين.
9. النزاهة: عن الطمع والصبر امام المتخاصيمين.

معاونو القاضي:

1. كاتبا لتسجيل الاحكام وحجج المتخاصمين.
2. خازنا لحفظ الدعاوى.
3. حاجبا لترتيب الخصوم على وقت حضورهم.
4. ترجمانا عند مقاضاة الاعاجم الذين لا يعرفون العربية.
5. اشخاصا يرسلهم لاحضار الخصوم.
6. شهودا يعتمد عليهم القاضي في اصدار حكمه.

محكمة النظر في المظالم (من مميزات القضاء في العصر العباسي)

نشاتها:

لم يجلس للمظالم احد من الخلفاء الراشدين الا عليا لكنه لم يفرد يوما لسماع المظالم بل كان ينظر الى شكاوي المتظلمين ويعمل على انصافهم فورا.

بالنسبه لمحكمة المظالم فقد كانت تعتبر محكمه النظر في المظالم بمثابة محكمة استئناف عليا في الدوله حيث كانت تعرض اليها القضايا التي كان يعجز عنها القضاه المحليين، كان الهدف الاساسي من وضع محكمة المظالم هو منع

تعدي اصحاب المناصب العليا على الرعيه اي على عامة الشعب، لهذا كان الهدف منها هو تحقيق العداله الاجتماعيه بين الناس وهذا سنلاحظه من خلال صلاحيات قاضي النظر في المظالم ومن خلال القضايا التي كانت ترفع لهذه المحكمه.

اما عن نشأة محكمة المظالم والتي كانت تعقد وقت الحاجه قد بدأت في عهد الخليفه الاموي عبد الملك بن مروان حيث كان يجلس في المسجد ويستعرض قصص المظلومين واذا عجز عن حل قضيه معينه كان يعطيها الى قاضيه ابن ادريس الازدي. اذا بدات محكمة المظالم في عهد عبد الملك بن مروان ثم توقف نشاطها في عهد هشام بن عبد الملك، وعادت وظهرت من جديد كجزء من النظام القضائي العام في الدوله العباسيه. كانت هذه المحكمة تنعقد تحت رئاسة الخليفة او الوالي او من ينوب عن احداهما او الوزير اذا كانت وزارته وزارة تفويض.

و في العهد العباسي انشا المهدي ديوانا دعي ديوان النظر في المظالم الذي يعتبر بمثابة هيئة تحكيم عليا او محكمة استئناف تبت في القضايا التي عجز فيها القاضي العادي عن تنفيذ حكمه في قضية تتبع لعلية القوم.

هدفها:

عملت هذه المحكمة في النظر في القضايا التي عجز القاضي العادي عن تنفيذ حكمه فيها خاصة قضايا الرجال من علية القوم او ما يستانفه المتقاضون لاعتقادهم ان القاضي لم ينصفهم، فهي اذا لوقف تعدي ذوي الجاه والحسب والنسب، كما تنظر في مظالم الرعية من جانب موظفي الدولة.

اما اسباب نشوء هذه الهيئة:

1. اتساع الدولة وكثرة القضايا والتعقيدات فيها.
2. وقوع القضاة تحت تاثير الخط السياسي السائد في البلاد، لهذا نشات هذه الهيئة لاحلال العدل في الدولة على اسس الشريعة.

3. استغلال الولاة في بعض الفترات ضعف الخلفاء والهيئات الادارية العليا فكانوا يجورون على الناس ولا ينصفوهم.
4. تحقيق العدل في الدولة على اسس الشريعة الاسلامية.

شروط قاضي المظالم:

الذكورة – الاسلام – الحرية – العدل – فضلا عن كونه جليل القدر – نافذا الامر – قليل الطمع وكثير الورع.

مجلس قاضي المظالم:

ينعقد مجلس النظر في المظالم في قصر الخلافة، او في المسجد وربما في دار العدل، ويوقع الخليفة على المظالم كما يوقعها بعده ناظر المظالم وتكون بعد ذلك قابلة للتنفيذ. اذن فهي تعقد تحت رعاية الخليفة نفسه اوالوالي في الولاية او من ينوب عن احدهما او وزيرللتفوييض.

ولكن محكمة المظالم لا تنعقد الا بحضور خمسة:

1. الحماة والاعوان: للاخذ على يد القوي وتقويم الجريء وردعه أي مجموعة من الناس تحمي المتهم.
2. القضاة والحكام: لاستعلام ما يثبت عندهم من الحقوق وما يجري في مجالسهم بين الخصوم.
3. الفقهاء: للرجوع اليهم فيما اشكل ولسؤالهم عما اشتبه واشكل من المسائل الشرعية.
4. الكتاب: لاثبات وتدوين ما جرى بين الخصوم وما توجه لهم اوعليهم من الحقوق.
5. الشهود: للشهادة على ما اوجب من الحقوق وامضى من الاحكام والاستعانة بمعلوماتهم عن الخصوم وان ما اصدر من الاحكام لا يتنافى مع العدل.

صلاحيات قاضي المظالم وانعكاس العدالة الاجتماعية:

1. النظر في تعدي الولاه والحكام على الرعية. أي الوقوف الى جانب الرعية وانصافها ضد تعدي الولاه ووقوف قاضي المظالم مع المظلومين وخاصة عامة الشعب والطبقات الفقيرة.
2. النظر في ظلم عمال الخراج فيما يجمعونه من اموال وعلى القاضي العودة الى قوانين الدواوين للنظر فيها وله السلطة في رد الزيادة التي دخلت الى بيت المال وفي استرجاع ما قد يكون الولاة اخذوه لانفسهم مستغلين مركزهم السياسي والاجتماعي على حساب الشعب.
3. ينظر القاضي في مدى عدالة كتاب الدواوين فيما يدخلونه او يصرفونه من اموال دواوين الدولة. فيلقى على القاضي مهمة فحص مدى صدق كتاب الدواوين لمنع الغش او التزوير ومراجعة ما يكتبوه الكتاب في الدواوين وهذا تماشيا بالشريعة الاسلامية لمنع الغش.
4. رد الغصوب: الغصوب السلطانية أي ما ياخذه الولاة من غير حق كالاملاك اما لرغبتهم فيها او للتعدي على اهلها وغصوب يتغلب عليها اصحاب السطوة والقوة والقاضي يحكم برد الحق الى اصحابه أي رد اموال وممتلكات الغصوب والتي اخذت عنوة. في كلتا الحالتين يقوم قاضي المظالم بردها اذا قدموا تظلمهم له.
5. النظر في تظلم المسترزقة أي الموظفين في نقص ارزاقهم او تاخيرها عن وقتها. على القاضي متابعة النظر في هذه المسالة والحفاظ على دفع المرتبات في الوقت المحدد والحفاظ على عدم النقص في مرتبات وهذا للحفاظ على مستوى اجتماعي اقتصادي لهذه الطبقة العاملة – الموظفين.
6. تنفيذ ما عجز عن تنفيذه القضاة من الاحكام اما لقوة وسطوه صاحبها او لخطره. ان القاضي المظالم كممثل عن اعلى هيئه قضائيه في الدولة الاسلامية فتقع عليه مسؤولية الحسم في كل قضية تنتقل اليه من القضاء العاديين او من المحتسب فلديه قوة قضائية عظمى لحل المشاكل المستعصية والصعبه وارجاع

الحق لاصحابه ومعاقبة الاشخاص اصحاب السطوه والذين يشكلون خطرا على المجتمع والحفاظ على العدالة الاجتماعية من منطلق حماية الضعفاء ذوي السطوه والقدرة.

7. المحافظة على اقامة العبادات كايام الاعياد والحج والجهاد بحيث لا يحصل تقصير فيها او اخلال لشروطها – أي ان القاضي يسعى للحفاظ على اركان الدين الاسلامي والشرعية الاسلامية ومن هذا المنطلق فعليه الاستمرار بمراقبة كل الامور الدينيه واتباعها وفقا للدين الاسلامي. فهذه الناحية الدينية والحفاظ عليها تعتبر جزءا لا يتجزء من العدالة الاجتماعية لان الدين الاسلامي نظم حياة المسلمين في جميع النواحي وايضا من الناحية الاجتماعية والحفاظ على الدين أي الحفاظ على العدالة الاجتماعية.

8. النظر ما بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين. على القاضي فحص مدى صدق كل شخص وعليه ان يحكم بينهم بموجب السنة والقران الكريم وارجاع الحق والعدالة للشخص الصادق والذي يستحق ذلك. ومن هنا فمن واجب القاضي ترسيخ العدالة الاجتماعية وارجاع الحق لاصحابه تقليدا للرسول الذي كان يجمع بين المتخاصمين ويحلفهم يمين الولاء ومن ثم يفحص مدى صدق كل شخص ويحكم بالاعتماد على مصادر الشريعه الاسلامية واجتهاد الراي.

كيف ساعد تطبيق هذه الصلاحيات في تعزيز العدالة الاجتماعية في المجتمع الاسلامي؟

بنصرها للضعفاء وذوي القدرة الاقتصادية المحدودة وخاصة اوقفت ذوي الجاه والحسب ضد الفقراء وعامة الشعب.

قاضي المظالم اعلى قدرا من القاضي العادي لان:

- لناظر المظالم من السلطات ما يفوق سلطة القاضي.

- النظر في المظالم اشمل مجالا من القضاء كما ان لديه من الاساليب ما يتفوق به على القضاة.
- كما ان له ان يؤدب من ظهر ظلمة بالتقويم والتهذيب.
- ولناظر المظالم ان يتمهل في الحصول على الادلة ليثبت ما يريد اثباته.
- ويمكن لناظر المظالم ان يرد الخصوم املا في الزام المتخاصمين بالكفالة.
- وله ان يستحلف الشهود ويزيد من اعدادهم حتى يتبين له الحق.
- من سلطاته استدعاء الشهود لسؤالهم عما لديهم وما يعرفون في تنازع المتخاصمين.

نشأة وتطور الإدارة الإسلامية:

تجسدت مظاهر الإدارة في الإسلام باديء ذي بدء من خلال الإدارة الحكومية، والحكومة هي الذراع المنفذ للسياسة العامة في الدولة، ويمكن القياس على الوظائف الإدارية على مستوى الحكومة لتبنيها على مستوى الإدارات الأخرى كإدارة الأعمال (الإدارة في المنظمات أو ما تسمى بالإدارة الخاصة في بعض المراجع).

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم 13عاما في مكة المكرمة من أجل الدعوة باذلا أقصى الطاقات وأسمى التضحيات تأسيسا للقيم وأخلاق المرتكزة على محاربة الوثنية بجميع أشكالها ومقاومة الشرك وكل أنواع التخلف الفكري والعقدي والإنساني والارتفاع من حضيض الجهل والبؤس والذل والخوف والعبودية والظلم إلى ذروة العلم والسعادة والكرامة والأمن والحرية والعدل، وظل في دوره هذا بأمر من الله عز وجل دون تملل أو تقهقر أو يأس بالرغم من المعاناة الشديدة التي تحملها والضيم الكبير الذي لاقاه والتحدي العظيم الذي واجه به كبار زعماء المشركين حتى كتب الله تعالى له الفرج وأذن له بالهجرة إلى المدينة المنورة التي فيها تكونت الحكومة الإسلامية الأولى (الإدارة العامة).

1. مراحل الإدارة الإسلامية:

مرت الإدارة الإسلامية بخمس مراحل أساسية هي على النحو التالي:

- المرحلة الأولى: وهي العصر النبوي الذي بدأ من السنة الأولى للهجرة (622)م إلى السنة 11هجرية (632).
- المرحلة الثانية: وهي عصر الخلفاء الراشدين الذي بدأ من سنة 11هجرية (632) إلى سنة 40 هجرية (660).
- المرحلة الثالثة: وهي العصر الأموي الذي استمر من سنة 41 هجرية (661) إلى سنة 132هجرية (749).
- المرحلة الرابعة: وهي العصر العباسي الأول والثاني الذي استمر من سنة 132 هجرية (749)إلى 656هجرية (1258م).
- و يعتبر العصر الفاطمي والمملوكي امتدادا للعصر العباسي حيث استمر إلى 923هجرية (1517)م.
- المرحلة الخامسة: وهي العصر العثماني الذي استمر في الحكم إلى أن ألغى مصطفى كمال أتاتورك منصب الخلافة الإسلامية 1343هجرية (1924)م.

ملامح المرحلة الأولى (العصر النبوي):

من ملامح المرحلة الأولى الخاصة بالعصر النبوي العظيم الآتي:

أولا توفير الأمن والأمان لأفراد المجتمع الجديد:

و ذلك من خلال الأساليب التالية:

1. المؤاخاة بين أفراد المجتمع الجديد على أساس واحد ومتين وهو العقيدة الإسلامية بشكل يضمن التآخي والمحبة المتبادلة بينهم، ويتحقق الاتحاد والتآلف فتظهر الأمة الموحدة.

2. حماية المجتمع الجديد (الدولة الجديدة) من العناصر الأجنبية المناوئة لدين الإسلام كاليهود مثلا وذلك عن طريق عقد معاهدة أو اتفاقية حسن جوار وتفاهم بين المسلمين واليهود.

و من اجل تحقيق هاتين الخطوتين عكف الرسول عليه الصلاة والسلام منذ وصوله إلى المدينة المنورة على رسم السياسة العامة ووضع التنظيم الملائم فأصدر وثيقة وهي الصحيفة والتي يمكن اعتبارها بالمفهوم السياسي المعاصر دستورا تنظيميا للدولة الجديدة، والتي نستعرضها كما يلي باختصار:

- المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس.
- هؤلاء المسلمون على اختلاف قبائلهم يتعاقلون بينهم، ويفدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- إن المؤمنين لا يتركون مفرحا(مثقلا بالديون) بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل.
- إن المؤمنين المتقين على من بغي أو ابتغى دسيعة (عظيمة) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم.
- لا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن.
- إن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن في قتال في سبيل الله إلى على سواء وعدل بينهم.
- ذمة الله واحدة، يجير عليها أدناهم، والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس.
- لا يحل لمؤمن أقر بما في الصحيفة وءامن بالله واليوم الأخر أن ينصر محدثا أو أن يأويه.
- اليهود ينفقون مع اليهود ما داموا محاربين.
- يهود بني عوف امة مع المؤمنين ولليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وبيته.
- إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

- كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فان مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله.
- من خرج من المدينة آمن ومن قعد آمن، إلا من ظلم وأثم.
- إن الله على من أصدق ما في الصحيفة وابره، وإن الله جار لمن بر اتقى.

ويقسم الكتاب فحوى هذه الصحيفة إلى أربعة أقسام هي:

القسم الأول: وقد عنى فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام ببيان الحال التي كانوا عليها، فإذا كان ثمة مأزق فهناك الدية والفداء بالحق والقسطاس المستقيم.

القسم الثاني: وقد عنى فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام بالوقوف أمام البغي في أي صورة من الصور، كشف أبواب المهادنة والمسالمة لمن يريد السلام، وعن أبواب الحرب القتال والإجارة لمن يأبى إلا القتال.

القسم الثالث: وقد عنى فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام بوضع أسس وقواعد الدفاع في حالة العدوان الخارجي الذي يقع عليه مع بيان تأمين دينات أهل الكتاب المجاورين والقاطنين معهم، وأن لهم ما للمسلمين إلا من ظلم، وأي تحرك من جانب هذه الفئات اليهودية يجب أن يتم بعلم الرسول.

القسم الرابع: تناول هذا القسم الإجارة وحالة المصالحة وإن حقوق جميع من تشملهم الوثيقة مكفولة، وإن حالة الأمن مكفولة للطرفين.

و في ظل هذه الوثيقة الأولى من نوعها في تاريخ البشرية ظهر كل دواعي الأمن والأمان.

ثانيا: جعل المدينة المنورة منطلقا للدعوة ومركز إشعاع للدين الإسلامي، حيث أصبحت العاصمة السياسية الأولى للدولة الجديدة، ومن اجل تحقيق هذا الغرض كان اول مشروع نفذه الرسول صلى الله عليه وسلم، هو بناء مسجد قباء الذي كان بالفعل جامعا وجامعة ومجمعا (برلمان للأمة).

ثالثا: طرد اليهود من المدينة المنورة لنكثهم العهود والمواثيق، ولما كان بين المسلمين بين اليهود وثيقة وعهد أعطى بها الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود حرية العبادة وحق الحياة أصبحوا مواطنين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين من واجبات بما يتفق والديانتين، إلا أنهم ارتكبوا خطأ فادحة وحماقة بالغة عندما طعنوا المسلمين من الخلف وخدعوهم وهم مواطنون، وهذا ما يسمى في المعجم السياسي الحديث (الخيانة العظمى)، فمنهم من تآمر على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم مثل بني النضير ومنهم من استفز أحد المسلمين واجتمعوا عليه وقتلوه مخالفين بذلك المعاهدة، ومنهم من تحالف مع كفار قريش يوم الأحزاب، وما كان من الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن قاتل المعتدين الذين سفكوا الدماء وأجلى البقية منهم من المتآمرين إلى خارج المدينة المنورة بعد مهادنة طويلة لم تثمر قط.

رابعا: ظهور شكل جديد من أشكال الحكم لم يكن معهودا من ذي قبل إذ يتميز بالشورى في الحكم، فكم عانى الناس قبل الإسلام من أساليب القهر والظلم والاستبداد التي تمارسها الطبقة الحاكمة، فالإسلام جعل الشورى أمرا إجباريا على الحاكم يجب أن يلتزم به ويحرص عليه.

خامسا: ظهور شكل جديد من أشكال التنظيم الإداري لم يكن معروفا في السابق لأنه يرتكز أصلا على روح التعاون الخلاق بين الأفراد، ويعمل على محاربة كل أنواع الصراعات والنعرات الطائفية الطبقية والقبلية التي شقي الناس بها في الجاهلية وعانوا منها كثيرا.

كما أن هناك جانبا من التنظيم الإداري الإسلامي لم يعرف حتى الآن في الفكر الإداري الحديث، ألا وهو التنظيم المركزي المرن وكذلك غير المركزي، فالمعروف اليوم هو التنظيم المركزي وغير المركزي، أما المركزي المرن فهو الجديد في الأمر وهو باختصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقر ما يحكم به أصحابه بين الناس أثناء غيابه لعذر كالنوم أو المرض أو الغزو بل حتى وفي حضوره

أحيانا فيروى عن جميل بن عبد بن يزيد المدني قال ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه قضاء قضى به علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت" ويذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يحكم في بعض القضايا، فقال عمر: أجتهد وأنت حاضر؟ فقال: نعم، إن أصبت فلك أجران وإن أخطأت فلك أجر.

و أخيرا إن من ابرز ما يمكن استخدامه كدليل ملموس للتنظيم المركزي المرن هو ما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمام رسول الله مخاطبا الرجل الذي اخذ سلب قتيل من المشركين ليس له فيه شيء لأن قاتله آخر وهو أبو قتادة إذ قال هذا الرجل: "سلب هذا الرجل عندي، فأرضه عني سلبه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا والله، أتعمد إلى أسد من أسود الله يقاتل عن دين تقاسمه سلبه؟ أردد عليه سلب قتيله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صدق، أردد عليه سلبه".

و الظاهر أن هذا قد كان من أبي بكر اجتهادا في حضرته عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه كرأي له في الأمر، فأقره الرسول عليه.

و كما أن التنظيم الإداري غير المركزي ضرورة يقتضيها بعد المسافات بين المدن والعاصمة الإسلامية المدينة المنورة وهو أمر طبيعي أن يحصل المسئول على تفويض من القائد كما حصل معاذ بن جبل المبعوث إلى اليمن وعتاب بن أسيد المعين في مكة المكرمة وغيرهما، فإن التنظيم المركزي المرن ظهر في العاصمة وبوجود النبي عليه الصلاة والسلام وصحبه لحكمة بالغة أرادها المصطفى وهي تهيئة قيادات إسلامية تدريبهم من أجل مستقبل افضل لحكم وإدارة شؤون الأمة الإسلامية.

سادسا: ظهور تنظيمات اجتماعية في صورة جديدة لم يعهدها الناس في السابق، مثل تحريم الخمر ولعب الميسر ووأد البنات وقتل النفس بغير حق والكذب

والنميمة والغيبة والحث على التواضع والصدق، ومحبة الآخرين واحترامهم ومحاربة الفوارق الاجتماعية وإقناع الناس بأن أفضلهم عند الله أتقاهم.

كما شملت هذه التنظيمات الاجتماعية داخل الأسرة احترام الوالدين وحقوق الزوجين وأمورا تربوية مختلفة، وقد عملت هذه التنظيمات الإدارية على إرساء قواعد التراحم الإنساني والتكافل الاجتماعي.

سابعا: ظهور تنظيمات مالية لم يعرفها المجتمع آنذاك من قبل كالزكاة والغنائم والجزية.

ثامنا: ظهور معايير جديدة لمن أراد أن يلتحق بالسلك الوظيفي في الدولة الإسلامية، مثل القوة والعلم والأمانة، كما ظهرت قاعدة الكفاية حيث أن لها مفهوما إداريا واقتصاديا في حياة الموظف الذي يتلقى أجرا معينا شهريا مقابل عمله ولا يكفيه لتلبية حاجاته الأساسية فإن الحاكم يقوم بتغطية هذا العجز من بيت مال المسلمين حتى لا يفكر الموظف في أي ممارسة غير شريفة لإشباع هذه الحاجات.

تاسعا: ظهور معايير رقابية للنشاط الإداري لم تعرف من قبل، وقد أجملتها الآية الشريفة: "و قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. . . " (من الآية 105 : سورة التوبة).

و تشير الأية إلى ثلاثة أنواع من الرقابة: الرقابة الذاتية، والرقابة الإدارية، والرقابة الشعبية.

عاشرا: تمام الدين الإسلامي باكتمال أركانه الخمسة.

إحدى عشر: خضوع كامل جزيرة العرب للحكومة الإسلامية، حيث لم يلحق الرسول عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى حتى دان له عرب الجزيرة عن بكرة أبيهم ودخلوا في دين الله أفواجا، وعين على كل مدنهم وثغورهم أمراء وقضاة

مثل أبي العلاء الحضرمي على البحرين ومعاذ بن جبل على اليمن عتاب بن أسيد على مكة المكرمة.

ملامح المرحلة الثانية (عصر الخلفاء الراشدين):

رغم البساطة التي تتسم بها الإدارة الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنها وضعت للمجتمع الإسلامي نواة التنظيم الإداري الذي سار عليه الخلفاء الراشدون الذين أضافوا إلى هذا التنظيم ما وجدوه ضروري، وما أملته ظروف حياتهم، وما اجتهدوا فيه من أجل خدمة مصالح الأمة. -

أما النظام الإداري للدولة الإسلامية في عهدالصديق رضي الله عنه فهو امتداد للنظام الإداري في عهد النبوة، إلا أن بعض عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوا أن يعملوا لغيره، ومع ذلك فقد صار الصديق على النهج الذي عايشه في عصر النبوة، كما اتخذ الفاروق وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وزيرين له، وتولى له الفاروق عمر رضي الله عنه - بالإضافة إلى ذلك - القضاء، وقام أبو عبيدة بن الجراح على بيت المال.

أما مجلس شوراه فكان يتكون من الفاروق عمر، وذي النورين عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومن بينهم كان عثمان بن عفان وزيد بن ثابت يكتبان له.

وولّى الصديق رضي الله عنه العمال على الأقاليم والبلدان داخل شبه الجزيرة العربية وخارجه: فكان عتاب بن أسيد واليا على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، والمهاجر بن أبي أمية على صنعاء، وزياد بن أبيه على حضرموت، ويعلى بن أمية على خولان، والعلاء بن ثور الحضرمي على زبيد وزمع، ومعاذ بن جبل على الجند، وعبد الله بن ثور على جرش.

وكانت أجناد الإسلام في عهده في الشام، وقوادهم: أبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان. وقواد المسلمين في العراق: عياض بن غنم الفهري، وكان خالد بن الوليد القائد العام على جميع الأجناد.

وفي عصر الفاروق رضي الله عنه شهد النظام الإداري نقلة حضارية كبرى تمثلت في مدى اهتمام الخليفة وعنايته الفائقة بالنظم الإدارية، ففي عهده رسخت التقاليد الإدارية الإسلامية. ويقول الطبري: في هذه السنة 15هـ 636-م فرض عمر للمسلمين الفروض ودوّن الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة. وهذا يؤكد مرونة العقلية الإسلامية وقبولها لتطوير نفسه، وتمثل هذا في اهتمام الفاروق رضي الله عنه بتنظيم الدولة الإسلامية إداري، وخاصة أن الفتوحات الإسلامية قد أدت إلى امتداد رقعة الدولة الإسلامية في عهده، ففصل السلطة التنفيذية عن السلطة التشريعية وأكد استقلال القضاء، كما اهتم بأمر الأمصار والأقاليم ووطد العلاقة بين العاصمة المركزية والولاة والعمال في أجزاء الدولة الإسلامية. وكان عمر رضي الله عنه شديدا مع عمال الدولة الإسلامية، كان يوصيهم بأهالي الأقاليم خير، فيروي الطبري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس يوم الجمعة فقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، إني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم، وأن يقسموا فيهم فيئهم، وأن يعدلو، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إلي. . . .

وشهد عصره إضافة إلى ذلك تنظيمات إدارية متنوعة فوضع أساس بيت المال ونظم أموره، وكان يعسُّ ليلا ويرتاد منازل المسلمين، ويتفقد أحوالهم، وكان يراقب المدينة ويحرسها من اللصوص والسُرّاق، كما كان يراقب أسواق المدينة ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم وهو في هذا كله يتأسّى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. . . .

في عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه شهدت المدينة تطورات إدارية محدودة وإن كانت على درجة من الأهمية، فقد تحول العسس الذي كان في العهود السابقة إلى نظام له أصول وقواعد ومهام محددة هو نظام الشرطة، ومع ذلك يمكن القول: إن الأوضاع الإدارية سارت على ما كانت عليه في عهد الفاروق، وربما يرجع السبب في محدودية الإضافة للنظم الإدارية في المدينة إلى اضطراب الأقاليم والظروف السياسية التي مرت بها الدولة الإسلامية مما أعاق خليفة المسلمين عن إحداث تطورات جذرية فيها بشكل يتناسب مع المدة التي قضاها ذو النورين خليفة للمسلمين.

وكذلك كانت الأحوال في عصر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقد كان شديدا في الحق يعدل في الرعية، وعرف عنه أنه كان يقسم ما في بيت المال لا يترك فيه شيئ، من ذلك ما فعل بعد بيعة أهل البصرة حيث نظر في بيت مالها فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة، فقسمها على من شهد معه الوقعة. ويمكن أن نستنبط من خطب علي كرم الله وجهه نظمه الإدارية وأوامره وتوجيهاته لعمال الأقاليم.

و في سنة ست وثلاثين فرق علي كرم الله وجهه عماله على الأقاليم؛ فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام لكنه لم يصل إليها، وعاد إلى المدينة التي اختلطت فيها الأمور، وخاصة أن ولاة عثمان في البلدان قد تأثروا بمقتله.

المرحلة الثانية(تابع):

ختاما لهذه المرحلة نود أن نعرض اختصارا أهم الانجازات في مجال الادارة الاسلامية عموما وادارة الدولة الاسلامية على وجه الخصوص في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم:

- اعادة بناء الدولة الاسلامية وتثبيت ركائزهاو ربط حياة الفرد والجماعة سياسيا واقتصاديا واداريا واجتماعيا.
- توسع مفهوم الدولة وظهور نوع جديد من التنظيم الإداري المتمثل في ظهور الداوين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- توسع المفاهيم الرقابية على الأعمال الإدارية لموظفي الحكومة الاسلامية.
- ظهور ما يسمى في الوقت الراهن بالادارة المحلية حيث قسمت مناطق الدولة الاسلامية الى ولايات.
- ظهور اجراءات تعيين جديدة لمن يتم اختياره في لشغل منصب حساس في الدولة الاسلامية.
- تطور الانظمة المالية في هذه المرحلة ايرادا وصرفا باسلوب مركزي.
- ظهور طوائف وفرق جديدة من جراء الفتنة الكبرى التي المت بالأمة الاسلامية في نهاية المرحلة الثانية للحكومة الاسلامية.
- تداول نقود تم سكها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الحسبة: (من مميزات القضاء في العصر العباسي):

ما المقصود بالحسبة؟

الحسبة عند اللغوين تعني الانكار والردع فنقول احتسب عليه الشيء أي انكره عليه او كفه عنه. وهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر" وقد تركز عمل المحتسب في السوق ولهذا فقد عرف ايضا باسم صاحب السوق.

أي ان اساس الحسبة منع الناس من الغش وارتكاب الممنوعات المخالفة للشرعيه الاسلاميه. أي انها وظيفة دينية اجتماعيه اقتصاديه واخلاقية.

نشأة الحسبة:

اختلف المؤرخون حول منشأة الحسبة:

- فقال بعضهم ان الرسول كان اول محتسب في الاسلام لانه نهى عن الغش اذ قال" من غشنا فليس منا"
- وقال اخرون ان عمر بن خطاب اول من وضع نظام الحسبه فكان يطوف في الشوارع والاسواق وسوطه بيده. ويراقب ما يجري بالسوق وقد ضرب جمالا قائلا له "حملت جملك ما لا يطيق" وكان يتفقد اوضاع الناس والمعاملات داخل السوق.
- كما ان البعض الاخر يقول ان الحسبه نشأت في العهد العباسي ولكنهم اختلفوا حول تاريخ نشؤها في عهد الرشيد او في ايام المهدي او ايام الهادي المأمون.

1. الحسبة والقضاء:

كانت سلطة القاضي موزعة بينه وبين المحتسب وقاضي المظالم فوظيفة القاضي: حل المنازعات المرتبطة بالدين بوجه عام، ووظيفة المحتسب: النظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنايات. ووظيفة قاضي المظالم: الفصل فيما استعصى من الاحكام على القاضي والمحتسب. فوظيفة المحتسب اذا وسط بين القضاء والنظر في المظالم.

ويشترط في المحتسب ان يكون: من المشهود لهم بالعلم والمعرفة والفطنة وذات علم بالقضاء لان عمله مرتبط بالقضاء ان يكون حرا عادلا ذا راي وصرامة وخشونة وعلم في الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة، لذا كان يتولاها شخص وجيه في دينه ودنياه، نزيه عفيف عن اموال الناس، نشيط قوي جريء شديد في الحق.

اعمال المحتسب:

1. مراقبة التجار وارباب الحرف: أي مراقبة كل صاحب مهنه يكتسب منها مهما يكن نوع هذه المهنه حتى الاطباء اذ كان يجبر الطبيب على دفع دية المريض اذا مات بسبب سوء تصرفه. أي مراقبة عمل هؤلاء وكيفية تادية الخدمات من قبلهم بالوجه الشرعي الصحيح.
2. مراقبة الاسعار والموازين: فهو يمنع الزياده او النقصان او الكيل وفي الاسعار مما يعود بالضرر على المشترين.
3. مراقبة الاخلاق العامة: كمنع شرب الخمور، ومنع الناس من تعاطي اعمال السحر او الكهنة ثم منع الرجال من التعرض ومضايقة النساء في الطرقات. . .
4. مراقبة العبادات: ياخذ المسلمين بصلاة الجمعة والجماعة والاعياد ويمنعهم من الافطار في رمضان ويعنى بنظافة الجامع وهيبته.
5. مراقبة الابنية والطرقات: فيامر بهدم الابنيه البارزة ويمنع فتح النوافذ في الابنية التي تشرف على غيرها ويدعوا اصحاب الدور المتداعية الى هدمها ورفع انقاضها ويراقب البسطات في الاسواق فيمنع ما يضر منها بحركة المرور.
6. اعمال مختلفة:

- اجبار السادة بمعاملة عبيدهم وامائهم معاملة حسنة.
- اجبار ارباب البهائم على اطعامها وان لا يستعملوها فيما لا تطيق.
- جمع وحفظ الاشياء الضائعة واعادتها الى اصحابها.
- منع معلمي الكتاب من ضرب الصبيان ضربا مبرحا.
- السهر على الاطفال اللقطاء والتكفل بهم.
- منع الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل.

الفصل الرابع

العقوبات:

1. يقوم المحتسب باتلاف البضاعة الفاسدة حال ضبطها.
2. سكب الخمور.
3. منع التاجر الغشاش من ممارسة عملة حتى اغلاق محله التجاري واعلان اسمه تشهيرا حتى يتجنبة الناس واهانته في المجتمع.
4. لجأ المحتسب الى الحبس الفعلي، النفي من البلد، التوبيخ بالقول او الضرب بالسوط واحيانا كان يلجأ الى تقديم النصح والتوجيه مهددا المذنب بعدم العودة الى فعلته.
5. اتباع طريقة التشهير او التجريس أي الاهانة بالتشهير وذلك بان يلزم المذنب ركوبه دابته بالمقلوب ويطاف به في شوارع الاسواق او الشوارع وازقه المدينه بلباس خاص على راسه طرطور ومكبلا بالقيود والاجراس ليطوف به في الشوارع وتعلق في صدره يافطة كتب عليها ويقرع الجرس ويقول بصوت عال عن جرمه واستحقاقه هذه الاهانة.

ففي ايام الفاطميين مثلا كان اذا كذب احد التجارعلى احد المشترين او باع باكثر من الثمن، فانه يدفع بالتجار على الجمل ويعطي جرسا بيده ويطوف به في المدينة وهو يدق الجرس ويقول: : قد كذبت وها انا اعاقب. وكل من يقول الكذب فجزاؤة العقاب".

وكان المحتسب ينظر في ثلاث دعاوى وهي:

- البخس والتطفيف في كيل او وزن.
- الغش او كتمان عيب السلعة عن المشتري في بيع او ثمن.
- المماطلة والتاخير في تسديد دين مع القدرة على الدفع.

طبقات المجتمع الاسلامي:

شمل المجتمع الاسلامي العباسي اهل الذمة والموالي والرقيق وهؤلاء شاركوا في صنع المجتمع الاسلامي وتوزعوا بين طبقاته على اساس الحالة الاقتصادية والاجتماعية على الاغلب.

ما هي المقاييس التي بموجبها تم تقسيم المجتمع العباسي ؟:

أ. المقياس الديني: اي مسلم او غير مسلم. والمقصود العرب المسلمين وهم الحكام والخلفاء وباقي السكان من المسلمين العرب واهل الذمة من يهود ونصارى داخل نطاق الدولة الاسلامية. فقد تم التقسيم على اساس ديني حيث ان اهل الذمة(غير المسلمين) لهم حقوق وواجبات داخل الدولة الاسلامية كمواطنين وهذا بموجب الاتفاق الذي تم معهم، اذ بموجبه عليهم دفع الجزية وحددت حقوقهم وواجتهم في الدولة الاسلامية وكيفية التصرف وكان وضعهم الاجتماعي يتارجح حسب سياسة كل خليفة والوضع السياسي في تلك الفترة.

ب. المقياس القومي: اي عرب وغير عرب اي الموالي من الفرس والاتراك. قسم المجتمع الاسلامي ايضا بهذه الطريقة حيث ان الموالي هم اسرى حرب اعتنقوا الديانة الاسلامية وهم من اصل غير عربي. ولهذا فكان المواي اقل درجة من العرب وقد عانوا من التفرقة والتمييز الاجتماعي لكونهم غير عرب فثاروا عدة مرات ودعموا العباسيين واسقطوا الدولة الاموية. وذلك مقابل العرب وهم حكام الدولة ومنهم الخلفاء وعامة الشعب وذلك قبل الفتوحات واختلاطتهم مع شعوب البلاد المفتوحة.

ج. المقياس الطبقي – الاجتماعي:

أ. مثل طبقة الخاصة والعامة في المجتع البغدادي.

فكانت طبقة الخاصة_ من اصحاب الخليفة من ذوي المناصب ومن اقربائه، ومن رجالات الدولة البارزين كالوزراء والكتاب والقواد والاشراف والقضاة وبعض

المقربين من اهل الفن والعلماء واهل الادب. وكان هؤلاء الخاصة يختلفون نفوذا وسطوة باختلاف الخلفاء الظروف المحيطة بهم. وتميز ابناؤها بالمركز السياسي والاجتماعي والاقتصادي الرفيع.

اما طبقة العامة فقد شكل عامة بغداد الغالبية ال من سكان المدينة وكانوا اصول بشرية متعددة منهم اخلاط من العرب والفرس والترك والاكراد والبربر وغيرهم....

وتميزوا بكثرة عددهم ولم يكونوا من اصحاب السلطة ودعوا بالسوقة، اصبحت كلمة مرادفة لكلمة عامة. اما الذين ينتمون الى العامة فهم: اهل المهن- الصناع – التجار الخدم – الفلاحون – الجند اللصوص – الشطار والعيارون.

كانت ابرز صفات العامة الجهل وهكذا الامر في الثقافة العامة والامور الدينية. وكان الخلفاء يتجسسون على العامة باستمرار لمعرفة ما يتحدثون به وقد ولى بعضهم شخصا خاصا مهمته التجسس على العامة.

ب. ويمكن ايضا هنالك فروق طبقية – اجتماعية بشكل عام داخل المجتمع الاسلامي: بين طبقة الحكام كطبقة ارسقراطية عليا وبين الطبقات الاخرى في المجتمع مثل: الرقيق، طبقة الفلاحين والزراع وطبقة اصحاب المهن.

د. مقياس اقتصادي: فقد قسم المجتمع الاسلامي لا سيما بالعصر العباسي لطبقات اقتصادية مثل: طبقة ذوي المهن وطبقة الفلاحين. اي ان المجتمع الاسلامي بني على اسس اقتصادية اجتماعية ايضا مما ادى الى تقسيم المجتمع حسب المقاييس الاقتصادية ايضا. فقسم الشعب الى طبقات عمالية مثل الزراع واصحاب المهن والفلاحين وهم من الطبقات الاقتصادية الشعبية بمقابل الطبقات الاقتصادية الارستقراطية العليا مثل: طبقة الحكام وهم اغنى الطبقات من الناحية الاقتصادية كالخليفة والوزراء الذين يمتلكون اقطاعيات كبيرة وكثيرة.

اما طبقات المجتمع التي ظهرت في الفترة العباسية فكانت:

أ. طبقة الحكام: وهم الخلفاء والامراء والوزراء والولاة.... اي عامة رجال الحكم في الدولة وهؤلاء جميعا كانوا في البداية من العرب ثم اصبحوا من اجناس مختلفة من اهالي البلاد المفتوحة وحتى من الرقيق.

كان افراد اسرة الرسول يدخلون في هذه الطبقة ويعرفون باسم "الاشراف" كطبقة ارستقراطية. هذه الطبقة تميزت عن باقي المسلمين بحيث كان لهم ديوان يثبت انسابهم وشيخ له حق القضاء بينهم والتدخل في زواجهم لئلا يدنس النسب الشريف. وتميزوا فيما بعد باتخاذ زي خاص لهم يميزهم عن باقي المسلمين.

ب. طبقة رجال الدين: وهم ائمة المساجد والقراء والفقهاء والخطباء والشهود....

لم يكن لهذه الطبقة الدينيية مظهر كهنوتي مثل النصارى واليهود، وذلك لان الاسلام لم ينشا طبقة رجال الدين، كما هي الحال للاديان الاخرى، انما ظهرت الطبقة نتيجة لحاجة المسلمين للقيام بواجباتهم الدينيية. ولكن الحكام ولغايات سياسية جعلوا لرجال هذه الطبقة سلطة كبيرة ولا سيما زمن العباسين هذه السلطة التي لم يخولها لهم الاسلام كدين.

ج. طبقة ارباب السيوف:

نقصد بطبقة ارباب السيوف هي الفئات التي تهتم بشؤون الحربية والعسكرية. في البداية كان معظمهم من العرب لانهم لم يسمحوا لاهالي البلاد المفتوحة ان يحملوا السلاح وان يشاركوا في المعارك باعتبار انهم في ذمة العرب وعلى العرب الدفاع عنهم، او لعدم ثقة العرب بهم ولكن بعد اتساع مساحة الدولة وازدياد عدد الداخلين في الاسلام اصبح هنالك حاجة لعدد كبير من المقاتلين وكان هنالك حاجة الى خبرات عسكرية. فدخل في الجيش عناصر من الاتراك والفرس وغيرهم وهؤلاء شكلوا الركن الاساسي للجيش الاسلامي.

هذه الطبقة العسكرية تميزت بانه يسمح لافرادها ركوب الخيل في حين ان المدنيين كانوا يركبون الحمير فقط. هؤلاء الاعاجم سموا بالموالي، وهذه الطبقة لعبت دور بارز على الساحة السياسية وعندما ضعفت الدولة الاسلامية قام افراد منها بالتسلط على الخليفة والجهاز الاداري.

د. طبقة ارباب الاقلام: وهم الكتاب وكان معظمهم في البداية من اهل الذمة لاجادتهم الكتابة دون العرب فكانوا يشتغلون في دواوين الخليفة وكتبوا بلغتهم الاصلية في الدواوين حتى جاء عبد الملك بن مروان وقلل من نفوذهم بعد ان امر بتعريب الدواوين.

ه. طبقة ذوي المهن من سكان المدن:

وهم من اصحاب الحرف والتجار وكان معظمهم من اهالي البلاد المفتوحة او من الرقيق لان العرب اشتغلوا بالجندية واحتقروا التكسب بالمهن وكان ذلك من مواضيع الهجاء في الشعر العربي فنرى الشاعر جرير يعير الفرزدق بصناعة اهله وهي الحدادة.

نشا في الدولة الاسلامية في نهاية العصور الوسطى نظام النقابات فكانت كل جماعة تعمل في مهنة واحدة تنتظم في مكان خاص تسمى به مثل سوق العطارين وسوق الحدادين وسوق الخبازين واصبح هناك تدرج في هذه المهن من شيخ ومعلم ومتعلم وصانع وصبيان وقد كثرت طوائف الصناع والتجار في المدن الاسلامية في العصور الوسطى منها الجزارون والخبازون والعطارون والصيدليون والحبوبيون.

و. طبقة الفلاحين والزراع:

وهم غالبية سكان البلاد المفتوحة سكن افراد هذه الطبقة القرى والمراكز والنواحي وعاشوا في حالة اقتصادية سيئة لان الاراضي التي اشتغلوا بها اصبحت ملكا للحكام فعملوا بها بالاجرة او بالسخرة وفي العصر العباسي ظهرت طبقة كبار

المزارعين نتيجة لنظام الالتزام فتحول الفلاحين في اراضي الالتزام (التضمين) الى اقنان رقيق الارض ولمنع هروب الفلاحين حضرت عليهم الهجرة الى المدن لكن هذا الحضر لم ينجح دائما.

كما نجد منهم الرقيق من السود في جنوب العراق الذين قاموا بثورة عارمة في وجه الخلافة العباسية، سميت ثورة الزنج وهددت الخلافة العباسية التي بذلت الكثير للقضاء عليها.

ز. طبقة الرقيق:

احط الطبقات في جميع المجتمعات. الرق هو حرمان الشخص حريته الطبيعية وصيرورته ملكا للغير. شاع الرق لدى الشعوب القديمة كالاشوريين والبابليين والرومان والمصريين وغيرهم وقد تفاوتت معاملة كل شعب للرقيق وفي الجاهلية كان الرق متفشيا اذ اعتبر عماد اقتصاديات قريش، فكان اكبر النخاسين اي بائع العبيد فيها عبد الله بن جدعان. اما اسبابه فكانت الحرب وعدم الايفاء بالدين والقمار والشراء من الخارج ولاسيما في الحبشة.

2. الموالي:

تعريف المطلح:

الموالي جمع مولى وفي اللغة دلالات كثيرة فهي تعني السيد والمالك والمؤيد والحليف والجار والشريك. اما الشرع الاسلامي فقد اختص الكلمة بمعنيين فقط هما: مولى العاتقة ومولى الموالاة.

ثم اصبحت الكلمة "موالي" بعد الفتوحات الاسلامية تعني: المسلمون من غير العرب. وكانوا في الاصل اسرى حرب اصبحوا في منزلة الرقيق ثم اسلموا فاعتقوا واصبحوا موالي. فقد اقترن اسلامهم بدخولهم في خدمة العرب وتحالفهم معهم فاصبحوا في الوقت نفسه موالي حلف وموالاة. وكان معظم الموالي في الدولة

الاسلامية من الفرس. وكان دخول الموالي في الاسلام لعدة اهداف منها السبب الديني. ولتحسين ظروفهم الاجتماعيه والاقتصاديه وحصولهم على عطاء اكثر.

مركزهم الاجتماعي في العصور الاسلامية المختلفة:

العصر الاموي:

النواحي الايجابية:

1. اداريا: تولوا الكثير من مصالح الدولة في صدر الاسلام التي تفتقر الى امانه وثقة فضلا عن العلم والدين وحصلوا على رواتب مقابل ذلك لكنهم حرموا من المناصب الرفيعة التي تحتاج الى شرف كالقضاء. كما وعينوا ولاة واعتمدوا عليهم في تنظيم الادارة.
2. تكاثر عددهم بكثرة الفتوحات فقامت على اكتافهم النهضة الزراعية والصناعية والتجارية. وقد وقف الموالي من وراء العرب في حروبهم المختلفة زمن الامويين وكان لهم نصيب كبير في الفتوحات الاسلامية. (مثلا طارق بن زياد فاتح الاندلس كان من اصل بربري).
3. كان لهم نصيب كبير في الدولة الاموية، وكان نصيبهم اكبر نصيب من العرب في الوظائف العامة وخاصة فيما يتعلق بالادارة المالية. فكان معاوية اول من استخدمهم في الشؤون المالية والادارية ولا سيما في فارس وشجع العرب على الاعتماد على اولئك الموالي في تنظيم ادارتهم. مثال اسندت رئاسة الشؤون المالية في العراق الى احد الموالي عرف باسم زادان وهو من اصل فارسي.

النواحي السلبية:

فقد الموالي العدالة الاجتماعية في الدولة الاموية:

1. لم يدرجوا في ديوان الجند الذي كان يحدد العطاء للمقاتلين طبقا للقواعد التي حددها عمر بن الخطاب. فاصبح المقاتلون من الموالي يغزون مع المقاتلين

العرب لكن لا ينالون عطاء او ياخذون عطاء اقل مما كان ياخذه المقاتل من العرب.

2. استخدموهم في الحرب كمشاه ورفضوا ان يشاركوهم في امتطاء الجياد.
3. فرض بعض منهم على الموالي الجزية رغم كونهم مسلمين حتى جاء عمر بن عبد العزيز واعفاهم من الجزية.
4. منعوهم الزواج بالعربيات.

كما ونظر الامويون اليهم نظرة احتقار وعلى انهم اقل مرتبة منهم.

لهذا قاوم الموالي الحكم الاموي بطرق عديدة اهمها:

1. ارسال الوفود التي قابلت الخلفاء الامويين وشكت من التفرقة الاجتماعية. مركزين قولهم على التباين بينهم وبين العرب في العطاء. في الوقت الذي حث فيه القران والسنة النبوية على المساواه.
2. مقاومة العصبية القلبية العربية بعصبية اخرى عرفت باسم الشعوبية وهي نضال اجتماعي وفكري دافع فيه الموالي عن انفسهم وظهرت فيه نزعتان:

النزعة الاولى تذهب الى ان العرب ليسوا افضل من غيرهم من الامم ولا توجد اي امة افضل من امة اخرى. وساروا على اساس "لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى" وعرفوا اصحاب هذه النزعة باهل التسوية أي يسوون بين الامم. اي بينهم وبين العرب.

النزعة الثانية: متطرفة فهي تميل الى الحط من شان العرب ومن شان حضارتهم وتفضيل حضارات غيرهم من الشعوب عليهم. كحضارات الشعوب القديمة مثل اليونان والفرس. وقد وضع اصحاب هذه النزعة عدة كتب من اجل ابراز انحطاط العرب ازاء مناقب العجم مثل: لصوص العرب. فضائل الفرس. اسماء بغايا قريش. وغير ذلك.

أهمية الحركة الشعوبية:

كان لهذه الحركة الفكرية اثرها في الادب العربي، اذ اوحت الى ادباء العرب ونبهتهم الى جمع التراث العربي الجاهلي وحفظه ليكون لهم ذخيرة حتى يتسنى لهم الرد على مطاعن الشعوبية الموجهة للعرب وكان على راسهم ابوعثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ.

3. اللجوء الى السيف والثورة. انضموا الى كل حركة قامت ضد الحكم الاموي ولا سيما العلويين، فكان معظم جيش المختار بن عبيد الثقفي، الذي رفع شعار: يا لثارات الحسين، للاخذ بثار الحسين، من الموالي، وكان المختار اول من جند الموالي وحرضهم على الدولة واستخفوا بها ونصروا اعداءها واصبح الخلفاء العقلاء يسترضونهم بالعطاء ونحوه. فاضموا في النهاية الى لواء الثورة العباسية.

الموالي في العصر العباسي:

ارتفع شان ومركز الموالي في الدولة العباسية فقد اصبحوا بطانة الخليفة ورجال دولته، لانهم شاركوا فعليا في نجاح الثورة العباسية. وتولوا المناصب الادارية الهامة لبراعتهم في الشؤون الادارية اذ نظموا الحكومة ودواوينها وصار منهم الوزراء والقواد والعمال والكتاب والحجاب واقيم لهم ديوانا خاصا اسموه ديوان الموالي والغلمان ومثال على ذلك: المكانة التي احتلتها اسرة البرامكة في تولي الوزارة في عهد الرشيد.

الأسباب التي ادت الى رفع مكانة الموالي في العصر العباسي وازدياد نفوذهم داخل

مؤوسسات الدولة في العصر العباسي الاول/التغيير الذي طرا على مكانة الموالي في العصر العباسي:

1. مساعدتهم في قيام الدولة العباسية. فقد ساهموا مساهمة كبيرة في نشر الدعوة العباسية في المرحلة الاخيرة من الحكم الاموي للدولة الاسلامية. وكان وقوفهم الى جانب بني العباس في دعوتهم هو جراء ما لاقى الموالي من ضغوط ومضايقات وملاحقات من قبل الامويين، فقد فقدوا العدالة الاجتماعية. وعندما سموا العباسيين الى التخلص من الحكم الاموي اعتمدوا على قوى المعارضة للامويين كالموالي وبالفعل نجح العباسين في كسب الموالي الى جانبهم والى اسقاط الحكم الاموي.
2. كون امهات عدد من الخلفاء العباسيين من الموالي، فهارون الرشيد تزوج ثلاثة: عربية وفارسية وتركية وقد انجبت له الفارسية المامون والتركية المعتصم فبداوا هؤلاء بادخال العنصر الفارسي والتركي الى الدول الاسلامية والاكثار منهم ووصلوا الى مراتب ومراكز عالية في الدولة الاسلامية.
3. الخلفية الحضارية والكفاءات الادارية والتنظيمية التي تمتع بها الموالي وحاجة الدولة الى هذه الكفاءات أي ان العرب اعتمدوا على الموالي في الادارات المختلفة للدولة لانهم كانوا على اطلاع واسمع باسس التفعيل والادارة للاجهزة المتنوعة. فقد جهل العرب هذه النواحي بينما الموالي جاءوا من الدولة الفارسية ذات القاعدة الادارية المتطورة بحسب مفاهيم ذلك العصر. فقد اصبحوا بطانة الخليفة العباسي ورجال دولته. فمعاوية اول من استخدمهم في الشؤون المالية والادارية وشجع العرب على التعلم والاعتماد على الموالي في تنظيم ادارتهم. وفي العصر العباسي نظموا الحكومة ودوانينها وصار منهم الوزراء والقواد والكتاب والحاجب واقيم لهم ديوان الموالي والغلمان فاستطاع الاتراك منهم الاستيلاء على السلطة السياسية في الدولة وتبعهم الموالي.

4. السيطرة على اسس الحكم. حاول الموالي منذ اليوم الاول لتسلم العباسيين الحكم ان يلعبوا دورا سياسيا هاما في صنع القرارات الا انهم دخلوا في صراعات مريرة وطويلة مع العرب ولكنهم استطاعوا السيطرة على اسس الحكم في فترة هارون الرشيد بشكل خاص ونجح الموالي في ايصال عدد لا باس به من رجالهم الى اجهزة الدولة والادارة في العصر العباسي الاول وهؤلاء ساهموا مساهمة كبيرة في تطور هذه الاجهزة وتقويتها فاصبحوا قواد ووزراء وحجاب واقيم لهم ديوان الموالي والغلمان.
5. ضعف بعض الخلفاء العباسيين ادى الى تحكم الموالي بالسلطة واجهزة الحكم فاصبح الخليفة لعبة بيدهم واصبحوا هم الحكام الفعليين في الدولة الاسلامية. ونرى انهم ابقوا رتبه الخليفة ولم يلغوها لكي يضفوا الصبغة الشرعية في حكمهم مع ان الرشيد كان خليفة قوي الا اننا نرى تحكم الموالي من ال برمك على وزارة التفويض وتناقلها بالوراثة. أي كانوا الحكام الفعليين للدولة العباسية في تلك الفترة فكيف يكون الوضع عندما يكون الخليفة ضعيف الشخصية وغير اداري.

مثال على نفوذ وقوة الموالي في العصر العباسي:

كانت اسرة البرامكة من ابرز اسر الموالي في الدولة العباسية حيث طغى وسيطر نفوذهم على هذه الدولة لا سيما زمن هارون الرشيد، وهي تنسب الى جدها برمك ونذكر منهم:

1. قد اسلم خالد بن برمك هو وابنه ودعم هو واولاده الثورة العباسية مما ادى لان يتخذ العباسيين البرامكة في الوزارة.
2. اتخذ الرشيد يحيى البرمكي وزيرا له وسلمه امر الرعية ومنحه السلطة ليعزل ويعين من يريد وسلمه خاتمه فصار بيده الحل والعقد فاصبح يحيى كل شيء في خلافة الرشيد وقد استعان يحيى باولاده الثلاثة وولاهم الولايات الكبرى دون

الرجوع الى الخليفة فسيطروا على الخلافة من اقصى المشرق حتى اقصى المغرب فصارت الدولة عباسية اسميا وبرمكية فعليا.

3. جعفر. تولى الوزارة بعد يحيى ابنه جعفر. ويظهرقول ابن الطقطقي مدى نفوذ البرامكة بقوله ان رجلا من اقارب الخليفة طلب ان يخاطب الرشيد في ثلاثة حوائج: مبلغ من المال، ان يتزوج من ابنة الرشيد وان يولى ابنه احد الولايات. وقد فعل جعفر ذلك دون استشارتة فتنبه الرشيد الى تعاظم نفوذ البرامكة لذا قتل فيما بعد جعفر. ثم نكب بالبرامكة فقضى على سلطانهم وصادر اموالهم وهي ما تعرف في التاريخ بنكبة البرامكة.

كيف واجهت الدولة العباسية نفوذ الموالي المتزايد:

1. منعتهم من الترقي في الوظائف والمهام الادارية المتنوعة في الدولة.
2. مقاومتهم بالسلاح لكسر شوكتهم والتصدي لهم واضعاف قوتهم واظهار قوة الدولة ويقظله الدولة لما يجري في البلاد.
3. على الصعيد الفكري والاداري قيام عدد من الادباء والمفكرين العرب امثال الجاحظ بالرد على كتابات وتاليف الموالي الذين ادعوا بتخلف العرب. ووضع الجاحظ مجموعة من المؤلفات اشهرها كتاب البخلاء اظهر فيه بخل الحضارة الفارسية ورفع من قيمة الحضارة العربية.

الاسباب التي ادت الى القضاء عليهم:

1. سياسية – مذهبية: شعر الرشيد ان البرامكة يشكلون خطرا على حكم العباسيين لميولهم الى العلويين الشيعة فكان جعفر يناقش الفرس العلويين في مسائل احقيتم في الخلافة. وانها تكون بالنص والتعيين وهي نظرية الشيعة في الخلافة. حادثة اخرى: عندما اطلق جعفر سراح الثائر يحيى بن عبد الله مع ان الرشيد امر بسجنه لكنه اطلق سراحه دون علم الرشيد فغضب الخليفة وقتل جعفر.

2. مالية: حيث تسلط البرامكة على اموال بيت المال في دولة الرشيد وصرفوا منها حسب رغباتهم حتى كان الرشيد يطلب الشيء اليسير من المال فلا يصل اليه حيث كانوا يصرفون له من اموال لنفقاته ما يحتاج اليه عياله بينما امتلكوا هم الضياع وبنوا القصور واصرفوا في العطاء والهبات، حتى اصبحت كلمة برمكي مرادفة لكلمة كريم، فانصرفت الوجوه عن الرشيد حتى صار يقصد اصحاب الحاجات ابواب البرامكة لتلبية حاجاتهم.

3. عرقية(فارسية): اظهر البرامكة ميولا فارسية اذ قربوا بني سهل وحاولوا ابعاد العنصر العربي من المناصب الهامة واتهمهم البعض بانهم وراء تعديل الرشيد لوصيته بالخلافة لابنه الامين من زوجته العربية زبيدة. بان جعلوه يكتب فيها بان تنتقل الخلافة بعد الامين الى اخيه المامون وهو من زوجة الرشيد الفارسية وان يعين على المناطق التي سيطر عليها الفرس لذلك كرهت زبيدة البرامكة، اخذت تشارك العناصر العربية في بلاط الرشيد كالحاجب الفضل بن الربيع، لدى الرشيد للقضاء عليهم. فاخذ الحزب العربي بقيادة زبيدة يحرض الرشيد بوسائل مختلفة ضد الحزب الفارسي بدعم البرامكة، فقرر الرشيد عام 803 القضاء على نفوذهم أي نكبة البرامكة.

الفصل الخامس

أهل الذمة و مركزهم الإجتماعي والسياسي



أهل الذمة و مركزهم الإجتماعي والسياسي

تعريف مصطلح" اهل الذمة":

كان المسلمون اذا حاربوا كفارا خيروهم اولا اما الدخول في الاسلام او القتال، اما اذا حاربوا اليهود والنصارى خيروهم في: بين الدخول الى الاسلام ويكون لهم بذلك ما للمسلمين من حقوق وواجبات او البقاء على دينهم مقابل دفع الجزية، فاذا رفضوا هذين الخيارين يقاتلون لينصر الله من يشاء.

فاهل الذمة هم من سكان الدولة الاسلامية الذين اختاروا دفع الجزية فاصبحوا في حماية وذمة المسلمين والدولة الاسلامية لارواحهم ومالهم واغراضهم ولهذا عرفوا باهل الذمة. اهل الذمة هم اليهود والنصارى اصحاب الكتب السماوية التوراة والانجيل أي اهل الكتاب ولهم حقوق وواجبات بموجب الشريعة الاسلامية، تارجح وضعهم الاجتماعي في الدولة الاسلامية حسب نوعية حكم الخليفة والظروف السياسية في تلك الفترة.

واجبات اهل الذمة:

1. دفع الجزية: كان على اهل الذمة دفع الجزية وهي ضريبة شخصية فرضها الاسلام على اهل الذمة مقابل بقائهم على دينهم وحماية المسلمين لهم فهم في ذمة المسلمين. وهي تقابل فريضة الزكاة المفروضة على المسلم وتختلف عن الخراج بكونها تسقط اذا اسلم الذمي. اما الخراج فلا يسقط حتى ولو اسلم الذمي. اما مقدارها فقد حددها الخليفة عمر بن خطاب كالتالي: 48 درهما من الاغنياء – 24 درهما من متوسطي الحال – 12درهما من الفقراء.

فرضت الضريبة على جميع الذكور الذميين القادرين على دفعها فلا تؤخذ من النساء والصبيان، والشيوخ والعميان والمقعدين والمجانين ولا من رجال الدين الا اذا كانوا اغنياء. كما انها تجبى منهم مرة واحدة في السنة.

2. اذا صولحوا على ضيافة فعليهم ايضا تقديم الزيت والخل والطعام للمسلمين.

وكان يشترط عليهم عند عقد الجزية شرطان احدهما مستحق والاخر مستحب:

واجباتهم والشروط المستحقة (الملزمه):

1. ان لا يحرفوا او يطعنوا القران الكريم.
2. ان لايحتقروا الرسول وان لا يذكروه بتكذيب.
3. عدم ذكر الدين الاسلامي بذم له ولا ذم فيه.
4. ان لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا بزواج.
5. ان لا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا لدمه.
6. ان لايعينوا اهل الحرب ولا يؤووا اغنيائهم.

الشروط المستحبة:

1. تغير الهيئات بلبس الغيار وشد الزنار.
2. ان لا يعلوا المسلمين في الابنية.
3. ان لا يسمعوهم اصوات الجرس.
4. ان لايجاهروا بشرب الخمرة ولا باظهار صلبانهم.
5. ان يخفواْ دفن موتاهم.
6. ان يمنعوا من ركوب الخيل عتاقا هجانا (احسن الخيول).

حقوقهم:

1. الكف عنهم والحماية لهم ولاهل العهد والامان على نفوسهم واموالهم.
2. حقهم بالمحافظة على حقوقهم وممتلكاتهم.
3. ادارة شؤونهم الشخصية والدينية بشكل مستقل، حماية عقدهم لطقوسهم الدينية.
4. حقهم في العمل والسكن في اي مهنه يرغبون فيها.

مركزهم الاجتماعي والسياسي:

مركزهم السياسي:

لو حاولنا استعراض أوضاع أهل الذمة خلال العصور الإسلامية المختلفة نلاحظ انه كانت لحياة اهل الذمة في الدولة الاسلامية فترات حسنة واخرى سيئة. اذ اختلفت علاقة الخلفاء مع أهل الذمة واعتمدت على طبيعة الخليفة نفسه والفترة الزمنية بأحداثها السياسية.

فعلى سبيل المثال في عهد الرسول تطرق إلى أهل الذمة في دستور عهد الأمة حيث اعتبرهم كجزء من المجتمع الاسلامي في الدولة الإسلامية وتم مساواتهم مع المسلمين على سبيل المثال عهد الامة الذي اقر فيه الرسول بان المسلمون واليهود من سكان المدينة هم امة واحده. . .

العصر الراشدي:

تمتع اهل الذمة في عهدي عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب بما تمتعوا به في عهد عمر بن الخطاب من التسامح والعدل والامن ما داموا يؤدون الجزية والخراج. كما تم تحديد مقدار الجزية المفروضة على الذميين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (12 – 24 – 46) هذا التقدير فيه نوع من العدالة الاجتماعية التي تأخذ بالحسبان حالتهم الاقتصادية ومقدرتهم على دفع الجزية. كما وتم تعفيه الفئات التي لا تستطيع دفع هذه الضريبة مثل الشيوخ – النساء – الأطفال. مثال على ذلك (قصة عمر بن الخطاب مع الشيخ اليهودي الضرير). إن الإسلام لم يحاول إذلال أهل الذمة عن طريق تدفيعهم هذه الضريبة.

العصر الأموي:

افتتح معاوية بن ابي سفيان عهدا جديدا من التسامح مع اهل الذمة فقد عين لولده يزيد مربيا مسيحسا لتثقيفه. وكان شاعر بني امية المدافع عن ملكهم

هو الاخطل التغلبي المسيحي الذي كانت له دالة كبيرة على خلفاء بني امية الاوائل حتى كان يدخل على عبد الملك بغير اذن ولحيته تنفض خمرا وفي صدرة صليب ولا يتعرضه احد.

سبب اتباعه هذه السياسة: اتبع معاوية هذا النهج من التعامل نظرا لحاجة الدولة الاموية الحديثة لاهل الذمة وخاصة للذين عرفوا ألأمور الادارية والاقتصادية والثقافية وللاستمرار في سياسة الخلفاء الراشدين المتسامحة مع اهل الذمة.

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز اشد خلفاء بني امية وطأه على اهل الذمة اذ ارسل الى ولاته يأمرهم بعزلهم من المناصب الحكومية والتشديد معهم في الحياة العامة في نهجهم ولباسهم وتمييزهم عن المسلمين. ومنعهم من ركوب الخيل بل ركوب الحمير فقط وان تكون ارجلهم من جانب واحد. وان لا يمشي الا بزنار ومنعوا من حمل السلاح وامتلاكه. كما وجد في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وثيقة سميت بوثيقة عمر، حدد فيها العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة فوجد فيها مجموعة من القيود على اهل الذمة.

العصر العباسي:

اما هارون الرشيد فكان من اوائل الخلفاء العباسين الذين تشددوا في امر اهل الذمة، أقالهم عن اعمالهم وأبعدهم عن الحكم واستبدلهم بالمسلمين عوضا عنهم وغير زيهم وطلب ان يجعلوا في اوساطهم الزنارات مثل الخيط، ولا يركبن يهودي ولا نصراني على سرج بل على اكاف، ومنعت نساؤهم من ركوب الرحائل وهدم كنائسهم وخاصة تلك الموجودة على الحدود.

سبب تشدد الرشيد مع اهل الذمة: ان العلاقات ساءت في عهده. بينه وبين الدولة البيزنطية فأمربهدم الكنائس على الحدود لان نصارى المتواجدين على الحدود ساعدوا ابناء طائفتهم الروم في التجسس على احوال المسلمين واستخدموا

الكنائس لهذا الغرض في حين ان هارون الرشيد كان من اكثر الخلفاء محاربة للروم حيث ارسل كل سنة حملتين لمحاربتهم عرفت باسم الصوائف والشواتي.

على الرغم من هذه المضايقات التي تعرض لها اهل الذمة الا اننا يجب ان نلاحظ عدة حقائق وهي:

1. الاسلام دين التسامح لا يرضى بهذه المضايقات بل يحترم اهل الكتاب، فكانت المضايقات فردية وعكست الوضع السائد في كل فترة حدثت فيها.

فان ما دعا عمر عبد العزيز الى التشدد عليهم هو حرصه على الاسلام ونشر الدعوة لا كرها بالديانة المسيحية فامر ولاته بتشجيع اهل الذمة بدخول الاسلام والمساواه وهذا سبب ضرر للدولة الاسلامية لان الجزية تسقط عنهم.

2. لم تكون جميع القيود التي فرضها الخلفاء تطبق بحذافيرها فوالي عمر بن عبد العزيز كانت امه نصرانيه فبنى لها ديرا ثم كان يولي النصارى والمجوس ويطلق ايديهم في الحكومة فيستبدون بالمسلمين.

مركزهم الاجتماعي وخدمتهم للحضارة الاسلامية:

1. اشتهر النصارى واليهود في مهنة الطب، فكان القساوسة يعالجون المرضى اذ تحولت الاديرة الى مراكز للعلاج ثم عملوا ايضا في التجارة والصناعة فكان يحترفوا الصياغة ونسج الحرير وصناعة الزجاج وادارة السفن.
2. تبوأوا المناصب العالية في الجهاز الاداري لانهم اصحاب معرفة في الحساب والكتابه والخراج فاستعان بهم الامويون في تنظيم جهازهم الاداري فحصلوا على ارقى المناصب الادارية مثل وزير وكاتب.
3. لم تخل الدواوين زمن العباسين من العمال النصارى واليهود بل تولوا المناصب العليا وأخطرها.

4. وفي الدولة الفاطمية كان لاهل الذمة شأن عظيم اذ تقلد الوزاره او الكتابة فيها غير واحد منهم.
5. برز من اهل الذمة اطباء مختصون للخلفاء العباسين مثل عائلة بختيشوع النصرانية.
6. كان منهم مترجمون ونقلة الكتب من اللغات اليونانية والقبطية والفارسية الى العربية وبهذا قد يكونوا اثروا المكتبة العربية بمواضيع جديدة لم يعرفها العرب من قبل مثل الفلسفة والطب والفلك والحساب. .
7. برزوا كمهندسين برعوا في اقامة المباني الضخمة التي عرفها العرب. وبهذا فقد نقلوا فنون البناء السابقة كالفارسي واليوناني والبيزنطي الى الحضارة العربية من ادخال بعض المتغيرات التي لها صلة بالعقائد الاسلامية.
8. منهم الشعراء والادباء ومن اجادوا فنون الادب والكتابة والتأليف ومنهم من اظهر اهتماما بنقل انواع عدة من ملابس والازياء وفنون التجميل من الحضارات التي انتموا اليها سابقا الى الحضارة العربية.

1. الرقيق:

تعريفه: الرق هو حرمان الشخص حريته الطبيعية وصيرورته ملكا للغير. شاع الرق لدى الشعوب القديمة كالأشوريين والبابليين والرومان والمصريين وغيرهم وقد تفاوتت معاملة كل شعب للرقيق وفي الجاهلية كان الرق متفشيا اذ اعتبر عماد اقتصاديات قريش، فكان اكبر النخاسين اي بائع العبيد فيها عبد الله بن جدعان. اما اسبابه فكانت الحرب وعدم الأيفاء بالدين والقمار والشراء من الخارج ولا سيما في الحبشة.

وعند مجيئ الاسلام نلاحظ أن الاسلام لم يلغ هذه الظاهرة وذلك لأن ظاهرة العبيد كانت عماد إقتصادي للقريشيين لذلك فإن الاسلام حاول أن يلغي هذه الظاهرة بشكل تدريجي وليس بشكل قاطع والهدف هو إنجاح الدعوة الاسلامية كما وأن الاسلام فتح مجالات عديده لتحرير العبيد التي كانت مقفلة في الفترة

الجاهلية. هذا بلاضافة الى وضعه للعديد من القيود في كيفية معاملة العبيد التي تعمل على الاحترام والتسامح، تحليل آخر أن الاسلام لو لغى هذه الظاهرة في شبه الجزيرة فإنه لا يستطيع إلغاءها في جميع أنحاء العالم.

الرق في الاسلام:

اسباب وعوامل انتشار الرقيق في الاسلام:

1. كانت للفوتحات الاثر الاكبر في انتشار ظاهرة الرقيق وازدياده بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل. وقد كثرالرقيق في بلاد الشام نتيجة للفتوحات والحروب، التي تعتبر من اهم مصادر الرق في جميع العصور ولدى معظم الشعوب، شرط ان تكون حربا مشروعة ضد الكفار فمن وقع اسيرا من الرجال والنساء اصبح ملكا لآسره له ان يحتفظ به او يبيعه الا اذا فدى نفسه او من عليه الخليفة باطلاق سراحه.

اي وقوع اعداد كبيرة من اسرى الحرب بيد المسلمين وهؤلاء الاسرى يصبحون غنيمة من غنائم الحرب فيتحولوا ليكونوا للتجاره او الاهداء. اي ان كثرة الحروب التي خاضها المسلمون بشكل عام والعباسيون بشكل خاص ادت الى كثرة الاسرى الذين تم بيعهم كعبيد.

2. ولد الرقيق: فأولاد الارقاء ارقاء مثلهم.
3. ازدهرت تجارت الرقيق في الاسواق الداخلية للدولة والخارجية وعدم تحريم الشريعة الاسلامية لتجارة الرقيق فازداد الطلب على انواع معينه ومحدودة من الرقيق والجواري كذلك، اما للعمل في الاراضي او للخدمة في القصور والمنازل خاصة منازل اصحاب النفوذ. وهنالك الرقيق الابيض اغلى من الاسود ثمنا. وكان في مدن الاسلام اسواق خاصة لبيع العبيد ففي بغداد عرف احد الشوارع باسم سوق دار الرقيق. وقد عينت الدولة عاملا خاصا للاشراف على النخاسين دعي"قيم الرقيق" وكانت العادة الا يباع الرقيق الجيد كالجواري اللواتي جمعن

بين الجمال والادب مثلا، في السوق لان في ذلك يحط من قدرها والاولى ان تباع في منزل خاص او بواسطة تاجر كبير.

كان الرقيق الاسود يشتري من اسواق مصر وجنوب الجزيرة العربية وشمال افريقيا.

4. الظروف الاقتصادية الجيدة والازدهار الاقتصادي الذي شهدته الدولة العباسية وارتفاع مستويات المعيشة وازدياد متطلبات الحياة حولت المجتمع الاسلامي في العصر العباسي الاول الى مجتمع كماليات اي ان حياة البذخ والترف اصبحت امرا مركزيا يستحوذ على الطبقة الغنيه، فمن الطبيعي ايضا ان يتنافس افراد هذه الطبقة على ازدياد اعداد الرقيق وتنويعهم.
5. ان ظهور طبقة الاغنياء والميسورين في الدولة سهلت عليه ازدياد اعداد الرقيق فيها، فهؤلاء ارادوا التفرغ لامور الدولة السياسية او المصالح الخاصة وهم بحاجة الى مجموعة من الخدم والمساعدين الاحتياجات الاجتماعية التي ازدادت في الفترة العباسية مثل الخدم في القصور.

1. موقف الشريعة الاسلامية من الرق:

أ. حرم الاسلام:

- استرقاق المسلمين رجالا ونساء
- استرقاق الرجال من العرب غير المسلمين
- استرقاق المعاهدين اي من كان في عهد صلح مع المسلمين وغي المحاربين.

ب. حقوق الرقيق في الاسلام:

يوجب الاسلام معاملة الرقيق معاملة حسنة تتمثل بالامور التالية:

1. حق الحياة: يحرم الاسلام القتل الا بالحق ولا فرق في ذلك بين حر وعبد. فقد روي عن الرسول قوله "من قتل عبده قتلناه"
2. الحصانه الجسديه: الامتناع عن تشويه او ضرب العبد ضربا مبرحا بل يجوز ضربه ضربا خفيفا للتأديب على الا يجاوز عشرة اسواط. ولكن هناك حالة يجوز فيها ضرب العبد وهذا اذا قصر في اداء واجباته الدينية، فقد روي عن الرسول انه قال: "واضرب عبدك اذا عصى الله، واعف عنه اذا عصاك"
3. الحصانة العائلية: منع الاسلام التفريق بين عبد وزوجته
4. حق النفقة: يلزم الاسلام السيد اطعام وكسوة والنفقه على عبده. فان كان السيد بخيلا وراجع العبد القاضي فقد يلزم سيده ان يلبسه احسن ما يلبس ويطعمه احسن ما يأكل.
5. الرفق بالرقيق: عدم تحميله ما لا يطيق. فقد روي عن الرسول انه قال: "اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم، اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون مما احببتم فامسكوا، وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله ملككم اياهم ولو شاء ملكهم اياكم".
6. عدم تحقير الرقيق والاستهانه به وتذكيره ما هو فيه من الاستعباد: فقد روى ابو هريرة عن الرسول انه قال "لا يقل احدكم عبدي، امتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي ولا تقل عبدي لاننا كلنا عبيد الله"
7. تعليم الرقيق: شجع الشرع على تعميم التربية والتعليم، ولا يستثنى من ذلك الارقاء. قال الرسول: "ايما رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها واعتقها وتزوجها فله، اجر بالنكاح والتعليم وأجر بالعتق ".

ج. واجبات الرقيق:

- الطاعة والاخلاص وخدمة السيد.
- المحافظة على املاك السيد ومصالحه وعرضه.
- التصرف بشكل لائق.

2. طرق تحرير الرقيق (العتق):

1. المكاتبه: اي ان يكتب العبد مع سيده عهدا يلتزم بموجبه دفع مبلغ من المال اتفقا عليه وفي مده محدودة فاذا ما دفع العبد هذا المبلغ في الوقت المحدد بموجب العهد اصبح حرا وكان دخول العبد في الاسلام لا يحرره من العبودية بل يساعده في الحصول على حريته وذلك عن طريق منحه نصيبا من الزكاة ليدفعه الى سيده ثم جعل الاسلام فك الرقبه اي تحرير العبد من اعمال البر.
2. التدبير: وهي ان يوصي السيد بان يكون عبده حرا بعد موته. فيقول السيد لعبده قبل موته "انت دبر بعدي" اي بعد ادباري من الحياة، او ان يقول له: "انت حر لوجه الله تعالى" فيكتسب حريته.
3. زواج الأمة من حر: فالاسلام يبيح للمسلم الزواج بامته فأذا انجبت منه ولدا تصبح عندئذ في مركز ارقى من الامة، فتكتسب لقب "ام ولد" وعندها لا يحق لسيدها ان يبيعها او يهبها، وبعد موته تصبح حرة كما وان اولادها يكونون احرارا.

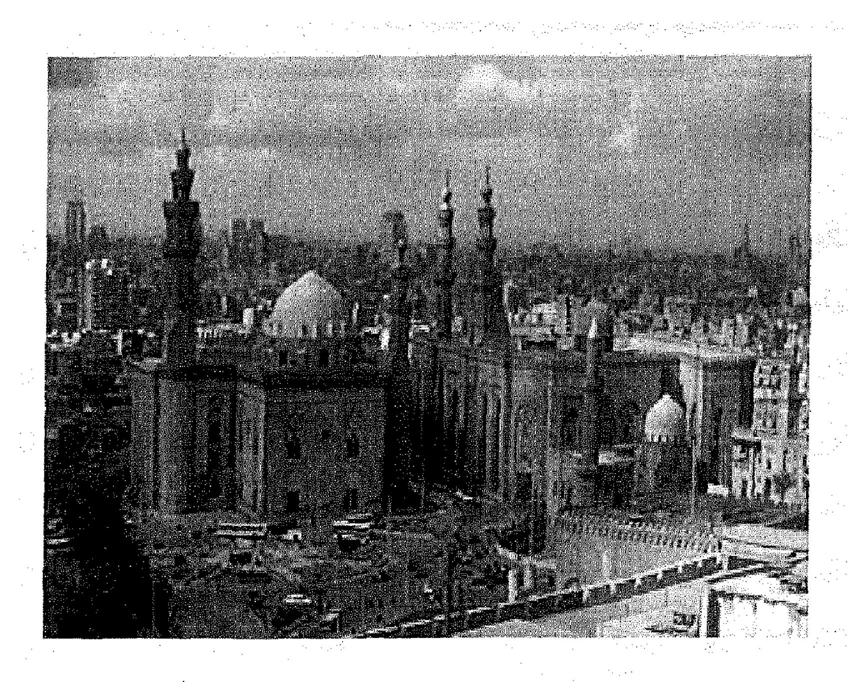
3. يمكن تحرير العبد في التكفير عن الذنوب، مثل:

- لقاء قتل مؤمن خطأ، كما ورد في القرآن: ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل.
- مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنه ودية مسلمة الى اهله.
- افطار رمضان، فاذا كان رمضان وأفطر احد المسلمين فعليه ان يكفر عن ذلك باطعام مسكين ولكن اذا افطر بالجماع كانت كفارتة فك رقبة.
- كفارة عن يمين الحانث (اي من لم يفي بيمينه) او عدم وفاء النذر. كان بامكانه ان يحرر عبد تقربا من الله والتماس التوبه منه.
- الطلاق عن طريق الظهار، فكان الرجل في الجاهلية يطلق امرأته بأن يقول انت كظهر امي: وقد حرم الاسلام ذلك وأوجب على من يطلق بهذه الطريقة كفاره تحرير عبد.

اموال الزكاة والصدقات استعملت احيانا في تحرير العبيد.

الفصل السادس

المدن الإسلامية



المدن الإسلامية

الغاية من إقامة المدينة في الاسلام: (مع امثلة)

1. الغاية العسكرية:

هو من اهم الدوافع لاقامة المدن، فحيثما وصل جيش المسلمين اقام له معسكرا. وكان المعسكر اشبه بمدينة عسكرية كبيرة بسبب كثرة اعداد الجنود المشاركين في المعارك والحروب اي لتكون مأوى للجنود والجاليات العربية الفاتحة او كمراكز عسكرية للجنود وقد تحولت هذه المدن الى مدن مستقرة تقدم خدمات متنوعة لساكنيها وللمناطق المحيطة به.

امثلة على ذلك:

- الكوفة والبصرة واضحت فيما بعد مراكز امدادات للجيوش الاسلامية في مواصلة فتوحاتها شرقا وغربا.
- وقد انشا قائد معاوية، عقبة بن نافع مدينة القيروان ليثبت حكمه على شمال افريقيا والقضاء على القبائل البربرية واصبحت نقطة انطلاق للفتوحات غربا حتى شاطىء المحيط الاطلسي.
- واقيمت الفسطاط في مصر كمعسكر بهدف تقديم المؤن وتزويد الجيش بالاسلحة في متابعة العملية الحربية في مصر وشمالي افريقيا ثم تحول المعسكر الى مدينة وهي تعرف اليوم باسم القاهرة.

2. العامل الاداري:

ينطبق هذا العامل على مدينة بغداد التي اقيمت وفق معايير جديدة بهدف خدمة مصالح العباسيين بعيدا عن دمشق عاصمة الامويين وبعيدا عن الفرس ولتكون مركزا للخلافة لتثبيت حكم المسلمين في المناطق المفتوحة. المدينة تعطى

صفة المدينة الادارية المركزية لوجود كافة المؤسسات التي تقدم الخدمات المطلوبة للناس والتي تحتاجها الدولة لتصريف امورها وشؤونها المتنوعة. ومن المدن التي تحصن بها المسلمين من الاعداء مدينة واسط التي بناها الحجاج بن يوسف.

3. العامل الديني:

استغل المسلمون وجود مواقع او اضرحة ذات طابع ديني لاقامة مساكن ثم مدن من حولها واجتنب الناس اليها لكونها مجال نشاط تجاري يحتفل فيه اثناء الاحتفال بالموسم الديني.

مثال على ذلك كربلاء في العراق فيها قبر الامام الحسين بن علي وهي مدينة مقدسة للشيعة حيث يحيون فيها ذكرى عاشوراء اي يوم استشهاد الحسين.

معالم المدينة الاسلامية:

1. المعلم الديني(المسجد):

هو اهم شيء في المدينة اذ يدل على طابعها الاسلامي. ومسجد الرسول بالمدينة هو من اوائل المساجد في الاسلام. يعتبر المسجد مكان العبادة للمسلمين اي انه يلعب دوراً دينيا هاما في حياة المسلمين. كان الناس اذا قاموا للصلاة وقفوا في صفوف موازية لجدار المسجد عندما كان الرسول يخطب وقد ولوا وجوههم نحوه وكانت قبلتهم الاولى نحو بيت المقدس ولهذا سمي المسجد الاقصى اولى القبيلتين وثالث الحرمين الشريفين، ثم صرف النبي عنه وحول القبلة الى مكة بامر الله.

اصبح مسجد الرسول نموذجا يحتذى في بناء المساجد في الاسلام لكن في العصر الاموي استحدثت اشياء اخرى على شكل المسجد كما تاثر البناء بفنون البناء المحلي مثل: المحراب – المقصورة – المنبر المرتفع – المأذنة.

أهمية المسجد:

لعب المسجد دورا بارزا في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الاسلام:

- فهو ندوة للنقاش السياسي او مجلس للقضاء او مدرسة لتثقيف الاولاد.
- فقد كان المسجد منذ عهد الرسول بمثابة برلمان يقضي فيه جميع امور الامة السياسية والعسكرية والقضائية وغيرها.
- من الناحية السياسية كان الخليفة يقوم بالقاء اول خطبة له بعد تسلمه الحكم مبينا سياسته.
- وكانت تدار صفقات تجارية بين رجال العمال تعقد في المسجد او ساحته.
- من الناحية الاجتماعية كان يقدم الطعام والملبس للمحتاجين والفقراء.

2. المعلم الاقتصادي (السوق):

لوقوع المسجد وسط المدينة احيطت به الاسوار التي هي عصب الحياة الاقتصادية في كل مدينة وعلى مر العصور ولقد تاثرت الاسواق في شكلها وتنظيمها وتنسيقها وموقعها وسلعها واعمالها بالاقاليم والمدينة التي تقام فيها. وفي الغالب كانت الاسواق مبلطة او يكون في جانبها افريزين يمشي عليهما الناس في فصل الشتاء اذا لم يكن السوق مبلطا وكان البعض منها مسقوفا كما هي الحال اسواق القدس وعكا وتضاء نهارا بالقناديل لان الضوء لا يصل الى داخل. وقد ظهرت فيما بعد اصطلاحات اخرى تدل على السوق مثل خان – رباع – بازار – دار – وكالة

اهمية السوق:

لهذا فقد لعبت الاسواق في المدن الاسلامية الكبرى والمركزية دورا هاما في المجالين الاقتصادي والاجتماعي:

اقتصاديا: فالاسواق بشكل عام متخصصة وفيها البضائع المنتجة محليا والمستوردة من الخارج. وكان الشراء والبيع عادة يتمان بالمقايضة وتغلب المناداة باسماء البضائع واسعرها، وقد دعي كل سوق باسم نوع السلعة التي يباع فيها او الصنعة التي يمارسها الصناع فيه. مثل سوق الخبازين وسوق النخاسين وسوق العطارين وسوق الحدادين. . .

احتماعيا وادبيا: اما على الصعيد الاجتماعي فالاسواق ملتقى للناس على مختلف طبقاتهم وانواعهم.

وجمع السوق بين الادب والسياسة كسوق المربد في البصرة اذا اصبح على عهد الامويين سوقا عامة تقام فيها المجالس. وتعدد الحلقات يتوسطها الشعراء والرجاز، وكانت مسرحا لشعر النقائض بين الشاعرين جرير والفرزدق.

3. المعلم السياسي (دار الامارة):

وهي تاتي في المرتبة الثاينة من حيث الاهمية بعد المسجد، ولم تقم في جميع المدن بل في المدينة التي تتخذ مقرا للولاية.

كانت مساكن الخلفاء الراشدين حجرات قليلة لا تفترق عن بيوت الناس الا بما فيها من دواوين، فاصبحت المساكن زمن الامويين قصورا تنافس الخلفاء في تشيدها وتزينها واصبح البعض منها اشبه بالجبل لكثرة ما فيها من الابنية وارتفاع اسوارها وابوابها العديدة التي قد تبلغ 10 ابواب، بينما كانت تتمثل هذه المساكن بالبساطة والتواضع زمن الراشدين.

4. المعلم الرابع(الحمامات):

كانت الحمامات قائمة قبل ظهور الاسلام ووجدها المسلمون في المدن الكبرى واصبحت الحمامات تلعب دورا هاما في حياة الناس الصحية، أي النظافة والناحية الاجتماعية. فكانت ملتقى للرجال للتداول في شؤون وقضايا الدولة

والمجتمع، وملتقى للنساء اتخذ الحمام طابعة الاسلامي وقد اصبح على نوعين حمامات خاصة وحمامات شعبية.

اعتنى المسلمون بتزويد المدن بالحمامات وكانت الحمامات موجودة في المدن الشرقية منذ العهد اليوناني والروماني فهي اذن ليست من مستحدثات الاسلام.

في الاسلام اتخذ الحمام طابعه الاسلامي فازيلت منه الصور والتماثيل لان الاسلام يحرم النحت او التصوير ولا فرق في ذلك بين جسم الانسان والحيوان، ثم اصبح الحمام على نوعين حمامات خاصة وآخرى شعبية وقد كثرت الحمامات الشعبية في المدن الاسلامية حتى بلغت الالاف ففي بغداد مثلا يذكر انه قد بلغ عدد الحمامات الشعبية في القرن الرابع هجري عشرة الاف حمام. كان الحمام الاسلامي في الغالب مظلما ترتفع عليه قباب فيها طاقات لجلب النور فضلا عن تزيين سقفه وترميم ارضه ويشمل الحمام عدة قاعات منها الغرف الاولى واسمها براني فيها اماكن للجلوس وبجوارها حجرة وسط اسمها وسطاني لخلع الملابس ثم مكان الاستحمام واسمه تحميم يدخله البخار من ثقوب في الارض تتصل بخزانة مصنوعة من الرخام او الحجر يسمى صهاريج وكان المستحم يلبس قبقاب لكي لا تحترق قدماه.

قام على خدمة الحمام موظفون مخصوصون له منهم: حمامي وقيم وزبال لان الوقود في الحمامات كان من الزبل اليابس ووقاد وسقاء وحلاق او مزين ومدلك وناطور وهو الذي يحفظ ملابس الداخلين.

5. البيمارستان(المستشفى):

هي كلمة فارسية تعني المستشفى وقد تختصر الى مارستان ويقال ان الخليفة الوليد بن عبد الملك كان اولِ من بنى بيمارستان وجعله مخصصا للمجانين والعميان وذلك سنة 707م وقد كثرت المستشفيات في عهد العباسيين وانتشرت في جميع مدن العالم الاسلامي سنة 850م بلغ عدد المستشفيات في جميع

انحاء العالم الاسلامي حوالي 34 مستشفى. اقيمت على نمط واحد وكانت هذه المستشفيات مفتوحة لاستقبال جميع الناس الاغنياء والفقراء وقد انفقت عليها الدولة الاسلامية اموال طائلة وكان يلحق بكل مستشفى اطباء وطلبة وجراحون واطباء عامون ومجبرون. وكان المرضى يرقدون في اسرة مزودة باغطية وكان الطبيب يزور المرضى كل يوم والممرضون يزورون المرضى عدة مرات في اليوم.

وكانوا يمنحونهم الادوية ويقدمون لهم الوجبات وكانت اشهر مستشفى في العالم الاسلامي هو الذي انشأ في دمشق سنة 978م اذ كان يعمل فيه 24 طبيبا وكان العلاج والادوية يمنحان مجانا وفي بعض الاحيان في مستشفى القاهرة كان المرضى يسكنون في دور النقاهة ويمنحون مقدارا معينا من النقود عند مغادرتهم المستشفى.

6. القطائع:

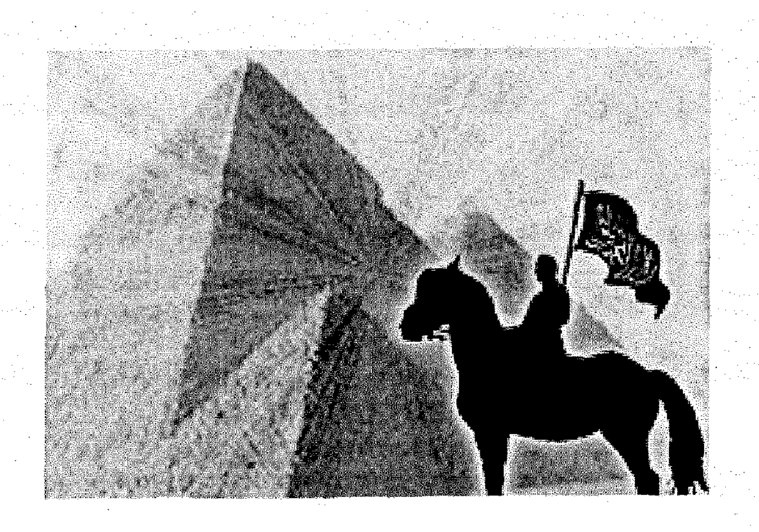
وتعرف ايضا باسم الخطط او الحارات وهي عبارة عن ثكانت يقيم فيها الجند وتقوم بالقرب من دار الامارة لحماية الحاكم المسلم.

7. المقابر:

كانت تقام عادة في الجهات الجنوبية او الغربية من مراكز العمران في المدينة الاسلامية، وكذلك كانت تتم مراعاة اتجاه الرياح السائبة. وقد بدئ زمن العباسيين في بناء المقابر الخاصة وهي اشبه بجوامع جنائزية لاهل البركة والاولياء عرفت باسماء قباب او مقابر اضرحة.

الفصل السابع

تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام وحتّى سقوط الدولة الأمويّة



تاريخ العرب منذ ظهوُر الإسلام وحتّى سقوط الدولة الأمويّة

خليفة المسلمين الأوّل - أبو بكر الصديق:

بدات الفتوحات الاسلامية خارج شبه الجزيرة العربية في عهد الخليفة الراشديّ الأول أبي بكر الصديق.

1. من هو أبو بكر الصديق؟ وكيف وصل الى منصف الخلافة؟
2. صف اتجاهات الفتوحات الاسلامية في عهد أبي بكر الصديق، واذكر عاملين ساهما في انجاح الفتوحات؟

1. هو عبد الله بن أبي قحافة، كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة. سماه الرسول (ص) عبدالله، وكنيته أبو بكر، ولقبه الصديق لأنه بادر بتصديق الرّسول (ص) في حادثة الإسراء والمعراج.

- ولد ابو بكر الصديق بعد عام الفيل بعامين وأشهر وعُرف عنه بالخصال الكريمة واشتهر بالعفة. لم يكن يشرب الخمر وكان عالما بأنساب العرب.
- كان في الجاهلية يشتغل بالتجارة، فلما أسلم رضي الله عنه اتجه لخدمة الاسلام ونشره. هاجر مع الرسول (ص) الى المدينة المنورة وكان ساعده الأيمن، حتى أنّ الناس كانوا يعتبرون أبا بكر الصديق وزير رسول الله (ص).

بيعة أبي بكر الصديق:

- عقد كبار الأنصار (أهل المدينة)، بعد وفاة الرسول (ص) اجتماعا لهم في سقيفة بني ساعدة في المدينة. وكان الهدف انتخاب خليفة للرسول (ص) من بينهم، وكادوا أن يُبايعوا رجلا منهم اسمه سعد ابن عبادة.
- الا أنّ خبر هذا الاجتماع وصل مسامع المهاجرين (أهل مكة)، فأسرعوا الى السقيفة.

- فتكلم أبو بكر وذكر ما تحمّله المهاجرون من مشاق وصعوبات ومضايقات من جراء الهجرة، وفي نفس الوقت امتدح الأنصار ومواقفهم المشرفة من دعم الرسول ﷺ ونصرتهم والوقوف الى جانب المسلمين في أصعب وأشد الساعات، واقنعهم أنّ أمر الخلافة هو لقريش لأنّ منهم الأمراء ومن الأنصار الوزراء.
- فدار خلاف بين الأطراف الى أنْ قام عمر بن الخطاب فنادى بصوت عال: "ابسط يدك يا أبابكر"، فبايعه الناس وذلك لمحبة رسول الله لأبي بكر ولصلته القوية بالرسول عليه الصلاة والسلام ولكثرة خصاله الحميدة ولكبر سنه ولكونه أحد المبشرين بالجنة.

2. عندما باشر الخليفة الراشدي الأول أبو بكر الصديق أعماله أراد تنفيذ رغبة الرسول ﷺ في توجيه حملة عسكرية الى مشارف منطقة الشام، (سوريا+ الأردن+ فلسطين)، بقيادة يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبي عُبيدة، وذلك لوضع حدّ لتعديات البيزنطيين (الروم) على حدود البلاد العربية ولنشر الدعوة الاسلامية هناك.

- كما أنّ أبا بكر انتدب خالد بن الوليد وعياض بن غنم لغزو بلاد فارس (العراق)، حتى أنهم انتصروا عليهم وقتلوا قائدهم "الهرمز".
- وبطبيعة الحال وجّه أبو بكر الصديق في نفس الوقت 11 لواء لمحاربة المرتدين من القبائل العربية في أنحاء الجزيرة العربية. فنجح أبو بكر في مسعاه، اذ أعاد وحدة العرب تحت لواء الاسلام دينا وسلطة حاكمة.

أما العوامل التي ساهمت وساعدت في نجاح الفتوحات فهي:

- الروح المعنوية والايمان العميق المزروع في نفوس المسلمين ورغبتهم الصادقة في نشر الدعوة الاسلامية واستعدادهم للتضحية في سبيل تحقيق هذه الغاية.
- الاستفادة من الأوضاع العامة السلبية التي كانت تعاني منها الأمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية من وضع اقتصاديّ متردّ، ومن فساد اداريّ كبير في الأجهزة

الحاكمة ممّا ترك أثرا سلبيا على تمزيق وحدة البلدين. كل هذه الأوضاع سهلت أمام الجيوش الاسلامية تحقيق الانتصارات.

حروب الردّة زمن الخليفة أبي بكر الصديق:

واجه أبو بكر الصديق حالة من الارتداد عن الدين في أعقاب موت الرسول (ص).

1. اذكر 4 أسباب رئيسية لارتداد قبائل عربية عن الدين الاسلاميّ، اشرح !
2. اذكر شارحا 3 من نتائج حروب الردة؟
3. ما هي الآثار (النتائج) التي ترتبت عن اعادة توحيد الجزيرة بعد الانتصار على المرتدين؟

1. اربعة أسباب لارتداد قبائل عربية عن الدين الاسلامي:

- الشّك والريبة اللتين حلتا في نفوس بعض القبائل في أعقاب موت الرسول ص، ففي اعتقادهم أنّ الأنبياء لا يموتون، لهذا تراجعوا عن الاسلام.
- رأت بعض القبائل أنّ النزاع بين المهاجرين والأنصار حول خلافة الرسول ص هو اشارة الى زوال أمل هذه القبائل في نيل الخلافة.
- رفض عدد من القبائل العربية الاستمرار في دفع الزكاة، اذ أنهم اعتقدوا اتها أتاوة وليست ركنا من أركان الاسلام. وأنهم – أيّ القبائل – أصبحوا غير ملزمين من دفع الزكاة لخليفة الرسول ص.
- رغبة بعض القبائل في الاستفادة من موت الرسول ص والتي اعتبرته زعيما لقريش، فهذه القبائل وجدت أنّ الفرصة جيدة للتخلص من حكم وسطوة قريش عليها، فارتدت عن الاسلام.

2. ثلاثة من نتائج حروب الردة:

- انتصار جيوش المسلمين عن المرتدين وبالتالي نجاح أبي بكر الصديق في اعادة توحيد شبه الجزيرة العربية تحت راية الاسلام. كما وأكّد هذا الانتصار أنّ العقيدة الاسلامية قوية وثابتة حتى بعد رحيل الرسول ص.
- تمهيد الطريق أمام الجيوش الاسلامية للتفرغ لبدء الفتوحات خارج شبه الجزيرة العربية، وعلى وجه الخصوص باتجاه بلاد الشام.
- ازدياد الحماس في نفوس المقاتلين والمحاربين المسلمين الذين التفوا حول العقيدة الاسلامية ورغبتهم في نشرها.
- أصبح الاسلام هو الدين السائد في شبه الجزيرة العربية تقريبا.

3. الآثار التي ترتبت عن اعادة توحيد الجزيرة بعد الانتصار على المرتدين:

- وحدة المسلمين تحت لواء الاسلام كدين ونهج حياة وبالتالي التخفيف من العصبية القبلية.
- حدث تحول في التوجه العسكري الاسلاميّ، فالقتال خارج الجزيرة العربية له دوافع وأهداف دينية واقتصادية.
- البدء بتنظيم شكل السلطة ابتداء من منصب الخلافة، ثمّ ادخال بعض الأجهزة الادارية على الدولة بعد وفاة الصديق رضي الله عنه.

الخليفة الثاني عمر بن الخطاب:

يُعتبرُ الخليفة عمر بن الخطاب من أعظم الخلفاء في تاريخ الدولة الاسلامية.

1. من هو عمر بن الخطاب؟ بيّن كيف تولى الخلافة؟
2. اشرح ثلاثة من أعماله في المجال الاداريّ؟
3. اذكر اثنين من انجازاته في مجال الفتوحات، ثمّ اشرح عن أحدهما.

1. هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزّى بن رياح. ولد في مكة المكرمة بعد الرسول بـ13 سنة. نشأ عُمر نشأة عالية، فكان مثال الفصاحة والبلاغة والصراحة في الحق، عزيز الجانب شديد البأس. كان يرعى الغنم في صغره، ثمّ احترف التجارة، وكان يعمل سفيرا في قريش لحل النزاعات بين القبائل.

- أسلم عمر بن الخطاب في السنة الخامسة للدعوة الاسلامية، وكان اسلامه اثر كبير في ظهور الاسلام. وكان اسلام عمر فتحا، وكانت هجرته نصرا، وكانت امارته رحمة.
- صحب عمر الرسول بعد اسلامه فأحسن صحبته، وبالغ في نصرته وكان من أشدّ الناس على الكفار وشهد بعض الغزوات. كان الرسول (ص) يستشيره في كثير من الأمور واليه يرجع الفضل في جمع القرآن وتدوينه.
- ولما مرض أبو بكر الصديق نظر في أصحابه ليختر من بينهم رجلا شديدا في غير عنف ولينا في غير ضعف، فوجد أنّ هذه الشروط تتوفر في عمر بن الخطاب. فاستشار الصحابة فأثنوا عليه، فعينه أبو بكر الصديق خليفة من بعده.

2. أعماله في المجال الاداريّ:

- طرد يهود خيبر سنة 635م ونصارى نجران وبذلك أخرج العناصر الأجنبية فأصبحت الجزيرة العربية وحدة متماسكة في: اللغة – والدين – والجنس.
- قسم الدولة الى ولايات وعيّن في كل ولاية واليا عربيا مسؤولا أمامه ووظيفته قيادة الجيش والامامة وادارة الدولة. كما وعيّن قاضيا يحكم في المنازعات الدينية والمدنية عند المسلمين.
- وضع نظام الضرائب فجعل على الذميين الجزية وهي ضريبة ثابتة على الرجال فقط، ويعفى منها النساء والمسنين ورجال الدين. كما وجعل على الأرض ضريبة سماها الخراج. وكذلك جمعت الزكاة من المسلمين وأنفقها على من يستحقها.

- هو أول من دون الدواوين. فوضع ديوانا للمالية والجند.

3. انجازات عمر في مجال الفتوحات:

- فتح العراق وبلاد فارس: (معركة القادسية).
- لما وليّ عمر بن الخطاب الخلافة وزاد الاضطراب في بلاد فارس، دعا المسلمين لغزوها وفتحها وأراد أن يقود الجيش بنفسه، الا أنه اختار سعد بن أبي وقاص الذي التقى برستم قائد الفرس عند القادسية سنة 636م. انهزم جيش الفرس المدعوم بالفيلة، وقتل رستم وغنمت أموالهم بعد معارك دامت 3 أيام.
- فتح مصر:
- أرسل عمر بن الخطاب عمرو بن العاص لفتح مصر، فسار اليها وفتحها مع أنه لم يُجمع لهذا الفتح جيشا كبيرا وذلك لتفرق جند المسلمين في الشام والجزيرة وفارس. الا أنّ مصر كانت معروفة بثرواتها العظيمة ويمدنها التجارية.
- يوم اليرموك (نهر في الأردن اليوم):

قاد جيش المسلمين يومها أبو عبيدة بن الجراح، الذي بلغ نحو أربعين ألف مقاتل. وقد دارت معركة عنيفة بالقرب من نهر اليرموك. فرّ من الروم 70 ألفا وتشتت الباقون. ولما بلغ هرقل زعيم الروم خبر الهزيمة عاد الى القسطنطينية. استطاع المسلمون يومها أن يستولوا على حمص وحماه وحلب وعكا وحيفا ويافا وغزة وغيرها من المدن الشامية.

موقعة اليرموك بالتفصيل:

أعدّ هرقل العدة الى لقاء فاصل، جمع من خلاله كل قواه مصمما على الانتصار على المسلمين. وقد بلغ جيشه 200 الف مقاتل. قاد جيش الروم جبلة بن الأيهم والقائد الأرمني ماهان. وكان هرقل قد أوصى ماهان بمراسلة العرب للصلح، فأبى المسلمون الى طلبه.

اما جيش المسلمين فبلغ نحو 40 الف جنديّ بقيادة أبي عبيدة بن الجراح. دارت هذه المعركة العنيفة بالقرب من نهر اليرموك الذي يصبّ في الأردن جنوبيّ بحيرة طبريا. ولما قدم خالد بن الوليد الى الشام وجد المسلمين يُقاتلون الروم، فرتب الجيش، وجعل أبا عبيدة في القلب، وعمرو بن العاص على الميمنة، ويزيد بن أبي سفيان على الميسرة. لقد هُزم جيش الروم بحيث فرّ منهم 70 الفا وتشتت الباقون. وكانت نساء المسلمين يخضن المعركة مع الرجال لصد هجمات العدو.

ولما بلغ هرقل خبر هزيمة الجند فرّ من أنطاقية الى القسطنطينية وودع سوريا وداعا حزينا. استطاع المسلمون يومها أن يستولوا على حمص وحماه وحلب وعكا وحيفا ويافا وغزة وغيرها من المدن الشامية.

أهم معارك في الإسلام – اليرموك والقادسيّة:

يمكن اعتبار معركتيّ اليرموك والقادسية حاسمتين في تاريخ الاسلام.

1. تطرق الى أسباب كل واحدة من المعركتين مبينا كيف نجح المسلمون في تحقيق النصر؟
2. كيف ساهم النصر في هاتين المعركتين في توسيع رقعة الدولة الاسلامية؟

1. بعض الأسباب الداعية لوقوع كل واحدة من المعركتين:

1. الحماس الدينيّ لدى المسلمين لنشر الدعوة الاسلامية خارج حدود شبه الجزيرة العربية، وكذلك ايمان المسلمين بدعوة القرآن الكريم لنشر الاسلام في العالم.
2. رغبة الخلفاء ابتداء من أبي بكر الصديق بتوسيع مساحة الدولة الاسلامية، لتصبح دولة قوية تسيطر على منطقة واسعة.
3. رغبة المسلمين في اتقاء خطر الفرس والبيزنطيين (الروم المسيحية)، بحيث أنّ هاتين الدولتين شكلتا ضغطا على دولة الاسلام الفتية (الصاعدة).

4. استفاد المسلمون من الضعف الداخليّ الذي حلّ بدولتيّ الفرس والبيزنطييّن من كافة النواحي: السياسة والاقتصادية والعسكرية.
5. استجابة المسلمين للنداءات التي وجهها العرب الواقعين تحت حكم الفرس والبيزانطيين مثل: المناذرة في جنوب العراق، والغساسنة في جنوب الشام. هذه النداءات كانت بدعوى تخليصهم من حكم الدولتين القاسي.
6. استقرار الوضع الداخليّ في الدولة الاسلامية بعد نجاح أبي بكر في اعادة المرتدين واعادة توحيد الجزيرة العربية تحت سلطته. هذا من جهة، والحاجة لايجاد منفذ لروح القبائل الثائرة وحماس الجنود المقاتلين من جهة أخرى، فكان الرأي توجيه هذه القوة نحو الخارج، واشغال القبائل في حروب خارجية بدل الصراعات الداخلية.

2. لقد انتهت كل من معركتيّ اليرموك والقادسية بانتصار المسلمين على الفرس والبيزنطييّن آخذين بعين الاعتبار التفوق العسكريّ من حيث العدة والعدد لدى الدولتين الخاسرتين.

1. لقد ساهم الانتصار في المعركتين المذكورتين أعلاه في سقوط الأمبراطورية الفارسية الساسانية في معركة القادسية، والى انكسار وخروج البيزنطيين من البلاد السورية وكذلك من مصر في معركة اليرموك.
2. انّ سقوط الامبراطورية الفارسية فتح المجال أمام الجيوش الاسلامية للسيطرة على مساحات شاسعة من الأراضي في العراق وبلاد فارس والوصول فيما بعد الى الحدود مع بلاد الصين والهند.

1. من جهة ثانية انكسار البيزنطيين في اليرموك فتح المجال أمام الجيوش الاسلامية للسيطرة على البلاد السورية وشماليّ أفريقيا (مصر)، وفيما بعد ذلك الوصول حتى سواحل المحيط الأطلسيّ وعبور القارة الأفريقية نحو القارة الأوروبية عند مضيق جبل طارق في عهد الخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك.

2. لقد ساهم الانتصار في هاتين المعركتين في فرض حقيقة واقعية: وهي تشكيل امبراطورية عربية – اسلامية مترامية الأطراف، ساهمت عبر عصور معينة في تأسيس حضارة راقية ومتقدمة منحت العالم خدمات جليلة.
3. كما وساهمت عمليّة النصر في وضع العرب والمسلمين في محور التحرك واللقاء الحضاريّ في العالم في ذلك الوقت، اذ تحولت البلدان العربية الخاضعة للحكم العربيّ الى نقطة نقل بين القارات الثلاث – أيّ بين العالم القديم.

الخليفة الثالث عثمان بن عفان والفتنة في زمانه:

واجه الخليفة الراشديّ عثمان بن عفان فتنة أدّت الى اغتياله سنة: 656م وانتهاء حكمه.

1. ماذا نقصد بـ "الفتنة"؟
2. من هو عثمان بن عفان وكيف تسلم منصب الخلافة؟
3. أذكر 4 أسباب أدّت الى وقوع الفتنة في فترة خلافته؟
4. أذكر 3 تنائج نتجت عن هذه الفتنة؟
5. أذكر الفئات المعارضة لحكم عثمان؟

1. نقصد بكلمة: "الفتنة"، كلّ خلاف بين أفراد الأمّة الواحدة يغذيه ويقويه عدد من أصحاب النوايا السيئة والمصالح الشخصية، ويؤدي في نهاية المطاف الى اندلاع نار الحرب الأهلية.
2. عثمان بن عفان: (644 – 656م) هو ثالث الخلفاء الراشدين. ولد عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشيّ السنة الخامسة بعد ميلاد الرسول بخمس سنين.

اشتهر بالفقه والحياء والكرم كثير الاحسان والحلم وكان يصوم طوال أيام السنة. اسلم على يد أبي بكر الصديق وكان من أوائل المهاجرين مع زوجته رقية. اشترك عثمان في الغزوات وكان أفضل من قرأ القرآن على النبيّ (ص).

بذل عثمان كثيرا من ماله في سبيل الاسلام وكان من المبشرين بالجنة. ينتمي عثمان بن عفان الى البيت الأمويّ، وتزوّج من ابنتيّ الرسول ص فلقّب بـ "ذي النورين " وساهم من ماله في سبيل نشر الدعوة.

استلم الخلافة بانتخاب أعضاء مجلس الشورى الذي عينه سلفه الخليفة عمر بن الخطاب، وجاء انتخابه لكبره في السنّ ولسهولة التعامل معه بسبب لينه ومرونته، ولكونه ممثلا عن الارستقراطية الأموية التي بدأت تعيد مجدها ودورها.

3. أربعة أسباب أدّت الى وقوع الفتنة في خلافته:

1. سياسة عثمان وأسلوب حكمه وتمثل ذلك في انه عمد الى عزل الولاة الذين كان عمر بن الخطاب قد عينهم من قبله، وولى مكانهم أقربائه وأصدقائه مما أثار غضب المسلمين الذين رأوا في عمر صادقا وعادلا ومنزها عن الأقرباء.
2. اسرافه في الانفاق من بيت المال على نفسه وبيته وعلى اقربائه وأصدقائه دون التقيد بقيود أو حدود، وهذا التوجه زاد من غضب ونقمة المسلمين عليه.
3. لجوئه الى استخدام أسلوب النفيّ لكلّ من عارضه أو اظهر رأيا مخالفا لرأيه، حتى بلغ الأمر من انه حبس الصحابيّ أبي ذر الغفاريّ.
4. قيامه باستخدام جوانب معينة في الدين، مثلا: خفض صوته أثناء التكبير وتقديمه الخطبة في العيد على الصلاة.

4. ثلاثة نتائج نتجت عن هذه الفتنة:

1. لأوّل مرّة يقتل خليفة مسلم على خلفية خلافات اسلامية وبين مسلمين.
2. وقوع انشقاق بين المسلمين وازدياد التباعد في الاراء والمواقف بين الفرق والأحزاب السياسية والدينية، وتحديدا حوا منصب الخلافة.
3. ظهور أحزاب وفرق اقليمية أخذت تنادي بحقها في تولي الخلافة، فأهل الحجاز يريدون ابقائها لديهم، وأهل الشام بقيادة معاوية يريدون اعادة مجد بني أمية.

4. فتحت هذه الفتنة باب الخلافات بين المسلمين على مصراعيه، وخاصة لجوء، كلّ فريق الى استخدام السيف كحلّ للخلافات والنزاعات السياسية.

5. الفئات المعارضة لحكمة ودوافع معارضتها:

- لقد قاد أبو ذر الغفاري وهو صحابي تقي وورع نشاطا معارضا لحكم عثمان، اذ لم تعجبه تصرفاته فطلب اليه العودة الى التمسك بسيرة النبيّ (ص) والعمل على نشر مبدأ المساواة بين المسلمين. حاول عثمان استمالته ولكن دون جدوى فنفاه خارج المدينة المنورة.
- أما المعارضة الثانية فكانت من قبل عبدالله بن سبأ، وهويهودي اعتنق الاسلام. كان بن سبأ يدّعي أحقيّة عليّ بن أبي طالب في الخلافة لأنه وصيّ الرسول (ص).
- نقمة سكان الأقاليم والأقطار على عثمان بسبب اهماله لشؤونهم وبسبب طريقة ادارته للدولة الاسلاميّة، وكذلك بسبب تصرفات عماله القاسية مع الرعية (الناس).

الخليفة الرابع – عليّ بن أبي طالب:

أدت معارضة طلحة والزبير وعائشة بيعة عليّ بن أبي طالب الى وقعة الجمل.

1. من هو علي بن أبي طالب؟ وكيف تمت بيعته؟
2. بيّن سبب معارضة كلّ من طلحة والزبير وعائشة بيعة عليّ بن أبي طالب؟
3. اشرح نتيجتين لوقعة الجمل؟

1. عليّ بن ابي طالب: (656 – 661م).

ولد عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ القرشيّ بمكة قبل بعثة الرسول (ص) بعشر سنين.

- أمّه فاطمة بنت أسد، كان عليّ أول من آمن بالرسول (ص) من الصبيان. هاجر مع الرسول الى المدينة المنورة وزوّجه النبيّ من ابنته فاطمة فأنجب منها الحسن والحسين.
- اتصف عليّ بن ابي طالب بالخصال الحميدة، فقد نشأ في بيت رسول الله فتأدب بأدابه العالية وتخلق بصفاته.
- اشترك عليّ بن أبي طالب بجميع الغزوات وقد دافع كثيرا عن الرسول (ص) واشتهر بالفروسية والحكمة. وكان عليّ يرى انه أحق المسلمين بالخلافة بعد موت الرسول (ص) لأنه أقرب الى الرسول نسبا وصهرا.
- كان الخلفاء يستشيرونه في مهام الأمور وذلك لعلمه وذكائه ودينه. فقد اشتهر بالمروءة والوفاء وفصل الخطاب.
- ولما قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، مال بعض الثوار الى تولية عليّ بن أبي طالب. وكان أكثر الصحابة متفرقين، ولم يكن بالمدينة سوى عدد قليل من الصحابة، وقد تردد البعض من بيعته.
- بايعه الناس في المدينة سنة: 35 هجرية.
- بادر الخليفة الراشدي الرابع، عليّ بن أبي طالب، بعزل الولاة الذين ولاهم عثمان، وقد أثار ذلك سخط الكثيرين.

2. خروج طلحة والزبير وعائشة: "موقعة الجمل".

- نصح عليّ بن أبي طالب الذين طالبوا بدم قتلة الخليفة عثمان بن عفان بأن يصبروا قليلا حتى تهدأ الأمور ويستتب الأمن في البلاد، الاّ انه فشل بذلك.
- ساء عائشة – زوجة النبيّ (ص) – قتل عثمان وأرادت انْ تثأر له. وانضم اليها طلحة والزبير الذين ندموا على بيعة عليّ بن أبي طالب.
- وسرعان ما خرج طلحة والزبير وعائشة الى البصرة في 3000 الآف مقاتل. فلما وصلوا البصرة، نصحوا لهم وللجند بالرّجوع الى المدينة.
- لقد سُميتْ هذه المعركة بمعركة الجمل بسبب الجمل الذي كانت تركبه عائشة.

- وسار عليّ بن أبي طالب نحو البصرة والتقى الجيشان سنة: 36 هجرية. ونشب القتال بعد مفاوضات دامت 3 أيام.
- فتمّتْ الهزيمة على أصحاب عائشة وطلحة والزبير. أُسِرتْ عائشة، وقتل طلحة وانصرف الزبير الى المدينة فقتل في الطريق.
- وقد قيل أنّ عدد القتلى في يوم الجمل عشرة الآف من الفريقين قتلوا حول جمل عائشة، وقد انتهت هذه المعركة في يوم واحد فقط.

3. نتائج معركة الجمل:

- كان لمعركة الجمل نتائج سيئة على المسلمين لأنها أثارت الفتن من جديد بين القبائل العربية (بين الهاشميين والأمويين).
- أوقفت معركة الجمل الفتوحات الإسلامية.
- قوّتْ معركة الجمل أعداء المسلمين من الخارج وخاصة دولة الروم أيّ البيزنطيين.

الحرب الأهليّة والصراع بين عليّ ومعاوية.

وصل الصراع بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان الى قمته في مسألة التحكيم.

1. اذكر واشرح تسلسل الأحداث والظروف التي أدت الى "التحكيم"؟
2. ما هي نتائج "التحكيم"؟ وتطرق الى أبعاد هذا التحكيم على مستقبل الدولة الاسلاميّة؟

1. لقد كان لمقتل الخليفة عثمان بن عفان على يد مسلمين أكبر الأثر في تمزق وحدة وصف المسلمين. فظهرت فئات وأحزاب طامعة بالخلافة، منها من يؤيد علي بن أبي طالب كزعيم للبيت الهاشميّ، ومنها من يعارض ويؤيّد البيت الأمويّ والانتقام لمقتل عثمان.

- والحقيقة أنّ معاوية بن أبي سفيان المعروف بداهية العرب قد نجح في جعل قضية مقتل عثمان، قضية الساعة في كافة أرجاء الدولة الاسلامية. ونجح أيضا في تحريك معارضة أهل الحجاز المتمثلة بعائشة وطلحة والزبير ضد عليّ بن أبي طالب، وأيضا ليفحص قوة علي السياسية والعسكرية.
- فما كان من عليّ الاّ أنْ وجّه جنوده لمواجهة معارضيه في موقعة الجمل والقضاء على معارضتهم، ثمّ التفرغ لمواجهة معاوية وأهل الشام المؤيدين له.

أما الأسباب المباشرة لمعركة صفين، وهي تعتبر من أكبر الحروب الأهلية في الاسلام في تلك الفترة، فكانت على النحو التالي:

1. رغبة عليّ بن أبي طالب اخضاع والي الشام معاوية بن أبي سفيان المتمرد والمعارض لحكمه والرافض لمبايعته.
2. رغبة عليّ في بسط حكمه وسيطرته على آخر معقل معارض له – الا وهو بلاد الشام – ولقد كان الانتصار في موقعة الجمل أكبر الأثر في تشجيعه لمواصلة تصفية جيوب المعارضة من الخصوم السياسيين والعسكريين.
3. رفض عليّ المتواصل في الاستجابة لطلب معاوية بتسليم قتلة عثمان وتقديمهم للمحاكمة.
4. الرغبة الخفية لمعاوية في نيل منصب الخلافة وجعله في بيت بني أمية.

معركة صفين: 36 هجرية – دامت 3 اشهر.

- ولقد التقى الفريقان المتنازعان في موقعة صفين (شمال سوريا)، وكاد عليّ أن ينتصر على جيوش معاوية لولا حيلة رفع المصاحف على أسنة الرماح والتي كان قد أشار اليها، صديق معاوية عمرو بن العاص.
- فوقع الخلاف في صفوف عليّ، وذلك لأنه اذا وافق عليّ على التحكيم فهذا يعني أنه يشكك في كونه خليفة صاحب حقّ في محاكمة الأخرين، وها هو يرضخ للتحكيم. عندها سينشق عنه معارضو فكرة التحكيم وسيعرفون باسم "الخوارج".

واذا عارض التحكيم فسيقول معاوية وجماعته، انّ عليا رفض قبول حكم الله وبالتالي ستنشق عنه مجموعة أخرى.

- فأرسل عليّ أبو موسى الأشعريّ مندوبا عنه، وأرسل معاوية عمرو بن العاص. فاجتمع الاثنان، وهنا ظهر دهاء عمرو بن العاص الذي اتفق مع الأشعريّ على خلع الاثنين وتخليص العالم الاسلاميّ من هذا الخلاف من جذوره وأساسه، فلاقت الفكرة للأشعريّ.
- فوقف الأشعريّ وخلع الآثنين عن الخلافة – أيّ عليّ عن منصبه، ومعاوية عن مطالبته بالخلافة، داعيا المسلمين الى اختيار من يرونه ملائما. أما عمرو فخلع عليا مؤكدا بذلك كلام الأشعريّ وثبّت معاوية في حقه بالخلافة.

ونجم عن هذا التحكيم سلسلة من النتائج:

1. تذمر شديد جدا في صفوف جنود عليّ بن أبي طالب وانقسامهم الى شيعة وخوارج.
2. ازدياد شعبية معاوية، وانضمام كثيرين من العرب الى صفوفه اعتقادا منهم أنه هو الشخصية القوية التي تحمل في داخلها مستقبل الدولة الاسلامية.
3. لقد أفسح انقسام جيش عليّ لمعاوية الفرصة لبسط سيطرته ونفوذه من مناطق أخرى غير الشام. وذلك باستغلال قيام عليّ بمحاربة معارضيه الخوارج في معركة النهروان.
4. ظهور فئات وفرق متصارعة فيما بينها، تطورت مع الزمن. أيّ الصراع بين الشيعة المطالبين بحقّ عليّ وأولاده في الخلافة # والخوارج المنادين بمبدأ الحرية في الاختيار.
5. بداية نهاية الخلافة الراشدية. وبداية الخلافة الأموية المؤسسة على مبدأ التوريث في الحكم.
6. انتقال مركز الحكم من العراق (الكوفة) الى دمشق (الشام)، وبالتالي سنرى الفرق بين بساطة حياة الخلافة الراشديّة ورخاء الخلافة الأمويّة الجديدة.

الفصل الثامن

منصب الخلافة
في العصور المختلفة
وطريقة اختيار الخلفاء



منصب الخلافة في العصور المختلفة وطريقة اختيار الخلفاء

حدث اختلاف على طريقة اختيار الخليفة في الدولة الاسلامية عبر عهودها المتنوعة.

1. أذكر واشرح طريقة اختيار كل واحد من الخلفاء الراشدين؟
2. اشرح التغيير الذي حدث على طريقة اختيار الخليفة في العهدين الأموي والعباسيّ؟
3. كيف أثر هذا التغيير على مكانة الخليفة بين المسلمين؟

الخلافة مصدر "خلف". والخليفة السلطان الأعظم. ومن ثمّ سُمي من يخلف الرسول ص في اجراء الأحكام الشرعية. والخليفة في الاصطلاح هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول ص.

اختيار أبي بكر الصديق:

1. انقسم المسلمون في المدينة المنورة بعد وفاة الرسول (ص) الى فريقين: المهاجرون والأنصار.
2. اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليتشاوروا في أمر الخلافة ويختاروا واحدا من بينهم.
3. وقد عدّد سيد الخزرج سعد بن عبادة أفضال الأنصار ومكرمتهم، فلذلك فانّ لهم الحق في منصب الخلافة.
4. ولما بلغ الأمر عن اجتماع السقيفة اسرع المهاجرون بقيادة عمر بن الخطاب برفقة ابي بكر الصديق الى السقيفة، حيث قام ابو بكر في الناس خطيبا، وأخذ يظهر مواقف المهاجرين وحقهم في الخلافة لسبقهم في الاسلام وتعرضهم لمضايقات وملاحقات قريش.

5. عندها قام الخباب بن المنذر أحد الأنصار واقترح: "منا امير ومنهم امير"، فلم يوافق المهاجرون على ذلك لأنّ النبيّ ص كان من قريش، وكذلك تولية اثنين الخلافة سيؤدي الى الاختلاف. وقد حاول عمر أن يشرح للحضور مكانة أبي بكر الصديق عند الرسول ص. لذلك قال عمر بن الخطاب: "أبسط يدك ابايعك"، ثمّ بايعه المهاجرون والأنصار.
6. اذن، استخلف الصديق بطريقة اقرب الى النظام القبلي الأبويّ، أيّ لأنّ كبر السن والصداقة للرسول ص والسابقة في الاسلام، ودعمه المادي لنشر الدعوة. وما حصل في اجتماع السقيفة هو أيضا يتماشى مع نظام الشورى، اذ حدث تشاور في الآراء ووقع الجدال والنقاش. يطلق على هذا الاختيار: ((طريقة الاختيار الاستشاري)).

اختيار عمر بن الخطاب:

1. ولما مرض الصديق، عهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب بعد أن تشاور مع عدد من الصحابة وسألهم رأيهم في عمر فأثنوا عليه ووافقوا على اختياره.
2. وكان الهدف الحفاظ على وحدة المسلمين بعد نجاحه في كسر المرتدين ومنعا لوقوع الخلافات بينهم. اذن، طريقة اختيار عمر اشبه بولاية العهد أو التعيين. فيكون الصديق قد استشار الصحابة في الأمر ولم يستبد برأيه واستعان بمبدأ الشورى والابتعاد عن التوريث.

اختيار عثمان بن عفان:

1. ولما طعن عمر بن الخطاب، دخل عليه بعض الصحابة فقالوا له: يا أمير المؤمنين استخلف علينا أحدا. . . فاختار عمر 6 من رجال من كبار الصحابة تكون الخلافة لأحدهم.
2. هؤلاء هم: عثمان بن عفان، سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عوف، الزبير بن العوام. طلحة بن عبيد الله وعلي بن أبي طالب.

3. الا انّ الأمر انتهى بمبايعة عثمان. ولم يكن عثمان صاحب شخصية قوية ثابتة في حكمه، فقد اتبع سياسة اللين مع أقربائه، وعين من أقربائه في ادارة الولايات، وعندما اشتكت البلاد من سوء ادارة هؤلاء لم يظهر عثمان أيّ اهتمام بهذه الشكاوى، مما أدى في نهاية المطاف الى حصار داره واغتياله.

اختيار علي بن أبي طالب:

1. فلما قتل عثمان بن عفان بايعه عدد من الصحابة في المدينة المنورة وتردد آخرون عن ذلك (منهم بني أمية) الذين اتهموا عليا وأولاده بمقتل عثمان.
2. فدب الخلاف بين عليّ وبين زعيم الأمويين معاوية بن أبي سفيان الذي رفض مبايعته وطلب القبض على قتلة عثمان ومحاكمتهم.
3. فحاربه سيدنا عليّ في معركة صفين. وحصلت حيلة رفع المصاحف، فتم التحكيم فكان لصالح معاوية. فانشقت صفوف عليّ وخرج عليه الخوارج الذين اغتالوه في العراق.

1. التغيير الذي حدث على طريقة اختيار الخليفة في العهدين الأمويّ والعباسيّ:

- العصر الأمويّ:

1. التغيير الأساسي الذي حدث في العهدين الأمويّ والعباسي مقارنة مع العهد الراشدي هو اتباع الحكم الوراثيّ والملك الاستبداديّ بدلا من التوجه الاستشاري.
2. لقد كان نظام الشورى أساسا لانتخاب كل خليفة من الخلفاء الراشدين. فتحولت الخلافة لتصبح بقوة السيف والتسلط.
3. ولما ولي معاوية ابنه يزيد العهد بدأت طريقة التوريث. اذ أنّ معاوية اخذ البيعة لابنه والسيوف فوق رقاب الناس.
4. لقد أثارت طريقة التوريث مشاكل ونزاعات عديدة، وخصوصا ما له شأن في ولاية العهد. فهذا عبد الملك بن مروان يورث الحكم لابنيه الوليد ثم سليمان.

ثم ينتقل الى بن عمهما عمر بن عبد العزيز. ثم عادت الخلافة الى يزيد وهشام ابني عبد الملك. ثمّ تردى الحكم الى أن سقطت الدولة الأموية وتحول نظام الحكم الى العباسيين الذين حكموا في بغداد – العراق.

- العصر العباسيّ:

أ. نلاحظ انّ الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور أضاف الى منصبه صفة الحق الالهي المقدس – فأصبح يعتبر نفسه ظل الله في الأرض.

ب. لقد اتبع العباسيون نفس أساليب الحكم الأموي مثل أخذ البيعة والتوريث لأكثر من واحد. والملاحظ أنّ العناصر الأجنبية أخذت تلعب دورها في تشكيل الحكم وخاصة العنصر الفارسيّ الذي ترك أثره في صراع الأخوين – الأمين والمأمون.

ج. انّ ازدياد التدخل الأجنبيّ في شؤون الدولة الدولة العباسية قد جعل من العرب عنصرا جانبيا ضعيفا.

2. لقد ادى التغيير في نظام اختيار الخليفة الى حدوث تغيير في مكانة الخليفة ذاته بين المسلمين. لقد رأينا كيف كان الخليفة في الفترة الراشدية رجلا بسيطا، متواضعا وقريبا من الشعب.

- ولم يعتبر نفسه غريبا أو متفوقا عليهم من حيث منصبه. وكذلك لم يضع حاجزا أو حاجبا بينه وبين الناس كما فعل خلفاء بني أمية والعباسيين.
- أما في العصرين الأمويّ والعباسيّ فنلاحظ أنّ أسلوب التوريث قد أدخل الخلفاء في صراعات داخلية فيما بينهم وبين نساء القصر والورثة. ولعبت الأيدي الغريبة دورا بارزا في اشتعال نار الخلاف والفتنة بين افراد المجتمع الواحد.

وتمثلت قمة صراع الوراثة في خلاف الأخوين الأمين والمأمون. اذ أنّ الخليفة هارون الرشيد كان قد وقع تحت تأثير زوجاته.

مُعاوية بن أبي سفيان – مؤسّس الدولة الأمويّة:

يُعتبرُ مُعاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية وباني أُسُسها .

1. من هو معاوية؟ وكيف وصل الى الحكم؟
2. ما هي أبرز الأعمال الادارية والتنظيميّة التي قام بها والتي جعلته يستحق لقب "مؤسس الدولة الأموية" ؟
3. أذكر/ي ثلاثة من الطرق التي استعملها معاوية في تثبيت حكمه؟ اشرح!!!

1. ولد معاوية بن أبي سفيان بمكة قبل البعثة بخمس سنين. ينتسب معاوية الى البيت الأمويّ، وهو ابن أحد أغنياء ووجهاء قريش وكبير تجّارها أبو سفيان. وكان معاوية قد اعتنق الاسلام يوم فتح مكة المكرمة على يد الرسول (ص). وأشغل مناصب عديدة في الأجهزة الادارية المختلفة قبل تسلمه منصب الخلافة، مثل كاتبا للوحي وولاية الشام. لقب بداهية العرب.

- لقد استغلّ معاوية مقتل عثمان وأخذ يُطالب بالخلافة، فحارب عليّ بن أبي طالب في موقعة صفين، والتي كاد أن يخسر فيها معاوية الى أن اقترح عليه قائده عمرو بن العاص فكرة رفع المصاحف والتحكيم.
- وبعد مقتل عليّ بن أبي طالب على يد الخوارج، أعلن معاوية عن نفسه خليفة وأخذ البيعة من المسلمين، ونقل مركز حكمه الى الشام فأصبحت دمشق عاصمة دولة الأمويين. كان سياسيا محنكا، لبيبا، عالما، حليما حكيما وفصيحا.

2. قام معاوية بتنفيذ سلسلة من المشاريع والأعمال قبل تبوئه منصب الخلافة وخلاله، ومنها:

1. اهتمّ بتأسيس وبناء الأسطول العربيّ الاسلاميّ وخاض أول معركة بحرية ضدّ البيزنطيين هي معركة "ذات الصواري" التي انتصر فيها عليهم.

2. وضع أسس ديوانيّ الخاتم والبريد. فديوان الخاتم يهتمّ بختم الرسالة بخاتم الخليفة وترك نسخة منها في الأرشيف، وديوان البريد، يقوم بنقل الرسالة بواسطة سعاة بريد منتشرين في محطات بريدية في الدولة، وذلك بهدف ايصالها الى عنوانها. ولقد استخدم معاوية هذا الديوان بالذات للتجسس على الناس أو أصحاب الوظائف العليا في الدولة وتجميع الأخبار حولهم.
3. حاول في فترة خلافته احتلال القسطنطينية (اسطنبول اليوم) مرتين ولكنه فشل بسبب مناعة أسوارها. ولكن مجرد وصول جيوشه الى هذه المدينة التي كانت تُعتبرُ أكبر مدينة في العالم، لدليل على قوة التنظيم العسكريّ وحسن الادارة.
4. اهتمّ باجراء تنظيمات مالية على الجهاز المالي من حيث طرق جباية الضرائب وكيفية تسجيلها وتوزيعها.

3. ثلاثة من الطرق استعملها معاوية في تثبيت حكمه:

(سعة الصدر + بذل الأموال + الحيلة والسم)

1. اعتمد معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام باعتبارهم قاعدة أساسية من قواعد حكمه. فهو عرفهم لمدّة تزيد على 40 عاما، نجح خلالها في كسب تأييدهم له، وخاصة في الأوقات الصعبة.
2. جعل من دمشق مركزا للدولة ونقل اليها بيت المال ووضع معايير جديدة لتوزيع العطاء على المسلمين، وذلك في سبيل ضمان النصيب الأكبر من هذا العطاء لأهل الشام.
3. لقد عرف مُعاوية كيفيّة اختيار الرجال وتقريبهم اليه وتفويض أمور كثيرة اليهم، وبالذات عرف كيف يستقطب تأييد رجال دُهاة كالمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه وعمرو بن العاص، والاستفادة من خبراتهم ودهائهم.
4. وليمنع الأزمات حول مسألة الخلافة فانه وضع طريقة ثابتة في تعيين الخلفاء وهي طريقة "التوريث"، اذ انه أخذ البيعة لابنه يزيد من الناس عموما.

الخليفة الأموي الرابع – مروان بن الحكم 683م

1. من هو مروان بن الحكم؟ وكيف وصل الى الحكم؟
2. أذكر واحدا من الأعمال التي قام بها مروان بن الحكم؟

- ينتسب مروان بن الحكم إلى البيت الأمويّ الذي وقف من الرسول والدعوة الاسلامية موقفا عدائيّا.
- لمّا وُليّ عُثمان الخلافة اتخذ مروان وزيرا له ومُشيرا، فكان ساعده وكاتبه ومُدبّره.
- اعتزل مروان السياسة بعد موقعة الجمل(الحرب الأهليّة)، ثمّ بايع الخليفة الراشدي عليًا، وأقام بالمدينة المنوّرة.
- ولاه الخليفة معاوية بن أبي سفيان على المدينة المنورة مرتين.
- ظلّ بالشام إلى أنْ تولّى الخلافة بعد معاوية الثاني بن يزيد وذلك لسنه وشيخوخته ولخبرته الطويلة في السياسة.
- كان مروان من رجال قريش ومن ذوي الرأي والفصاحة والشجاعة.
- روى الحديث الشريف عن كثير من الصحابة.
- يرجع اليه الفضل في ضبط المقاييس والموازين.
- نقض مروان بن الحكم العهد وأخلّ مؤتمر الجابية وذلك حين بايع ابنيه عبدالملك وعبد العزيز بالخلافة لهما من بعده.
- مات مروان بن الحكم مقتولا سنة 65هـ بعد أن عهد بالخلافة لابنيه عبدالملك ثمّ عبد العزيز.

الأعمال التي قام بها:

- هزم الخليفة مروان بن الحكم الضحّاك بن قيس بعد أن قتله في موقعة مرج راهط سنة: 684م بعد قتال دام 20 يوما.

- تابع مروان بن الحكم نشاطه بعد هذه الموقعة بحيث أرسل جيشا بقيادة ابنه للقضاء على عامل عبدالله بن الزبير عند العقبة.
- هزم مروان بن الحكم عامل بن الزبير ودخل مصر سنة 65هـ، إلا أنّ البعض لم يُبايعه، الأمر الذي جعله مُهددا.
- عاد مروان الى الشام حيث أعدّ جيشين. الأول لمقاتلة عبدالله بن الزبير في الحجاز والثاني الى العراق.

الخليفة الأمويّ الخامس –عبد الملك بن مروان 685م

1. من هو عبدالملك بن مروان؟ وكيف وصل الى الحكم؟
2. أذكر الأسباب التي أدت الى اندلاع الثورات في عهده؟
3. ما هي الاصلاحات التي أجراها في الدولة؟

1. هو عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.

- وُلد بالمدينة سنة 26هـ في زمن خلافة عثمان بن عفان.
- نشأ نشأة عالية. عُرف بالشجاعة والنجدة والفصاحة والصراحة. حفظ القرآن الكريم، وكان عالما بأمور الشرع الاسلاميّ، وله مع الشعراء والأدباء مجالس.
- اشتهر عبدالملك بصفات حميدة كالحزم وأصالة الرأيّ والعدل.
- كادتْ الأمة العربية عند وفاة مروان بن الحكم تمزقها العصبية القبلية حتى أشرفت الدولة الأموية على الزوال.
- يُعتبر عبدالملك المؤسّس الثاني للدولة الأموية وذلك لرجاحة عقله وتصريف أموره فانتشلها من الفوضى.
- مع مُضي 7 سنوات لحكمه هدأت الأحوال وساد السلام واستقامت الأمور في أرجاء الدولة.

2. الأسباب والعوامل التي أدت الى الثورات في عهد عبدالملك بن مروان.

- انقسام الدولة الأموية الى مناطق سيطر على كلّ واحدة منها رجل جمع حوله أعدادا من المؤيّدين مثل: دويلة الأزارقة والنجدات والشيعة وابن الزبير.
- نقض مروان بن الحكم الاتفاق الذي تمّ بين الأمويين في اجتماع الجابية.
- اشتداد حدة العصبية القبلية بين القيسيين واليمنيين بعد موقعة مرج راهط.

3. تركزت السياسة الاصلاحية التي أدارها عبدالملك بن مروان باعلانه عن تعريب الدواوين في البلاد بما فيها نظام النقد (العملات).

- أصبحت اللغة العربية لغة رسية للمعاملات الرسمية وتعيين عرب مسلمين رؤساء لهذه الدواوين.
- قصد عبدالملك بذلك تحرير الدولة العربية من نفوذ الموظفين الأجانب وللتخلص من ترجمة الوثائق للعربية، وكذلك لنشر اللغة العربية في المؤسسات المختلفة في البلاد.
- تقليص نفوذ أهل الذمة (أهل الكتاب) والموالي (المسلمون من غير العرب).
- حرّر عبدالملك بن مروان الاقتصاد العربي من النفوذ الأجنبيّ بحيث أنه أصدر عملة عربية.
- انشأ عبدالملك محاكم المظالم (وهي محكمة استئناف عليا) لحماية المظلومين والفقراء والمستضعفين في الدولة.

الخليفة الأمويّ السادس – الوليد بن عبد الملك 705م:

قام الخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك بتحقيق انجازات كثيرة خلال حكمه.

1. من هو الوليد بن عبدالملك؟ وكيف وصل الى الحكم؟
2. أذكر أهم انجازاته العسكرية التي قام بها؟
3. أذكر ثلاثة من الانجازات غير العسكرية التي قام بها؟ اشرح عنها !!!

1. هو الخليفة الأموي السادس ومدة خلافته 10 سنوات بين: 705- 715م وتولى الخلافة أثر موت أبيه الخليفة الأمويّ عبدالملك بن مروان، وكان عبدالملك قد عهد بالخلافة من بعده لابنيه: الوليد ثمّ سليمان، ولقد تسلم الوليد ملكا موطد الأركان، وبلغت الدولة العربية في عهده أوجها من حيث التوسعات والازدهار الحضاري. فأصبحت الأجواء الداخلية مناسبة للعودة الى متابعة عمليات الفتوحات بعد القضاء على كافة الثورات والتمردات في أنحاء الدولة.
2. الفتح غربا:

استغلّ والي أفريقيا موسى بن نصير فرصة اضطرابات الأحوال الداخلية في اسبانيا من النواحي العسكرية والاقتصادية والاجتماعية وتعمق النزاعات المذهبية بين السكان، ليقوم بتوجيه جيش لفتح اسبانيا. تولى القيادة: طارق بن زياد الذي عبر المضيق. ونجح جيشه في احتلال العاصمة الاسبانية طليطلة، ثمّ غرناطة وقرطبة وذلك مدة نصف سنة فقط. وصلت جيوش المسلمين الى جنوب فرنسا حيث حصلت فيها معركة "بلاط الشهداء" بقيادة عبد الرحمن الغافقيّ. يُعتبر فتح الأندلس انجازا عظيما للمسلمين بحيث أصبح المسلمون يشكلون خطرا كبيرا على القارة الأوروبية كلها.

الفتح شرقا:

لما كان قتيبة بن مسلم واليا على خراسان خرج الى نواحي بلاد ما وراء النهر. فسقطت مدينة بخارى بيده ثمّ مدن خوارزم وسمرقند وكاشان في أواسط آسيا.

وتابع قتيبة بعد تحقيق هذه الانتصارات مسيرة فتوحاته نحو بلاد الصين.

أما القائد محمد بن القاسم فأرسله الحجاج بن يوسف الى غزو بلاد السند والهند.

3. ثلاثة انجازات غير عسكرية قام بها الوليد بن عبد الملك:

1. قام بتنفيذ سلسلة من الأعمال العمرانية وأهمها مبادرته الى تشييد الجامع الأمويّ في دمشق ثمّ بناء المسجد القصى في القدس. وقام باصلاح المسجد النبوي بالمدينة المنورة وأمر بتذهيب الكعبة. اهتم ببناء المدارس والمستشفيات المختلفة.
2. اهتمّ باصلاح الطرقات وتحسينها من حيث تعبيدها وتوفير الحماية عليها.
3. اهتمّ بتأمين مياه الشرب في المدن والأرياف ومراقبة جودتها.
4. اهتمّ في تعريب الدواوين في دولته الأموية الكبيرة الى اللغة العربية.

الخليفة الأموي الثامن – عمر بن عبد العزيز 717م:

عُرف عن عمر بن عبد العزيز أنه كان مختلفا عن بقية خلفاء البيت الأمويّ، حتى أنه لُقب بـ"عمر الثاني" أو "الخليفة الراشدي الخامس".

1. من هو عمر بن عبد العزيز؟ وكيف وصل الى الخلافة؟
2. ما هي المشاريع والاصلاحات التي قام بتنفيذها؟
3. أذكر 3 نتائج نجمت عن سياسته وأثرت على الدولة الاسلامية؟ اشرح!!!

1. وُلد عمر بن عبد العزيز في مدينة حلوان بمصر عام: 678م. والده معروف بالتقوى والورع. أمّه أمّ عاصم بنت عمر بن الخطاب. أرسله أبوه الى المدينة المنورة في الحجاز لطلب العلم فاطلع على أصول الدين الاسلامي وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

ظلّ عمر بالمدينة المنورة حتى مات أبوه وآلت الخلافة الى عبد الملك بن مروان، فبعث في طلب ابن أخيه وزوّجه من ابنته فاطمة. وأقام عمر بدمشق حتى أصبح الوليد خليفة. فعيّنه واليا على المدينة، فبقي فيها سبع سنين، كان فيها مثالا للورع والتقوى.

وعارض عمر محاولة الوليد خلع أخيه عن حقه في الخلافة بحسب وصية عبد الملك اذ انّ الوليد ارادها لابنه. فتعرض عمر للمضايقات، الا انه صبر. ولم ينس سُليمان موقف عمر منه فأوصى بالخلافة له.

2. الاصلاحات التي نفذها:

1. رفع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة.
2. خفف الضرائب عن عامة المسلمين وبخاصة الموالي من الفرس. ونتيجة لسياسته المالية الجيدة أخذت أعدادا كبيرة بالدخول في الاسلام، مما أدى الى نقص في ايرادات بيت المال.
3. منع سبّ وشتم عليّ بن أبي طالب وأهل بيته من على المنابر.
4. خفّف سياسة التشديد والعنف مع الشيعة.
5. انشأ مجلس شورى لمساعدته في ادارة الحكم في البلاد.
6. عامل ولاته بشدة وحاسبهم على أعمالهم.
7. نظم أمور الموازين والمكاييل بهدف منع الغش في البيع والشراء.
8. نظم واصلح مصلحة البريد.
9. تساهل مع أهل الذمة، خاصة مع المسيحيين.

ولقد عُرف عن عُمر بن عبد العزيز تمسكه بأصول وأسس الشريعة الاسلامية، اذ انه اتخذ مبدأ المساواة بين العرب المسلمين وبين الموالي أساسا في الحقوق والواجبات. لقد اتبع عمر بن عبد العزيز أقوال وأحكام القرآن الكريم والاسلام في عمليات جباية الضرائب واعفائها ممن دخل في الاسلام.

والظريف في أمر هذا الخليفة انه أمر زوجته الوحيدة فاطمة بأن تقدم حليها ومصاغها لبيت مال المسلمين، وحرر عبيده، وأمر زوجته بتدبير المنزل وعاشا حياة البساطة والتواضع.

3. ثلاث من نتائج سياسته:

1. عامل الموالي معاملة حسنة وخفف عنهم الضرائب التي فرضها الخلفاء السابقون. والنتيجة أنّ هذه المعاملة ساهمت بتهدئة الأوضاع في الدولة الأموية.
2. اسقط عمر بن عبد العزيز الجزية على من أسلم من أهل الذمة، والنتيجة أنّ هذا الأمر أدى الى دخول الكثيرين في الاسلام.
3. قرّر عمر بن عبد العزيز ابقاء أراضي الخراج لمن يعمل بها.

النظام الاداريّ في الدولة الاسلاميّة:

1. الوزارة في الاسلام.

تعتبر الوزارة من الأجهزة الادارية الهامة في الدولة الاسلامية.

1. ما هو اصل معنى المصطلح "وزارة"؟
2. كيف نشأت الوزارة؟ وما هي أحوالها في العصر العباسيّ الأوّل؟
3. قارن بين نوعيّ الوزارة (التنفيذ + والتفويض) في العصر العباسيّ من حيث شروط وصلاحيات العمل؟
4. يوجد اختلاف في اشتقاق مصطلح"الوزارة". فهو على 3 أوجه كما يشرح ذلك أبو الحسن الماورديّ:

- الوجه الأول: مأخوذ من الوزر أيّ الثقل، لأنّ الوزير يحمل عن الملك أعباءه وأثقاله.
- الوجه الثاني: مأخوذ من الوزر أيّ الملجأ والمعتصم، لأنّ الخليفة يلجأ الى رأي الوزير ومعرفته ويستشيره في أموره.
- الوجه الثالث: الأزر وهو الظهر، لأنّ الخليفة يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر. لقله تعالى: [وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي(29) هَارُونَ أَخِي(30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(31)]. {طه}.

2. الوزاره فارسية الأصل من حيث نشؤوها وتنظيمها. ولم يعرفها العرب من الناحية الادارية – التنظيمية وبشكل رسميّ الا في العصر العباسيّ.

والوزارة في العصر العباسيّ كوظيفة رسمية، أصبحت واضحة الأسس والمعالم، من حيث نوعيتها ووظائف وشروط كل منها. لقد اتخذ الخلفاء العباسيون الأوائل وزراء لهم ممّن ساعدوهم وأشاروا عليهم بعمل ما أو خطة معينة.

وأوّل من لقّب بالوزير في الاسلام هو ابو سلمة الخلال، الذي أغتيل على يد الخليفة العباسيّ الأوّل. وكانت الوزارة في العصر العباسيّ الأول هي ضمن اطار مساعدة الخليفة وتقديم الدعم له في تأدية مهامه وأعماله.

لقد مرّت الوزارة العباسية في مراحل عديدة منها الحسن ومنها الضعيف، ففي عهد أبي جعفر المنصور الذي تمتّع بشخصية قوية ورأي مستقل، لم تكن الوزارة ذات نفوذ وذلك لاستبداده بالرأي ومع ذلك فقد كان يشاور وزرائه في بعض الأمور وشؤون الدولة. ومن الوزراء من كان يقتل بلا رحمة من قبل الخليفة.

ولقد وصف الخليفة المأمون الشخص الذي يرغب أن يستوزره بقوله له: "اني التمست لأموري رجلا جامعا لخصال الخير. ذا عفة في خلقه واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، ان أوتمن على الأسرار قام بها، وان قلد مهمات الأمور نهض فيها. . . "

ونرى أنه في العصر العباسي تقلص نفوذ الوزراء بتقلص نفوذ الخلفاء حتى انتشر الفساد في الجهاز الاداريّ، وأخذ النفوذ الاجنبيّ التركيّ بالدخول في جسم الدولة العباسية، فانتهى العصر الأول، وبدأ الثاني.

3. الشروط الواجب توفرها في وزير التنفيذ:

- الأمانة في العمل والامتناع في الغش.
- الصدق في الكلمة.
- قلة الطمع وعدم أخذ ما لا يجيزه الشرع.
- الحفاظ على السلم بينه وبين الناس.
- المعرفة والذكاء.
- الا يكون من أهل الأهواء والرغبات الشخصية.

أما صلاحيات وزير التنفيذ فهي على النحو التالي:

- أنه واسطة بين الخليفة والناس والولاة.
- ينفذ ما يأمره به الخليفة.
- ينقل للخليفة ما استمع اليه من الناس والولاة في شؤون الدولة.

ألشروط الواجب توفرها في وزير التفويض:

- ان يكون مسلما.
- أن يعمل في منطلق الحرية.
- أن يكون عارفا وعالما بالأحكام الشرعية.
- أن يكون عارفا بأمريّ الحرب والخوارج.

وصلاحيات وزير التفويض:

- يحكم أمور الدولة بنفسه وليس بحاجة للعودة الى الخليفة.
- ينظر في المظالم.
- يتولى مسأله الجهاز العسكريّ والتخضير له ويقود الجيوش بنفسه.
- يعرف شؤون بيت المال.
- يعين الولاة وكبار رجال الادارة والموظفين في الدولة.

النظام الاداري: وظيفة الكتابة

كانت الظروف التي مرّت بها الدولة الاسلامية عاملا كبيرا في ايجاد وظيفة الكاتب.

1. ما هي وظيفة الكتابة؟
2. كيف ظهرت وظيفة الكاتب في الدولة الاسلامية؟
3. ما هي الصفات والعلوم التي يجب أن تتوفر ويلّم بها الكاتب؟

1. لقد عجز الوزير عن القيام وحده بجميع ما عهد اليه من السلطان أو الخليفة، فكان لا بدّ تعيين موظفين كبار يساعدونه في ادارة شؤون الدولة، ومن هنا كانت وظيفة الكتابة، وأصبح الكاتب من أكبر أعوان الخليفة والوزير.
2. الكتابة في عهد الخلفاء الراشدين:

لما ظهر الاسلام لم يكن يكتب العربية الا بعضا من الصحابة الكرام الذين ساعدوا الرسول في كتابة وتدوين القرآن الكريم والرسائل الموجهة للملوك، وكان عددهم 42 رجلا.

وكان بعض الصحابة يُعاونون الخليفة أبي بكر الصديق في كتابة الرسائل بدون أجر ولا يُعتبرون موظفين في الدولة. أما عمر بن الخطاب فقد عيّن كاتبا لكل ولاية يكتب في ديوانه.

الكتابة في عهد الأمويين والعباسيين:

ولما انتقلت الخلافة الى بني أمية، تعدّد الكتّاب، فصار الكتّاب خمسة وهم:

1. كاتب الرسائل: لمخاطبة العمال والملوك والأمراء.
2. كاتب الخراج: يدوّن حساب الخراج.

3. كاتب الجند: يسجل أسماء الجنود ونفقات الأسلحة.
4. كاتب الشرطة: يكتب التقارير عما يقع من أحوال الديات وغيرها.
5. كاتب القاضي: يكتب الشروط والأحكام الصادرة والقرارات.

- وكان الخلفاء الأمويون لا يعطون منصب الكاتب الا لأقربائهم فقط وذلك لما فيه من الخطورة، لأنه مستودع أسرار الخليفة، فكان أول الداخلين وآخر الخارجين من عنده.
- وكان كُتّاب العباسيين أول الأمر ينفردون في الأمر، ثمّ صارت الكتابة الى وزرائهم، ولم يكن الوزير يكتب الرسائل بيده، ولكنه يوقعها.
- حرص الخلفاء على أن تُدون الرسائل بأسلوب شائق بليغ، فكانوا يختارون لمنصب الكاتب رجال الأدب من أعرق الأسر الاسلامية. وقد تميزوا باختصار الكتابة في المراسلات بحيث تغني العبارة عن رسالة مطولة، والكلمة أو الحرف عن الجملة.
- وفي أواخر الدولة العباسية استقلت الكتابة وعهد بها الى غير الوزراء، وكانوا ببغداد يُقال لهم كتّاب الانشاء.

3. صفات الكاتب:

- أن يكون بهي الملبس. نظيف المجلس. ظاهر المروءة.
- عطر الرائحة. دقيق الذهن. صادق الحس. حسن البيان. رقيق حواشي اللسان. مليح الاستعارة. لطيف المسلك. طويل اللحية.
- عظيم الهامة. ذكيا وفطنا. حليما. عفيفا. كتوما للأسرار.

أما العلوم التي يجب أن يُلم بها:

- كتاب الله تعالى (القرآن الكريم).
- الفرائض. اللغة العربية. حسن الخط والكتابة. معرفة الشعر معرفة جيدة، تاريخ العرب والعجم، الحساب.

النظام الاداريّ: وظيفة الحجابة.

1. ما هي الحجابة؟
2. اشرح عن الحجابة زمن الخلفاء الراشدين ثمّ الأمويين ثمّ العباسيين!!!
3. ما هي الصفات التي يجب أن تتوفر في من يتقلد وظيفة الحاجب؟

يُراد بالحجابة حجب خليفة المسلمين عن الناس ويشرف عى ذلك الحاجب الذي يغلق باب الخليفة دون الناس أو يفتحه لهم. ثمّ تطورت وظيفته وأصبح عمله تنظيم مقابلة المراجعين للخليفة وترتيبهم في الدخول عليه مراعيا مركزهم الاجتماعيّ وأهمية أعمالهم.

الحجابة زمن الخلفاء الراشدين:

كان الخلفاء الراشدون لا يمنعون أحدا من الدخول عليهم، بل كانوا يخاطبون الناس على اختلافهم بلا حجاب.

الحجابة في عهد الأمويين:

بدأ الخلفاء الأمويون باتخاذ الحاجب على أبوابهم وذلك بسبب الخوف على حياتهم. وقد أمر الخاليفة الأموي الأول معاوية بذلك بعد أن حاول أحد الخوارج قتله. وقد قلده خلفاء بني أمية باتخاذهم الحاجب على أبوابهم. اذن، ظهرت أول ما ظهرت زمن الأمويين.

الحجابة في عهد العباسيين:

اقتدى الخلفاء العباسيون ببني أميّة، فاتخذوا الحجاب وزادوا من منع الناس عن ملاقاة الخليفة في الأمور الهامة وهذا ما يسميه ابن خلدون بالحجاب الثاني، وصار بين الناس وبين الخليفة داران:

- دار الخاصة: أقرباء الخليفة، رجال الدولة، طبقة الأشراف.
- دار العامة: أصحاب الحرف والصناعات، التجار، الأدباء، الشعراء، الحكماء والمغنّون.

الصفات التي يجب أن تتوفر بالحاجب فهي:

- أن لا يكون غبيا أو جهولا أو يعجز عن النطق.
- ولا ذهولا ولا متشاغلا ولا خاملا ولا محتقرا ولا جهما ولا عبوسا.

فمن صفات الحاجب:

- الذكاء
- العلم والمعرفة
- سلامة النطق
- النشاط وسرعة الحركة
- البشاشة وحسن المعاملة
- الفطنة والانتباه
- اليقظة

النظام الاداريّ: الدّواوين:

تعتبرُ الدواوين من الأجهزة الاداريّة الهامّة في الدولة الاسلاميّة.

1. ما معنى كلمة: "ديوان"؟
2. كيف ظهرت الدواوين في الاسلام؟ ولماذا؟
3. أذكر واشرح عن ديوانين من العصر الأمويّ، واثنين من العصر العباسيّ؟

1. قالوا أنّ كلمة ((ديوان)): فارسيّة ومعناها السجل والدفتر، وأطلقت مجازا على المكان الذي تحفظ فيه السجّلات الاداريّة التابعة لجهاز الحُكم. وهناك وجهة

نظر أخرى تقول أنّ الديوان بالفارسيّة اسم: ((الشياطين)) فسمي الموظفون باسمهم لسرعة فهمهم.

2. أول من أنشأ نظام ((الديوان)) في الاسلام هو الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب، وذلك بسبب اتساع رقعة الاسلام وكثرة واردات بيت المال وحاجة مُعاونيه من رجال الدولة الى ضبط الأمور الادارية، وقد نصحه المسلمون بأنْ يقيم ديوانا ليُدوّن مدخولات الدولة الكثيرة كما اعتادت الأعاجم أن تفعل في بلادها، فأعلن الخليفة عن تأسيس ديوانيّ: الخراج والجند.

وهكذا أسّس عمر بن الخطاب ديوانين في عهده، الأوّل: ((ديوان الخراج)): وهو يُعتبر من أكبر وأهم الدواوين في الدولة الاسلاميّة، حيث سُجلتْ فيه واردات الدولة من الضرائب والغنائم والعشور وغيرها، وبالمقابل سجلت فيه مصروفات الدولة في مختلف المجالات.

والثاني ((ديوان الجند)): وفيه سجلت أسماء الجنود، وأوصافهم وقبائلهم ورتبهم ورواتبهم، وذلك بهدف تسهيل عملية البحث عن كل واحد منهم لتعيين المقدار المالي الذي سيحصل عليه.

3. ديوانان من العصر الأمويّ:

((ديوان الرسائل)): هو عبارة عن دائرة رسمية مهمتها الأشراف على مراسلات الخليفة مع الولاة وكبار قواد الجيش والموظفين المسئولين في مختلف ولايات الدولة، وكذلك مراسلات الخليفة مع ملوك وأمراء الدولة الأخرى. وكان الخليفة معاوية يختار ذوي الثقة والكفاءة لأنّ العمل في هذا الديوان يتطلب الحفاظ على الأسرار.

((ديوان الخاتم)): ليس القصد من هذا الديوان الذي أسسه الخليفة معاوية هو وضع الختم في آخر الرسالة، وإنما طيّ الرسالة بالشمع أو الطين الأحمر الذي يختم عليه خاتم الخليفة. فان فتحت الرسالة قبل أن تصل الى عنوانها تمّ

الكشف عن ذلك بسرعة وسهولة. ولّى الخليفة معاوية عبيد الله بن أوس الغساني، فصارت التواقيع تصدر منه مختومة لا يدري أحد ما فيها ولا يتمكن أحد من تغييرها أو تزويرها.

ديوانان من العصر العباسيّ:

((ديوان العزيز)): أطلق على مجلس الخليفة العباسيّ وهو يشبه في عصرنا الحاضر ((مجلس الوزراء))، وعرف رئيس الديوان باسم ((الوزير)).

((ديوان الأزمة)): وهو عبارة عن مكتب تقوم بمراقبة ميزانيات وسير الأمور المالية للدواوين العاملة في الدولة. فتتم عملية مراقبة الواردات والمصروفات والموازنة فيها. وتأسس هذا الديوان على عهد الخليفة العباسي ((المهدي)) وسُمي الديوان: ((ديوان الزمام)).

النظام الاداريّ: الحسبة – وظيفة المحتسب في الاسلام.

انّ وظيفة المحتسب من الوظائف الهامة والمركزية في الدولة الاسلامية.

1. تطرق الى دواعي (أسباب) انشاء هذه الوظيفة؟
2. عدّد صلاحيات المحتسب؟
3. اذكر/ي واشرح عن 3 من العقوبات التي يُنفذها المحتسب؟

1. دواعي انشاء وظيفة المحتسب:

إنّ وظيفة المحتسب في أساسها هي منع الناس من الغش وارتكاب الممنوعات المخالفة للشريعة الاسلامية.

ويعتقد البعض أنّ نشأة الحسبة تعودُ الى عهد الرسول (ص) فكان النبيّ (ص) يقولُ: "من غشّ فليس مني".

وكانت الغاية المركزية من هذه الوظيفة الحفاظ على الأمن العام في المدن والأحياء والأسواق، ثمّ مراقبتها من حيث الأسعار والموازين والنظافة العامّة.

2. صلاحيات ومهام المحتسب فكثيرة، ومنها:

- مراقبة التجار وأصحاب الحرف.
- مراقبة الأسعار والموازين والمكاييل والمقاييس في الأسواق لمنع الغش والتنقيص والزيادة.
- مراقبة الأخلاق العامّة، مثل: منع تعاطي الخمور ومنع السحرة والتحرش بالنساء في الطرقات.
- مراقبة العبادات، مثل: صوم رمضان والصلاة في وقتها.
- مراقبة الأبنية والطرقات في المدن.

3. العقوبات هي:

- يقوم المحتسب باتلاف البضاعة الفاسدة حال ضبطها ومعاقبة التاجر بالضرب أو السجن الفعليّ أو اغلاق محله التجاري.
- اللجوء الى التوبيخ بالقول أو الضرب بالسوط (كرباج) أو اللجوء الى التهديد أو النصح.
- اتباع طريقة "التجريس": وهي الزام المذنب ركوب دابة بالمقلوب على رأسه طرطور ليُطاف به في شوارع المدينة مع قرع الجرس وذلك لتوبيخه أمام الناس.

النظام المالي في الاسلام: بيت المال

اعتبر بيت المال مؤسسة اقتصادية مالية هامة في الدولة.

1. ما هو تعريف "بيت المال"؟ تطرق الى دوافع انشائه؟
2. أذكر واشرح عن ثلاثة من واردات بيت المال؟
3. اذكر واشرح عن ثلاثة من مصروفات بيت المال؟

1. يشبه بيت المال في عصرنا الحالي: "وزارة الماليّة". وأول من أنشأه هو الخليفة الراشديّ الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان "بيت المال" يعتبر ملكا للمسلمين عامّة. لكل منهم نصيب وحصة فيه. بحيث يحصل كل جنديّ أو موظّف على مقدار معين من المال أو سواه من البضائع كلّ شهر. ولما تولى الأمويون الحكم، ومنذ عهد معاوية أول خلفائهم. جعلوا بيت المال ملكا خاصا بهم، يتصرفون به كما يشاؤون، دون أخذ المسلمين بعين الاعتبار.

- وهدف انشاء بيت المال هو لتحقيق التوازن بين مدخولات (واردات) ومصروفات الدولة. ووقفت أمام عمر بن الخطاب عدّة اسباب جعلته يقيم هذه المؤسسة، أهمها: كثرة الأموال المتدفقة على الدولة الاسلامية من جراء الفتوحات والانتصارات العسكرية المتلاحقة، وكثرة المستحقين من الأموال من الجنود والموظفين وسواهم.

2. الخراج: ضريبة الأرض. هو مقدار معين من المال أو المحاصيل، ويفرض على الأرض التي فتحها المسلمون بالقوة أيّ بالقتال وقسمت على المحاربين، أو عن الأرض التي صولح الأعاجم عليها أو الأراضي التي حصلوا عليها دون قتال فملوكها وصالحوا أهلها عليها.

الزكاة: الزكاة والصدقة شيء واحد: "فهو النماء والطهارة". وسميت بهذا الاسم للدلالة الى اخراج شيء من مال الانسان والتصدق به للمنفعة العامة، كفيل بتنمية هذا المال واحلال البركة والخير فيه. كما وأنّ اخراج شيء من المال للأخرين يطهره ويبعد عن صاحبه نظرة الحقد والحسد ويذهب عن نفس صاحبه البخل.

- والزكاة هي ركن من أركان الاسلام الخمسة. وهي كلّ من يؤخذ من الأغنياء المسلمين ويوزّع على الفقراء والمحتاجين/ والغارمين/ وابن السبيل/ وموظفي الزكاة/ والمجاهدين. واذا امتنع المسلم عن أداء الزكاة فانه بذلك قد نقض أحد أركان الاسلام الخمسة الاساسية.
- فكان على المسلم أن يؤدي الزكاة بمقدار ربع العشر أيّ: ٪2، 5 عما يمتلكه المسلم من المال.
- ومصادر الزكاة هي: المواشي المخصصة للتجارة/ زكاة الذهب والفضة / زكاة التجارة / زكاة المعادن / وزكاة الزرع والثمار.

الجزية: ضريبة موضوعة على الرؤوس تدفع مرة واحدة في العام، فرضت على أهل الذمة مقابل تقديم الحماية لهم وبقائهم على دينهم. وتسقط الجزية حال دخول الذميّ في دين الاسلام.

- ووجبت الجزية عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كما وجبت الزكاة على المسلمين حتى يتكافأ الفريقان. ولقد فُرضت الجزية على الرجال العقلاء الأصحاء القادرين على الدفع، ولا تؤخذ من المساكين والفقراء والمعوقين والمجانين وذوي العاهات. ولا من الرهبان في الأديرة.

3. مصروفات بيت المال:

1. نفقات ومصروفات الخليفة وقصره وحاشيته.
2. الانفاق على حفر القنوات والمجاري المآئية التي تؤخذ مياهها من الأنهار لريّ الزراعة. ثمّ لاقامة السدود والجسور على الأنهار لربط أجزاء المدن.
3. النفقة على المسجونين والأسرى واقامة السجون.
4. بناء المساجد والمكتبات والمدارس ودور العلم والأسواق.
5. الانفاق على العلماء والأدباء والجيش والمواظفين.

النظام القضائيّ في الاسلام: قاضي المظالم

انّ وظيفة قاضي المظالم من الوظائف الهامة والمركزية في الدولة الاسلامية.

1. تطرق الى دواعي انشاء وظيفة "قاضي المظالم"؟
2. عدد واشرح صلاحيات "قاضي المظالم"؟

1. قاضي المظالم:

- لم يجلس للمظالم من الخلفاء الراشدين الا عليا بن أبي طالب رضي الله عنه. ولكنه لم يخصص يوما لسماع الظلامات، بل كان ينظر في شكاية كل من يدخل عليه من المتظلمين ويسعى الى انصافه واصدار حكم عادل.
- وكان الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان أول من جلس من الخلفاء للنطر في ظلامات الناس، وقد خصّص يوما لذلك، واذا استعصى عليه أمر أو مشكلة رده الى قاضيه ابن ادريس الأسديّ. - فكان عبد الملك بمثابة الآمر — وابن ادرسي المباشر في الحكم. ثمّ ازداد ظلم الولاة في بعض ولايات الدولة الأموية. فكان عمر بن عبد العزيز أوّل من جلس بنفسه للنظر في المظالم.
- ثمّ جلس لها من خلفاء بني العباس جماعة أولهم الخليفة المهديّ ثمّ الهادي، ثمّ هارون الرشيد وابنه المأمون، وكانوا ينظرون طويلا في القضايا ويحلونها على

الوجه الصحيح. وما يميز العصر العباسيّ أنّ فيه تمّ تأسيس ديوان المظالم الذي يعتبر بعيون المؤرخين بمثابة هيئة تحكيم عليا أو محكمة استئناف يمكن للمتخاصمين أن يلجأوا اليها اذا ما أرادوا الطعن في حكم أصدره القاضي، أي انّ هذه المحكمة هي درجة أعلى من المحكمة العادية التي يصدر القاضي الشرعيّ أحكامه من خلالها.

- أما الدواعي الأساسية لانشاء مثل هذه الوظيفة فهي اتساع الدولة وكثرة القضايا والتعقدات فيها واستعلال الولاة في بعض الفترات ضعف الخلفاء والهيئات الادارية العليا، فكانوا يجورون على الناس ولا ينصفونهم. كل هذه الظروف والأسباب دفعت الدولة في انشاء ديوان لظلامات الناس لتنصفهم وتحقق العدل في الدولة على أسس الشريعة الاسلامية.

2. لقد لخّص الماورديّ في كتابه "الأحكام السلطانية" اختصاص قاضي المظالم في 10 نقاط هي:

1. النظر في تعدي الولاة (المسؤولون) على الرعية (الناس).
2. ظلم الموظفين في جباية الأموال والضرائب.
3. فحص كتاب الدواوين من التحريف والتزوير (رقابة).
4. تظلم (شكاية) من نقص في أرزاقهم أو عدم دفعها لهم.
5. اعادة كلّ ما أخذ اغتصابا من ممتلكات.
6. الاشراف بنفسه على الأوقاف الاسلامية.
7. الزام المحكومين من ذوي النفوذ بتنفيذ الحكم عليهم الصادر من قبل القضاة.
8. النظر في قضايا يعجز المحتسب عن معالجتها.
9. مراعاة العبادات الظاهرة: كأيام الجمعة، والحج والجهاد اذا حدث هناك تقصير.
10. النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين بحسب الشرع. (فهو هيئة استئنافية لحكم القاضي).

ملاحظة: المحتسب هو الانسان الذي يمنع الناس من الغش وارتكاب الممنوعات المخالفة للشريعة الاسلامية. (الشرطة).

النظام القضائيّ في الدولة الاسلامية:

تعتبر مؤسسة القضاء احدى الهيئات الأساسية في الجهاز الاداريّ للدولة الاسلامية.

1. تطرق الى تطور هذا الجهاز في عهد الرسول محمد (ص)، والأمويين ثمّ في العهد العباسيّ الأوّل؟
2. ما هي الشروط الواجب توفرها في القاضي المسلم؟
3. اذكر واشرح المصادر التي كان يعتمد عليها القاضي في اصدار أحكامه؟

1. القضاء في عهد الرسول محمد (ص):

- كان الرسول (ص) هو المتولي شؤون حل الخصومات بين الناس ووضع الحدود للخلافات بينهم. اذ لم يكن للمسلمين في عهده قاض غيره. لهذا فهو أوّل قاض في الاسلام. وهو الذي وضع أسس وأصول النظام القضائيّ في الاسلام.
- ولم تذكر المصادر التاريخية بالاشارة الى أنّ الرسول (ص) قد عيّن في أحد البلدان رجلا اختصّ بالقضاء بين المسلمين، بل أنه كان يعهد بالقضاء الى بعض الولاة ضمن توليتهم أمور الولاية، وتارة كان يعهد الى أحد أصحابه بالقيام بالمهام القضائية.
- واستمدّ الرسول (ص) أحكامه من الله سبحانه وتعالى: قال تعالى: " فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحقّ".
- وكان المتخاصمان يحضران اليه مختارين فيسمع كلام كلّ منهما. وكانت طرق الاثبات عنده البينة واليمين وشهادة الشهود والكتابة والذكاء وغيرها. وكان الرسول (ص) يقول: "البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر".

القضاء في عهد الخلفاء الراشدين:

- لقد سار الخليفة أبو بكر الصديق وفق سيرة الرسول (ص) في كافة النواحي الادارية. ولقد أُسند أمر القضاء الى عمر بن الخطاب الذي عُرف بشدته وحزمه واستقامته.
- ولّما توسّعت الدولة الاسلاميّة وانتشر الاسلام في كل مكان، تطلبت الأحوال تعيين قضاة ينوبون عن الخليفة في الأقاليم والمناطق.
- كان عمر أوّل من عيّن القضاة في الولايات وجعل القضاء مستقلا عن السياسة. ومن القضاة المشهورين: "أبي موسى الأشعريّ".
- وكان القضاء في هذا العهد مستقلا محترما، ويراعى فيه عملية اختيار القاضي أن يكون متعلما – مؤمنا – وعادلا.

القضاء في عهد الأمويين:

اهتمّ الخلفاء الأمويين بالقضاء، وامتنعوا عن مباشرته بأنفسهم متبعين نفس الأسلوب الذي كان سائدا زمن عمر بن الخطاب. ولقد تميّز القضاء في هذا العهد بأمرين اثنين:

1. القضاة كانوا يحكمون تبعا لكتاب الله وسنة رسوله (ص) وبما يوحيه اليهم اجتهادهم وذلك ليفصلوا في الخصومات بين الناس.
2. لم يكن القضاء متأثرا بالتيارات السياسية. اذ أنّ القضاة كانوا مستقلين في اتخاذهم قرارات الأحكام، وكانت كلمتهم مسموعة ومطاعة، بحيث أنهم كانوا لا يتأثرون بميول الدولة الحاكمة.

القضاء في عهد العباسيين:

- شهد النظام القضائيّ في هذا العهد تطورا كبيرا. ففي هذا العصر ظهرت المذاهب الأربعة (الحنفيّ – الحنبليّ – الشافعيّ – والمالكيّ)، وضعُف روح

الاجتهاد. فأصبح القاضي في الاسلام ملزما بأن يصدر أحكامه بوجب أحد هذه المذاهب. مثلا: في مصر= المذهب الشافعيّ / في العراق=المذهب الحنفيّ / في المغرب العربي= المذهب المالكيّ وهكذا. . . .

- كذلك تأثر القضاء في هذا العصر بالسياسة، لذلك امتنع عدد من القضاة والفقهاء المسلمين عن تولي منصب القضاء خوفا من الله عزّ وجلّ وعقابه اذا خالف الشريعة الاسلامية السمحاء.
- واتخذ الخلفاء العباسيين نظام ((قاضي القضاة)) وهو يشبه وزير العدل اليوم، وكان يقيم في عاصمة الدولة (بغداد). وأوّل من لُقب بهذا اللقب القاضي: أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) في عهد هارون الرّشيد.

2. الشروط الواجب توفرها في القاضي هي:

- التقوى وخشية الله تعالى.
- العلم والمعرفة.
- النزاهة والأمانة.
- الصبر والأناة أمام المتخاصمين.
- الاقتداء بالأئمة (القضاة والفقهاء وأئمة المذاهب) السّابقين.
- مشاركة أهل العلم والرأيّ.
- العدل في كلّ قضية دون تحيّز لأحد من الناس أو لفئة.

3. المصادر التي كان يعتمد عليها القاضي في اصدار أحكامه الشرعيّة هـي:

- القرآن الكريم وهو كلام الله تعالى + والسنة النبويّة المطهّرة، أقوال وأفعال الرسول (ص)، والاجتهاد في الرأي والقياس.
- وكان القاضي يميل في بعض الأحيان الى ما اجتمع عليه القضاة الأسبقين في قضايا أخرى متشابهة قد صدر فيها حكم، فيستعملها في قضيته ويستعين بها.

مصادر التشريع في الاسلام:

تفاوتت المذاهب الأربعة: (الشافعيّ – الحنبليّ – المالكيّ – الحنفيّ) في اعتمادها على مصادر التشريع الاسلاميّ.

1. اذكر مصادر التشريع الاسلاميّ، واشرح عن كل منها باختصار؟
2. على ماذا اعتمد كل من المذاهب الأربعة؟

1. مصادر التشريع الاسلاميّ أربعة وهي:

1. القرآن الكريم: القرآن هو عبارة عن المصدر الأول والأساسيّ للتشريع الاسلاميّ يستند اليه الفقهاء لاستخراج الأحكام الشرعية. ويقسم القرآن الكريم الى آيات مكية وآيات مدنية. ولقد وجد الفقهاء المسلمون في القرآن الكريم مصدرا للشرائع الاجتماعية المرتبطة بالأسرة ومبناها وقضايا الزواج والطلاق والميراث والمعاملات والجهاد والحرب. وشرائع دينية متعلقة بأركان الاسلام الخمسة: كالصلاة والزكاة والصوم والحج والطهارة. . وكذلك أمور تتعلق بالعقيدة: كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر. ويستند التشريع في القرآن على 3 أسس:

- عدم الحرج والضيق / تقليل التكاليف / والتدرج في التشريع: ويعني أخذ الناس بالرفق لاصلاح أمورهم حتى لا يشعروا بالحرج والضيق.

2. السنة النبويّة: (الحديث الشريف): والسنة هي الأصل الثاني في التشريع الاسلاميّ. وقد عرفها علماء المسلمين على أنها كل قول أوفعل أو صفة للرسول صلى الله عليه وسلم. فالسنة هي الحديث والحديث هو السنة. القرآن الكريم تناول الأمور المجملة ولم يتطرق الى التفاصيل فجاءت السنة النبوية لتملأ هذا الفراغ الذي تركه القرآن. وتعتبر السنة اجتهادا من الرسول (ص)، واستشارة للصحابة ما يحل مسألة معينة أو مشكلة مستعصية

يواجهها المؤمن المسلم في حياته اليومية. والسنة النبوية هي بمثابة تفسير لما جاء في القرآن الكريم، كما ويلجأ القضاء الاسلاميّ الحنيف الى السنة النبوية المطهرة حال عدم وجود جواب أو حل لمسألة قضائية في القرآن الكريم.

3. الاجماع: يعتبر الاجماع المصدر الثالث للتشريع الاسلاميّ. وهو اجتهاد العلماء المسلمين وفقهائهم لكل ما اعترض طريق حكمهم من أمور وقضايا لم تكن واردة في زمن الرسول (ص) ولم يجدوا لها جوابا في القرآن والسنة النبوية، وحصل ذلك بسبب التطور الذي طرأ على المجتمع المسلم والاحتكاك بمجتماعات جديدة. ويعتبر الاجماع تعاونا بين العلماء والقضاة على حكم شرعيّ في عصر غير عصر الرسول (ص). هناك اجماع قوليّ واجماع سكوتيّ.

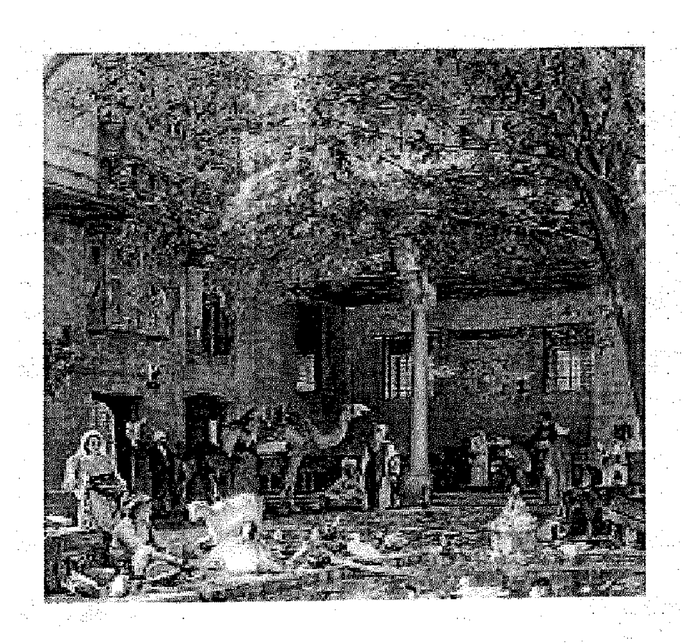
4. القياس: وهو قياس مسألة ماثلة أمامنا على مسألة سابقة صدر فيها حكم القاضي. يعني أن تأتي حادثة جديدة في الاسلام لا يوجد لها حكم شرعي منصوص عليه في القرآن والسنة فننظر الى حادثة شبيهة تتفق واياها بنفس العلة، فنعطي للحادثة الجديدة الحكم الذي أعطي للحادثة القديمة: (تحريم الخمر= تحريم المشروبات المسكرة التي تظهر حديثا في الأسواق). يلجأ القاضي الى أسلوب القياس عندما يعجز عن ايجاد حل للمسألة في القرآن والسنة والاجماع. ويمكن اعتبار القياس اجتهاد شخصيّ للقضاة والعلماء. كما ويعتبر عاملا مساعدا في ظهور الفتاوى في العالم الاسلاميّ.

2. اعتمد المذهب الحنفي على تحكيم الرأي في النص ليحصل على حكم شرعيّ= قرآن+حديث+قول الصحابة+القياس=فتوى.

- المذهب المالكي اعتمد في اصدار أحكامه على الحديث بعد القرآن الكريم= قرآن+ سنة + اجماع= فتوى.
- ألمذهب الشافعيّ اعتمد على= القرآن+السنة+اجماع+قول الصحابة+القياس= فتوى.
- ألمذهب الحنبليّ تشدد في الحديث دون الرأيّ واعتمد على= ألقرآن + الحديث + فتاوى الصحابة + القياس= فتوى.

الفصل التاسع

تطور المجتمع الاسلاميّ



تطور المجتمع الإسلاميّ

تطور المجتمع الاسلاميّ – الموالـــي:

لعب الموالي دورا مركزيا في المجالات: السياسية والاجتماعية والفكرية في الدولة الاسلامية.

1. من هم الموالي؟
2. اشرح العوامل التي أدت الى ازدياد نفوذهم السياسيّ داخل مؤسسات الدولة في العصر العباسيّ؟
3. كيف واجه الموالي سياسة الدولة نحوهم؟
4. كيف واجهت الدولة نفوذ الموالي المتزايد؟

1. الموالي: هم المسلمون من غير العرب، وفي اللغة فهي تعني: السيد والمالك والمؤيد والحليف.

والموالي هم الأعاجم الذين دخلوا الدين الاسلاميّ بعد فتح بلادهم بعد معركة القادسية، ومعظمهم من الفرس، علما أنّ المصطلح يلائم أيضا الأتراك والبربر.

2. لقد ساهم الموالي مساهمة كبيرة في نشر الدعوة العباسية في المرحلة الأخيرة من الحكم الأمويّ للدولة الاسلامية، وكان وقوفهم الى جانب بني عباس في دعوتهم هو جزاء ما لحق بهم من ضغوط ومضايقات وملاحقات من قبل الأمويين. كما وأنّ العباسيين اعتمدوا على قوى المعارضة للأمويين أمثال الشيعة والموالي ونجحوا في كسبهم الى جانبهم.

وحاول الموالي منذ اليوم الأول لتسلم العباسيين الحكم أن يلعبوا دورا سياسيا هاما في صنع القرارات، الا أنهم دخلوا في صراعات مريرة وطويلة مع العرب. ولكنهم استطاعوا السيطرة على أسس الحكم في فترة هارون الرشيد بشكل خاص.

ولعب الموالي دورا بارزا في حرب الأخوين الأمين والمأمون، وأصروا أن يكون المأمون هو الخليفة بعد الأمين، رغم محاولات الأمين منع أخيه المأمون من حقه بالوراثة.

نجح الموالي في ايصال عدد لا بأس به من رجالاتهم الى أجهزة الأدارة المركزية للدولة في العصر العباسي الأول.

فهؤلاء ساهموا مساهمة كبيرة في تطور هذه الأجهزة وتقدمها، وكان العرب يعتمدون على الموالي في الادارات المختلفة للدولة بحيث أنهم خدموا الساسة أصحاب الدولة، كما وأنّ العرب لم تكن لديهم بعد الجاهزية العقلية والنفسية والمهنية للقيام بمهام الادارة.

3. لقد لعبت العصبية القبلية، ثمّ الروح القومية التي انتشرت في عهد الأمويين، دورها في أوساط الفرس، بحيث أنّ الدولة الأموية اعتبرت: عربية – اسلامية – وأموية. فالأمويين احتقروا الفرس متهمين اياهم بايمانهم الضعيف وكونهم ليسوا من العرب.

الاتجاه الأساسيّ لردة فعل الموالي تجاه العصبية القومية هي ظهور حركة "الشعوبية" وهي عبارة عن حركة كفاح اجتماعي وفكري، حاول الموالي من خلالها التعصب لأصلهم الأعجميّ بعد أن وصفوا العرب بالسلبيات المتنوعة وقللوا من قيمتهم الحضارية وأصالتهم. معتمدين في ذلك على أنّ الاسلام قد دعا الى التسوية بين الناس. فحاول الموالي تشويه الأدب والفكر العربي وكذلك الانجازات التاريخية والحضارية الاسلامية.

وأحيانا كان الموالي ينظمون ثورات وتمردات، وصراعات داخلية، كما وحاول الموالي في اسقاط العنصر العربي عن حكم الدولة العباسيّ بعد نجاحهم في أن يوصلوا الى الحكم خلفاء من أمهات فارسيات أو تركيات.

4. لقد واجهت الدولة الاسلامية – في العصر العباسيّ الأول، ازدياد نفوذ الموالي بواسطة منعهم من الترقي في الوظائف والمهام الادارية في الدولة. وكذلك بواسطة مقاومتهم بالسلاح لكسر شوكتهم والتصدي لهم واضعاف قوتهم.

وعلى الصعيد الفكري والأدبي قام عدد من الأدباء والمفكرين العرب (الجاحظ) بالرد على كتابات وتأليف الموالي، زمن أشهر المؤلفات كتاب "البخلاء" أظهر فيه شح وبخل الحضارة الفارسية، ورفع من قيمة الحضارة العربية العريقة.

تطور المجتمع الاسلاميّ – أهل الذمّة:

تمتّع أهل الذمة بمكانة خاصة في الدولة الاسلامية، ولعبوا دورا في بناء الحضارة العربية.

1. من هم أهل الذمّة؟
2. ما هو موقف الاسلام كشريعة وكدولة منهم؟ اشرح!
3. ما هي المساهمات التي قدمها أهل الذمّة للحضارة العربيّة؟

1. "أهل الذمّة": هو مصطلح فقهي اسلاميّ عُرف به كل من دخل في ذمة الاسلام – أيّ في حماية الاسلام كدولة – من أهل الكتاب وهم: اليهود والنصارى وأيضا المجوس.

ومقابل حصول الذمة على حماية الاسلام عليهم دفع الجزية: وهي عبارة عن مقدار معين من المال يدفع مرة واحدة في السنة بحسب انتماء الفرد الى احدى الشرائح التالية: الأغنياء يدفعون 48 درهما، المتوسطون 24 درهما، والفقراء 12 درهما.

وهنالك قائمة بالمعفيين من دفعها كالصبيان والنساء والعجزة والعميان والشيوخ والفقراء المعدمين. وتجبى الضريبة مرّة واحدة في السنة بعد انتهائها، وتسقط عن الذميّ حال دخوله الاسلام.

2. حدّد الاسلام موقفه بشكل واضح من أهل الذمة وأهل الكتاب: فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: " ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا أمنا بالذي أنزل الينا والذي أنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون".

نلاحظ من هنا أنّ الاسلام دعا الى مخاطبة أهل الذمة بالتفاهم والحوار الهادىء. ولقد عُقدت الذمّة بين الطرفين: الذميّون والاسلام على قاعدة شرطين: مستحق ومستحب.

المستحقّ:

1. عدم ذكر الاسلام بذم له أو قدح فيه.
2. عدم ذكر كتاب الله بطعن له أو بتحريف فيه.
3. عدم ذكر الرسول (ص) بتكذيب له أو ازدراء.
4. الا يصيبوا مسلمة بزنا.
5. الا يفتنوا مسلما عن دينه أو يتعرضوا لماله أو دمه.
6. الا يعينوا أهل الحرب.

المستحب:

1. لبس الغيار (الملابس ذات اللون المختلف عن ملابس المسلمين).
2. الا تعلوا أصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم.
3. ألا تعلوا أبنيتهم فوق أبنية المسلمين.
4. الا يشربوا الخمر علنا، والا يُظهروا صلبانهم وخنازيرهم.

5. أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بندب عليهم.
6. أن يمتنعوا عن ركوب الخيل.

كما واهتمت الدولة الاسلامية بتوفير الأمان لأهل الذمة على نفوسهم واموالهم وحماية عقدهم لطقوسهم وشعائرهم الدينية، وحقهم في السكن والعمل في أيّ مهنة يرغبون فيها.

3. المساهمة التي قدمها أهل الذمة للحضارة العربية هي:

ساهم كثيرون من أهل الذمة في ميادين حضارية مختلفة، فمنهم المترجمون ونقلة الكتب من اللغات السريانيّة واليونانية والقبطية والفارسية الى اللغة العربية. وبهذا يكونون قد اثروا المكتبة العربية بمواضيع جديدة لم يعرفها العرب من قبل مثل الفلسفة والطب والفلك والحساب والكيمياء وغيرها، ومنهم مشاهير الأطباء، ومنهم الصيادلة وعلماء في عدّة ميادين.

- وكذلك منهم رجال الادارة الذين ساهموا في وضع الأسس للأجهزة المالية في الدولة الاسلامية. وأيضا منهم مهندسون برعوا في اقامة المباني الفخمة والضخمة التي عرفها العرب.
- ويكونون بذلك قد نقلوا فنون البناء السابقة كالفارسيّ واليونانيّ والبيزنطيّ والقبطيّ الى الحضارة العربية مع ادخال بعض المتغيرات التي لها علاقة بالعقائد الايمانية الاسلامية.
- ومنهم الشعراء والأدباء في كافة فنون الأدب والكتابة والتأليف. ومنهم من أظهر اهتماما بنقل أنواع عدة من الملابس والأزياء وفنون التجميل من الحضارات التي انتموا اليها سابقا الى الحضارة العربية.

تطوّر المجتمع الاسلاميّ –الرّق والرّقيق.

شهد العصر العباسيّ الأول انتشار ظاهرة تجارة الرقيق.

1. عدد واشرح العوامل والأسباب التي أدت الى انتشار هذه الظاهرة؟
2. ما هو موقف الشريعة الاسلامية من الرقّ والتجارة به؟

1. كان للفتوحات الاسلامية الأثر الكبير في انتشار ظاهرة تجارة الرقيق وازدياده بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل. ومن بين الأسباب والعوامل الأخرى المرتبطة بالعامل السابق نلاحظ ما يلي:

1. وقوع اعداد كبيرة من أسرى الحروب بين المسلمين، وهؤلاء الأسرى يصبحون غنيمة من غنائم الحرب. فيتحولون ليكونوا سلعة للتجارة أو للاهداء.
2. ازدهرت تجارة الرقيق (العبيد) في الأسواق الداخلية للدولة والخارجية، فازداد الطلب على أنواع معينة ومحددة من الرقيق والجواري كذلك، اما للعمل في الأرض أو الخدمة في القصور والمنازل الفخمة التابعة للأغنياء وأصحاب النفوذ والتسلط في الدولة.
3. الظروف الاقتصادية الجيدة وارتفاع مستويات المعيشة وازدياد متطلبات الحياة، حولت المجتمع الاسلامي في العصر العباسيّ الأول الى مجتمعات كماليات (حياة بذخ وترف واصراف). فمن الطبيعيّ أن يتنافس أفراد هذه الطبقة على زيادة الرقيق وتنويعهم.
4. انّ ظهور طبقة الأغنياء والميسورين في الدولة سهلت عملية ازدياد الرقيق فيها، بحيث أنّ الأغنياء أرادوا التفرغ لأمور الدولة السياسية أو لمصالحهم الخاصة وهو بحاجة الى الخدم والحشم والمساعدين.

2. موقف الشريعة الاسلامية من الرقّ والتجارة به:

لم يلغ الاسلام الرق أو يمنع وجوده والتجارة به، اذ أنّ ظاهرة الرقّ والتجارة به بقيت موجودة حتى أواخر القرن الـ19م (في السودان/أفريقيا). انما الاسلام كدين وشريعة حددا موقفا من هذه الظاهرة.

1. نظر الاسلام الى الرقيق نظرة احترام في المعاملة وحثّ على الاحسان والرعاية الجيدة لهم.
2. نهى الرسول (ص) عن تحقير العبد والاستهانة به.
3. اعلان الاسلام بلسان الرسول (ص) عن المساواة بين الأبيض والأسود وبين الحاكم والمحكوم والسيد والعبد، والفقير والغني. فلا فرق بينهم الا بالتقوى (أي بالايمان).
4. تحرير الرقيق: لقد جعل الاسلام أول واجبات الانسان تجاه أرقائه تحرير العبيد (أي فك رقبة كما جاء في القرآن الكريم).
5. جعل الاسلام حصة في الزكاة لفك رقبة (أي تحرير العبيد وهذا أيضا جاء في كتاب الله تعالى).
6. أجاز الاسلام تحرير العبيد عن طريق المكاتبة: وهي أن يتفق الرقيق مع مولاه على مبلغ معين من المال في فترة محددة يقدمه اليه فيصبح حرا. وقد شجع علماء الاسلام المسلمين في الاكثار في طريقة المكاتبة.
7. وشددت الشريعة الاسلامية على منح الرقيق حقّ الحياة وعدم قتلهم، ثمّ حقّ الحصانة الجسدية لهم (أي لا ضرب، ولا تعذيب ولا قتل واهانة واذلال). كما وعلى السيد مالك العبد أن يطعمه ويسقيه ويلبسه ويعطيه حقّ الزواج وانجاب الأولاود وتربيتهم.
8. وأوصت الشريعة الاسلامية بطرق أخرى لتشجيع تحرير العبيد (الرقيق): أيّ أن يعتق رقبة الرق في حالة التكفير عن الذنب أو عند عدم ايفاء بالقسم أو عند التوبة لله عزّ وجلّ.

9. الاسلام منع استرقاق المسلمين رجالا كانوا أو نساء، أو العرب غير المسلمين أو استرقاق أهل الذمّة (أهل الكتاب).

المدينة في الاسلام:

اهتمّ العرب باقامة عدّة مدُن في البلاد التي فتحوها.

1. اذكر/ي واشرح 3 عوامل (غايات وأسباب) لاقامة المدن في الاسلام؟ أعط أمثلة توضح اجابتك؟
2. اذكر/ي واشرح عن ثلاثة معالم انتشرت في المدن؟
3. تحدث عن مدينة بغداد في العصر العباسيّ وسبب بنائها؟

1. العامل الأول: العامل العسكريّ.

كان هذا العامل من أهمّ الدوافع والأسباب لاقامة المدن، فحيثما وصل جيش المسلمين اقام له معسكرا، وكان المعسكر أشبه بمدينة عسكرية كبيرة بسبب كثرة أعداد الجنود المشاركين في المعارك والحروب. وقد تحولت هذه المدن مع مرور الوقت الى مدن مدنيّة مستقرة تقدم خدمات متنوعة لساكنيها وللمناطق المحيطة بها. مثال: الفسطاط في مصر التي تحولت بعد ذلك الى: مدينة"القاهرة" والتي تحولت من أهم المدن في الاسلام.

2. العامل الثاني: العامل الاداريّ.

ينطبق هذا العامل ويلائم مدينة "بغداد" التي أقيمت وفق معايير ومقاييس جديدة بهدف خدمة مصالح العباسيين بعيدا عن دمشق عاصمة الأمويين، وبعيدا عن الفرس الذين دعموا الدعوة العباسية في القضاء على الأمويين. أخذت بغداد صفة المدينة الادارية المركزية لوجود كافة المؤسسات التي تقدم الخدمات المطلوبة للناس والتي تحتاجها الدولة لتصريف أمورها وشؤونها المتنوعة.

3. العامل الثالث: العامل الدينيّ.

استغلّ المسلمون وجود مواقع أو أضرحة ذات طابع دينيّ لاقامة مساكن ثمّ مدن من حولها. جذبت هذه المواقع أعدادا كبيرة من الناس المؤمنين، خصوصا للسكن فيها والاستفادة من الموقع حتى في مجال النشاط التجاري الذي يجري فيه أثناء الاحتفال بالموسم الدينيّ أو العيد أو المناسبة التي يرتبط بها الموقع. مثال على ذلك مدينة كربلاء في العراق حيث فيها قبر الامام الحسين بن علي.

- المعلم الأول للمدينة في الاسلام: "المسجد أو الجامع".

- يُعتبر المسجد مكان العبادة للمسلمين. أيّ أنه يلعب دورا دينيا هاما في حياة المسلمين. ولقد أقيمت الى جانب أعداد كبيرة من المساجد مدارس لتعليم الصبيان المواضيع التي لها علاقة بالدين الاسلاميّ، مثل حفظ القرآن الكريم والتفسير واللغة العربية وأصولها. كذلك لعب المسجد دورا بارزا في المجال الاجتماعيّ: اذ أنه ملتقى للناس لبناء علاقات اجتماعية فيما بينهم. ودور المسجد السياسي هام للغاية، اذ كانت تتم فيه البيعة للخليفة الجديد.

- ألمعلم الثاني: "السوق".

- لعبت الأسواق في المدن الاسلامية الكبرى والمركزية دورا هاما في المجالين الاقتصاديّ والاجتماعيّ. فالأسواق بشكل عام متخصصة وفيها البضائع المنتجة محليا والمستوردة من الخارج، ويجد الانسان ما يحتاج اليه من السلع والحاجيات في الأسواق. وتنشط الأسواق في الفترات الواقعة قبل الأعياد والمواسم وفي شهر رمضان المبارك. وأما على الصعيد الاجتماعيّ فالأسواق مُلتقى للناس على مختلف طبقاتهم وأنواعهم.

- المعلم الثالث: الحمامات:

كانت الحمامات قائمة قبل ظهور الاسلام ووجدها المسلمون في المدن الكبرى. أصبحت الحمامات تلعب دورا هاما في حياة الناس الصحية أي النظافة. والاجتماعية: اذ أنّ الحمام كان ملتقى للرجال والنساء في الأيام المخصصة لهم يتناولون أخبار المجتمع وأحواله وكذلك أخبار الزواج.

من المعالم الأخرى: المقبرة / دار الامارة / المستشفيات وغيرها.

4. مدينة "بغداد":

- مدينة بغداد الاسلامية في العراق هي عاصمة الدولة العباسية. بناها الخليفة المنصور بين نهر دجلة والفرات سنة: 762م. جاء اختيار هذا المكان لاعتبارات مناخية واقتصادية وعسكرية.
- فالنهران يشكلان عائقا مائيا أمام غزو الأعداء وخط مواصلات بحرية تربط المدينة مع العالم الخارجيّ. لقد كانت تحتوي على العديد من القوميات والأجناس بحيث أنها كانت مدينة لهو وترف ولا سيما في عصر الخليفة هارون الرشيد.
- لقد ازدهرت المدينة في التجارة والصناعة وتدفق الأموال اليها من جميع أنحاء العالم الاسلاميّ حتى أصبحت في مجال مدنيّتها ورخائها وترفها وملاهيها وحركتها المتواصلة أعظم مدينة في العالم الاسلاميّ. جاء اختيار مدينة بغداد

لقد اتخذت المدينة شكلا دائريًا وتتألف من:

- الخندق / الأسوار / الأبواب / القصر / دار الحرس /المسجد / دواوين الحكومة.
اشرف على بنائها: الحجاج ابن أرطأة.

أسماء المدينة: بغداد - مدينة السلام - المدينة المدورة - الزوراء - المنصورية. كانت المدينة تزود بالماء الطاهر والبارد طيلة السنة، كما أنها كانت تكنس على الدوام. وكانت البيوت تبرد بالمراوح أثناء الصيف ومحاطة بالبساتين. كما أنّ أغنياء بغداد كانوا يبنون لأنفسهم بيوتا خارج المدينة يقضون فيها طيلة الصيف.

رئاسة الدولة الاسلامية - الخلافة في الاسلام:

ظهرت مؤسسة الخلافة في الدولة الاسلامية مباشرة بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

1. ما معنى المصطلح: "خليفة"؟
2. اذكر 3 صفات يجب أن تتوفر في المرشح لمنصب الخلافة؟
3. اذكر واشرح 4 من واجبات الخلافة؟

1. الخلافة في اللغة مصدر الكلمة خلف. والخليفة هو بمثابة السلطان الأعظم وصاحب أعلى مرتبة ومكانة في الدولة. يقابله الأمبراطور أو القيصر لدى الممالك والأمبراطوريات في أوروبا. وقد سُمي من يخلف الرسول ص في ادارة شؤون الدولة وتصريف الأحكام الشرعية = خليفة ويُسمى أيضا "اماما"، ولهذا تعرف الخلافة بـ ((الامامة الكبرى)).

أما الخلافة في الاصطلاح (في الشرع الاسلامي):

فهي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي (ص). ويقول الماوردي في ذلك: "الخلافة تنوب عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا". ويفسر اخرون كلمة خليفة بمعنى وكيل، نائب أو بديل. ومكانة الخليفة لدى المسلمين تشبه الى حد ما مكانة الرسول (ص) من المؤمنين المسلمين، له عليهم الولاية العامة والطاعة التامة. وله الحق القيام على دينهم، فيقيم الحدود وينفذ الشرائع ويدير امور الحياة اليومية. بمعنى أنّ مصطلح خلافة يجمع بين السلطتين: أيّ السياسية والدينية.

2. الصفات الثلاث التي يجب أن تتوفر في الخليفة:

- العلم: أيّ أن يكون عالما بشؤون الدين الاسلاميّ وأحكامه الشرعية.
- العدالة: أيّ أن يكون صاحب استقامة في السيرة والسلوك مبتعدا عن المعاصي والأعمال السلبية، متميزا بالأخلاق الرفيعة الحميدة.
- الكفاية: أيّ أن يكون الخليفة قادرا على اقامة الحدود، عالما بشؤون وقضايا الحرب.

3. أربعة من واجبات الخليفة:

- أن يحمي الدولة دينيا: وذلك بواسطة نشر الدين الاسلاميّ والدعوة اليه. اضافة الى وجوب قيامه بمنع لجوء المؤمنين الى دين آخر. والأهم من كل ذلك الحفاظ على الدولة كدولة اسلامية صالحة.
- أن يحمي الدولة عسكريا: أيّ أن تكون له القدرة على توفير الحماية لدولته، وأن يكون عارفا بأمور الحروب وبالتالي فانه يحافظ على الأمن واستقرار الأحوال داخليا.

- أن يقود دولته دنيويا: أي أن يقود الدولة والشعب في الشؤون الحياتية اليومية مثل الادارة الجيدة، ومنع النزاعات والخلافات بين أفراد وجماعات المجتمع مستخدما المستشارين والمعاونين له.
- أن يقود دولته اقتصاديا: أيّ أن يسعى الخليفة لتكوين اقتصاد ناجح، وتوفير الأعمال الاقتصادية، وتنشيط حركة التجارة داخليا وخارجيا، مما يزيد من مدخولات الدولة لتصبح خزينتها مهيأة بشكل جدي للقيام بمشاريع تعود بالفائدة على الجميع.

معارضة الحكم الأمويّ – الشيعة /الخوارج / الزبيريّون.

ظهرت منذ بداية الدولة الأموية 3 فئات معارضة لها.

1. ما هي هذه الفئات الثلاث؟
2. وما هي أسباب معارضتها للدولة الأموية؟
3. عرّف بايجاز ((حادثة كربلاء)) وكيف أدت الى زيادة الخلاف بين الشيعة والأمويين؟

1. الفئات المعارضة للأمويين هي: الشيعة، الخوارج، والزبيرون أهل الحجاز.

الشيعة:

- السبب الرئيسيّ والأساسيّ لمعارضة الشيعة للأمويين هو الخدعة التي حصلت في موقعة صفين – رفع المصاحف، ثمّ المطالبة بالتحكيم بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان.
- ثمّ أنّ السبب الأساسيّ الأخر لمعارضتهم للأمويين خيبة أملهم من قيام الحسين بن عليّ بالتنازل عن حقه بالخلافة لصالح معاوية بن أبي سفيان.

- ولما تسلم معاوية الحكم في الشام قويت معارضة الشيعة السرية وذلك لأنّ معاوية سار على سياسة سبّ وشتم عليّ بن ابي طالب وأهل بيته من على منابر المساجد.
- نتيجة لموقف الشيعة من رفض السب لعليّ وأهل بيته، فانّ الدولة الأموية استعملت لغة السيف والقوة والبطش في معارضي حكمها. كما وازدادت التمردات من قبل الشيعة ضد الأمويين بسبب مقتل الحسين بن عليّ في كربلاء في العراق والتي يعتبرها الشيعة بأنها المأساة الكبرى في تاريخ الاسلام. هذه الحادثة الأليمة قوّت نار التشيّع في نفوس الشيعة (والفرس) للوقوف في وجه الخلافة الأمويّة.
- لقد اعتبر الشيعة انّ الأمويين قد اغتصبوا الحكم والخلافة بالقوّة ولا حقّ شرعيّ لهم في ذلك.

- أما الخوارج: فقد عارضوا أسلوب معاوية (مؤسّس الدولة الأمويّة) في الحكم منذ البداية، واتهموه باغتصاب الحكم دون حقّ، وأنه كان السبب في ادخال المسلمين في حروب أهلية فيما بينهم، مما سبّب اضعاف الدولة الاسلامية.
- عارض الخوارج الحكم الأمويّ في اتخاذه القصور والحراس والحجابة وكافة مظاهر النظام الملكيّ، وهذا أمر لم يكن مألوفا عند المسلمين من قبل.
- أما الزبيريّون: في الحجاز فينتسبون الى عبدالله بن الزبير الذي أخذ يعارض الأمويين بعد موت الخليفة معاوية وذلك للوصول الى الخلافة.

2. أما أسباب معارضة هذه الأحزاب للحكم الأمويّ فهي:

1. تحوّل الخلافة من طريق الشورى والانتخاب الى طريق الوراثة، ومن الحكم الجمهوريّ الى الحكم الملكيّ.
2. مقتل الحسين بن عليّ في كربلاء – وضرب مكة بالمنجانيق.
3. معاملة ولاة الأمويين القاسية للمسلمين في بعض الأقاليم والولايات.

4. عُرف عبدالله بن الزبير بالايمان والتقوى والورع، ولقد أدى مقتله الى غضب شديد في أوساط المسلمين.

3. لقد رفض الحسين بن عليّ الاعتراف بخلافة يزيد بن معاوية، حتى أنّ الحسين عارض خطوة أخيه الحسن التنازل عن الحلافة لصالح معاوية.

- واعتقد الحسين أنّ الخلافة هي حقّ يعود لبيت عليّ وليس للأمويين. وشعر الحسين أنّ أهالي الكوفة في العراق هم من ناصريه ومؤيديه فتوجه اليهم ليطلب منهم النُصرة.
- لقد حذر البعض الحسين بن عليّ أن لا يُسلفر وذلك بسبب قوة الأمويين في العراق. الا أنه صمّم متابعة المسير الى الكوفة ليعلن عن نفسه خليفة.
- ولما بلغ مدينة كربلاء في العراق، حوصر الحسين على يد جيش الأمويين، فقتل الحسين وأتباعه.
- عُرفت هذه الحادثة بحادثة كربلاء أو يوم عاشوراء لوقوعها في 10 من شهر محرم سنة: 681م.
- لقد أدت حادثة كربلاء الى تعميق الخلافات بين الشيعة والأمويين وذلك لإرسال رأس الحسين على طبق الى الخليفة يزيد.
- اعتقد الشيعة أنّ قتل الحسين هو جريمة بسبب مكانته وقرابته من الرسول ﷺ.

الفصل العاشر

انتشار الإسلام بالفتوحات الإسلامية زمن الراشدين



انتشار الإسلام بالفتوحات الإسلامية زمن الراشدين

عالمية الدعوة الإسلامية:

اتّسمَ الإسلام بالطابع العلمي منذ نزول أول آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء {اقْرَأْ} فهي دعوة آمرة إلى الثقافة، إلى العلم، إلى التفكير، إلى البحث المستفيض في ملكوت الله، في السماء والأرض، في الجبال، في كل ما خلق الله تعالى من كائنات صغرت أم كبرت. دعوة ذات نظرة كلية شاملة إلى الكون، والإنسان، والحياة، وما قبل الحياة وما بعدها.

وتتابعت بعدها الآيات المحكمات، يلقيها جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، يتنزل بها من لدن حكيم خبير، من خالق السماوات والأرض، فيعيها محمد صلى الله عليه وسلم وعياً كاملا، ويبلغها بأمانة وقوة، وإخلاص. والآيات تبين - والدعوة لم تزل في مكة لم تخرج عن نطاقها – أن الدعوة عالمية، ليست محدودة بشعب من الشعوب، ولا مكان دون مكان، ولا بزمان دون زمان، دعوة للبشر عامة، ولعموم الأزمنة والأمكنة، حيث أن محمداً - هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وبه تم الإسلام، وتأكد ذلك حين صلى بالأنبياء إماماً في صلاة جامعة ببيت المقدس ليلة إسرائه، وتأكدت بذلك وحدة الرسالات، وببعثة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم تم بناء الإسلام.

ومن الآيات المكية التي أكدت على عالمية الدعوة:

قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}.

وقوله : {إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ}.

وقوله سبحانه: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}.

وقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً} .

وقوله جلّ وعلا: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} .

وكانت المدينة المنورة هي أول فتح إسلامي مجيد، فتحت قلبها بالدعوة، وشرفت بهذا الاسم - المدينة. واختصت به. فاستقبله المهاجرين، ونصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، واحتضنت الدعوة، وأضحت نقطة ارتكاز، انطلقت منها الدعوة بعد أن تكونت فيها أول حكومة إسلامية، برئاسة محمد صلى الله عليه وسلم، وأسلمت له قيادها، فطبق أحكام الإسلام في الداخل، وقامت فيها حياة إسلامية كاملة، وحملت الدعوة إلى خارجها بالجهاد في سبيل اللّه.

وقد بُنِيَت الدولة الإسلامية على أساس العقيدة الإسلامية، وعلى أساس الآيات التي استمرت تتنزل منجمة عام الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، إلى أن تم هذا الدين في السنة العاشرة من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه وتعالى:

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً} .

وتخطت دولة الإسلام منذ قيامها الحدود الأرضية، والحواجز الجنسية، والعرقية، واللونية، وترفعت على جميع الروابط الأرضية، وجعلت أساس التفاضل التقوى، استجابة لقوله سبحانه وتعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} .

وقد أكد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ الرائع في حجة الوداع حتى تهتديَ أمته بهديه، فقال:

"ان ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند اللّه اتقاكم، وليسر لعربي فضل على عجمي، ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى".

الجهاد من وسائل تبليغ الدعوة ونشرها:

وفرض اللّه سبحانه وتعالى الجهاد على المسلمين من أجل تبليغ الدعوة، وتم هذا الفرض على مراحل بدأت قبل وصول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في هجرته، وبالجهاد تمت الفتوحات الإسلامية.

وقد جاءت أدلة الجهاد عامة ومطلقة، تشمل الحرب الدفاعية، ومبادأة العدو بالقتال، والحرب المحدودة، وغير المحدودة. وهدفه إزالة الحواجز وتخطّي العقبات التي تعترض طريق تبليغ الدعوة:

إلى دفع الظلم ورد كيد الظالمين في قوله تعالى:

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ...}

وإلى رد الاعتداء في قوله سبحانه:

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

وإلى نجدة المستضعفين في الأرض، في قوله سبحانه:

{وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً}.

وإلى حماية الدين والتمكين من التوحيد في قوله جلّ وعلا:

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ} .

فالجهاد في سبيل اللّه ليست غايته حمل الناس على الإسلام، وإكراههم على اعتناقه، وليس لاستعمار الشعوب ونهبها، واستغلال خيراتها واستعباد أفرادها وإذلالهم، إنما هو فرض لمصلحة البشر، ولفائدة المجتمعات لا فساح المجالس لتوحيد اللّه سبحانه وعبادته، وتكوين مجتمع الخير والعدل، بإزالة العقبات والحواجز التي تحول بين الناس وإبلاغهم دعوة الإسلام.

قال تعالى:

{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ} .

والقتال في سبيل الله هو جهاد ليكون الدين كله للّه وحده، ولتكون كلمة الله هي العليا. وقد ورد تعبير "في سبيل اللّه" مرتبطاً بالجهاد والقتال اثنتين وثلاثين مرة في القرآن الكريم، ولا يكاد أمر بالقتال يخلو من هذا التعبير في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

الرسول صلى الله عليه وسلم وضع خطة الفتوحات لنشر الإسلام:

قام رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة بتبليغ الدعوة بالطرق والوسائل المتاحة له، وكان يتصل بالقبائل، ويحضر الأسواق، ويدعو الزعماء لنصرته، إلى أن كانت بيعة العقبة الأولى في السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية، وبيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية مع أهل المدينة، وتكونت دولة الإسلام في المدينة، فقام بعبء الجهاد في سبيل اللّه، لتبليغ الدعوة، إلى جانب إرسال الكتب والرسل إلى من كان يعاصره من الملوك، والأمراء، والقادة،

والزعماء. . واتضحت معالم هذه الوسيلة الأخيرة بعد هدنة الحديبية عام 6هـ. وهذه الكتب واضحة الدلالة على تطبيق رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عملياً لما تردد في القرآن الكريم من دعوة الناس جميعاً لاعتناق الإسلام.

وقد حاول كثير من المستشرقين إنكار بعثة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، متجاوزين ما ورد من آيات بينات تلك التي وردت في القرآن الكريم في الفترة المكية، والفترة المدنية، ومتجاوزين إجماع المسلمين على هذا الأمر، وجعلوا من أنفسهم حكماً على تاريخ الإسلام وتاريخ الدعوة، فقاموا بدراسات متجنّية على الإسلام والمسلمين، وعلى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، بل وساخرة أحياناً. في حين لم ينكر بعضهم ذلك.

ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم قام فعلاً بتبليغ الدعوة ونشرها عن طريق الجهاد، وغزواته وسراياه كثيرة. وتظهر في بعضها خطته في نشر الدين خارج شبه الجزيرة العربية. وهذه الخطة حاول معظم المستشرقين التشكيك فيها كعادتهم حتى الذين لم ينكروا بعثته صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة. رغم وضوح هذه الخطة، ورغم استمرارها في عهد خلفائه الراشدين بعد التحاقه بالرفيق الأعلى.

فقد بعث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا إلى ذات أتلاح على مشارف بلاد الشام، يدعون إلى الإسلام، فاستشهدوا جميعاً، لم ينجُ إلا رئيسهم كعب الذي عاد جريحاً.

ووجه صلى الله عليه وسلم سرية مؤتة لتأديب القبائل الغادرة، ولتكون طليعة حملة أكبر لفتح الشام عام 8هـ قبل فتح مكة وقد تصدى لهذه السرية الروم البيزنطيون بقبائل العرب المتنصرة، وعادت دون أن تحقق نجاحاً عسكرياً، ولكنها أدت دوراً في تبليغ الدعوة، فوصلت الدعوة حدود الشام، بدأت تمتد بين القبائل الخاضعة للروم، قبل أن تعمّ شبه الجزيرة العربية.

ووجه صلى الله عليه وسلم حملة بقيادة عمرو بن العاص في المهاجرين الأولين إلى الشمال، وفيهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، قبل أن يتوجه لفتح مكة عام 8هـ. فوطيء عمرو أرض طيء، وبلي، وعذرة، وبلقين في غزوة ذات السلاسل. وكلها قبائل كانت تخضع للروم البيزنطيين بشكل أو بآخر.

وبعد غزوة حنين ورجوعه من حصار الطائف قاد صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك بنفسه عَام 9هـ. وكانت تظاهرة إسلامية كبيرة، وصل عدد الجيش الإسلامي فيها ثلاثين ألفاً، وهو أكبر جيش شهدته الجزيرة العربية حتى ذلك التاريخ، وقد تنافس المسلمون في تجهيزه، في النفقة، وتنافسوا في النفير، في زمن عسرة، وشدّة الحرّ، فسمي الجيش بـ "جيش العسرة". وكانت اختبارا وفقاً لأمة الجهاد بالفعل، كشفت بوضوح خطة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعمل على تبليغ الدعوة ونشرها بطريق الجهاد والفتح، ووضعت الأسس التي ستسير عليها الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين والأمويين، وما يجب أن تسير عليه الأمة المسلمة في جميع عصورها.

ومع أن المسلمين لم يصطدموا بالروم البيزنطيين في غزوة تبوك، فإنها كرّست هيبة المسلمين في الجهات المحاذية للروم أولاً، واخترقت الدعوة بلاد الشام ثانياً، فأسلم بعض عربها كفرْوة بن عمرو الجذامي، الذي صلبه الروم بسبب ذلك. وقدمت بعض وفودهم كوفد الداريين، وعلى رأسهم تميم الداري رضي الله عنه.

واستمر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يبن للأمة المسلمة خطة الفتح، وطرق تبليغ الدعوة خارج شبه الجزيرة، فأمر بتجهيز جيش أسامة وأمر بإنفاذه (أثناء مرضه)إلى الشام.

وبهذا يتضح أن الفتوحات الإسلامية لم تأت وليدة الصدف، ولم تكن خطة الفتح ارتجالية، وإنما كانت وفق خطة واضحة، راشدة، واضحة أسسها النبي صلى الله عليه وسلم وسار الخلفاء الراشدون رضي اللّه عنهم من بعده على منهجها.

فأنفذ أبو بكر بعث أسامة إلى الشام رغم ظروف المدينة الحرجة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، بسبب ردة العرب ردة عامة أو خاصة، وتطلع القوى المعادية للدعوة الإسلامية إلى القضاء على الإسلام ودولته، فكانت معارضة بعض الصحابة في إنفاذ جيش أسامة.

وقام أبو بكر رضي الله عنه بتوجيه عبادة بن الصامت رضي الله عنه إلى "هرقل" إمبراطور الروم يدعوه إلى الإسلام، أو الجزية، أو يؤذنه بحرب، فقام عبادة رضي الله عنه بمهمته.

كل ذلك ليؤكد أبو بكر للمسلمين خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في الفتوحات عملياً.

ولما تم القضاء على حركة الردة قاما أبو بكر رضي الله عنه مباشرة بتوجيه الجيوش الإسلامية إلى العراق والشام، وفي وقت واحد، أن قام بمواجهة الدولتين الكبيرتين في العالم آنذاك - ولة فارس الكسروية ودولة الروم البيزنطيين القيصرية - دون أن يحسب حسابا للقوى المادية، من حيث العَدد والعُدد، وذلك قياماً لما يطلبه الإسلام من تبليغ الدعوة، واتباعاً لأساليب الرسول صلى الله عليه وسلم، وتنفيذا لخطته. فتوجهت قوات الإسلام، للفتح، تحقيقاً لأهداف فرضية الجهاد في سبيل الله.

المبشرات من عوامل القوة النفسية التي سهلت الفتح:

وكانت هذه القوات الإسلامية تتحرك وهي على ثقة تامة بالنصر، فقد بشرهم الله سبحانه وتعالى بالنصر في كثير من الآيات الكريمة، في مثل قوله تعالى:

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} .

ويشرهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بفتح اليمن، والشام، والمشرق، والمغرب، حين كانوا في أشد حالات الضيق في غزوة الأحزاب(يوم الخندق) عام 5هـ.

وعندما وَفدَ تميم الداري إلى النبي صلى الله عليه وسلم أقطعه حبرى، وبيت عينون ومسجد إبراهيم علية السلام (حبرون)، وكتب له بذلك كتاباً. وهذه من أرض الشام التي كانت تخضع لحكم الدولة البيزنطية، فهي بشارة بفتح الشام.

وقد حرم اللّه سبحانه وتعالى على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلى أخر الدهر، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل".

وهذه بشارة بفتح الشام في العراق وبلاد فارس.

وعندما وفد عدي بن حاتم رضي اللّه عنه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح العملاق والمشرق قائلا (عن عدي بن حاتم):

"إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس، ومن لا قوة لهم، وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟ "قلت: "لم أرها، وقد سمعت بها".

قال: "فالذي نفسي بيده ليتمن اللّه هذا الأمر، حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز".

قال: قلت: "كنور ابن هرمز؟"!

قال: "نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد. . .".

ويشر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بفتح مصر في قوله صلى الله عليه وسلم:

"إنكم ستفتحون مصرِ، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا افتتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً -أو قال: ذمة وصهراً".

يشير بذلك إلى هاجر أم إسماعيل عليه السلام، وإلى مارية القبطية أم إبراهيم ابنه.

وسئل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أي المدينتين تفتح أولاً؟ فقال:

"مدينة هرقل" إشارة إلى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، والمدينة الأخرى يقصد بها "روما "مركز البابوية في إيطاليا.

وهذه المبشرات ليست تنبؤات بشرية تصيب مرة، وتخطيء مرات ولكنها مبشرات يقينية، صدرت من رسولِ اللّه الذيَ لا ينطق عن الهوى: {إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى} وقد أضافت دليلاً صادقاً على وجود خطة منظمة للفتح، وعلى عدم ارتجالية الفتوحات، دفعت المسلمين لفتح الأمصار زمن الراشدين والأمويين، وهم على يقين من تحقيق ذلك.

وكان القادة يُرَغّبون جند الإسلام في الجهاد، ويعلمونهم ما وعد اللّه نبيه من النصر، وإظهار دينه.

وقد تجاهل المستشرقون هذه الأخبار الثابتة من عمل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأقواله؛ وصوروا الفتوحات الإسلامية على أنها حركة ارتجالية، هدفها القوي رغبة أبي بكر في إشغال العرب عن أنفسهم، وخصوماتهم، وإغرائهم بالغنائم، والمنافع المادية. وأقوالهم تلك تدحضها الحقائق الثابتة، كما وقعوا في التناقض كعادتهم عند تناولهم أحداث التاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية.

وكمثال على ذلك يقول "بروكلمان"متلاعباً بالألفاظ:

"ما في مقدور أبي بكر أن ينفذ خطة النبي الأخيرة - لك التي تفضي بنشر الإيمان في ما وراء حدود الوطن الأم، ذلك بأنه كان عليه أن يوجد فرصة من النشاط الخارجي لهذه القوى التي كانت في الماضي على استعداد دائم لأن تتفانى في منازعَات لا نهاية لها".

وعلى العموم فقد كانت هناك خطة واضحة للفتوحات الإسلامية من أجل تبليغ الدعوة، وهي خطة راشدة مستنيرة حتى أن أبا بكر رضي اللّه عنه منع المرتدين من الاشتراك في الفتوحات الأولى. وهذه الخطة تُقدم إذا كان الإقدام حزماً ومناسباً، وتتأنى إذا كان التأني خيراً للمسلمين وللشعوب غير المسلمة من أهل البلاد. فتردّد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الانسياح - في بلاد فارس، وفي فتح مصر(إن صح)، وفي فتح الهند، وفي فتح إفريقيا -لم يكن مبعثه عدم الرغبة في فتح هذه البلاد أمام دعوة الإسلام، ولكنه من ضمن خطة، لتثبيت المكاسب الإسلامية، والتمكن من إقامة الإسلام في الأراضي المفتوحة، واستنهاض طاقات الشعوب التي أظلتها رايته، وتجميعها، ثم توجيهها الوجهة الصالحة، ومن أجل الدعوة، حتى تصبح تلك الأقطار نقاط ارتكاز جديدة، تنطلق منها الدعوة وتمتد، إلى أقطار أخرى، تسهم فيها شعوب تلك الأقطار بدلاً من أن تكون شوكة في جنب المجاهدين، أو خنجراً يوجه إلى ظهورهم في خلفهم.

جند الإسلام وقادتهم دعاة:

الجيش الإسلامي داعية بسلوك قادته، وأفراده، وعلمائه، في أقوالهم وأعمالهم. تدفعهم العقيدة للجهاد، والرغبة في إنقاذ الأمم والأفراد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وقد تميزوا بالتمسك بالعقيدة، والتزموا بأحكام دينهم. فكان الخلفاء والقادة يوصون جندهم بالاستعانة باللّه، والتقوى، وإيثار أمر الآخرة على الدنيا،

والإخلاص في الجهاد، وإرادة الله في العمل، والابتعاد عن الذنوب. فكان عمل القادة والجند تبليغ الدعوة، وتميزت مواقفهم بأنها أنبل المواقف التي عرفها التاريخ العالمي.

فكان القادة على رأس جندهم، يتلقون الصدمات الأولى في معارك الجهاد، فاستشهد كثير منهم مثل: المثنى بن حارثة الشيباني، وأبو عبيد الثقفي الذي اندفع لنيل الشهادة مع أولاده الأربعة يوم الجسر مع سبعة من قادة المسلمين، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الأزور، والنعمان بن مقرن رضي الله عنهم جميعاً.

والقادة الذين ضربوا أروع أمثلة الجهاد في سبيل الله كثير عددهم مثل:

أبو عبيدة عامر بن الجراح -أمين الأمة -وشرحبيل بن حسنة، ومعاذ بن جبل، وحذيفة ابن اليمان، وعمرو بن العاص، والزبير بن العوام، والقعقاع بن عمرو التميمي، وعاصم بن عمرو التميمي، ويزيد بن أبي سفيان، وعياض بن غنم، وهاشم المرقال، وسعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان، والأحنف بن قيس، وعبد الله بن عامر وغيرهم كثير رضي الله عنهم جميعاً من القادة الذين أنجبتهم مدرسة الإسلام، وربوا على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو صحابته. فضربوا أعظم الأمثلة في النبل، والشجاعة، والوقار، والتقوى، فكان أثرهم كبيراً في عوامل النصر، وفي تبليغ الدعوة في البلاد المفتوحة.

وكان من السنة التي سن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد معركة بدر الكبرى عام 2هـ – أولى معارك الإسلام الحاسمة– أن تقرأ سوره الجهاد عند اللقاء، وهي سورة الأنفال ليبقى تعلق الجند بالله، والثقة بنصر الله.

ولما فتح خالد بن الوليد الحيرة عام 12هـ صلى صلاة الفتح ثماني ركعات لا يسلم فيهن.

وبعد معركة الفراض عام 12هـ مع الفرس والعرب المتنصرة في العراق – وكانت من أشد معارك الأيام– وعودة الجند الإسلامي إلى الحيرة أمر خالد بن الوليد عاصم بن عمرو التميمي أن يسير بالجيش، وأظهر أنه في الساقة، وأدى فريضة الحج، شاكراً أنعم اللّه سبحانه. وكانت غيبته عن الجيش يسيرة، فما توافى آخر الجيش إلى الحيرة، حتى وافاهم مع صاحب الساقة الذي وضعه، فقدما ولم يدرِ أحد بذلك، وكذلك لم يعلم أبو بكر رحمه اللّه إلا بعد، فغضب عليه، وأمره ألاّ يعود لما فعل.

ولما افتتح سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه المدائن -عاصمة الفرس -دخل إيوان كسرى، وصلى صلاة الفتح ثماني ركعات بتسليمة واحدة. وقرأ:

{كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ}

ولما افتتح عبد اللّه بن عامر خراسان عام 31هـ أحرم من نيسابور وأدى فريضة الحج شكراً للّه سبحانه وتعالى وقد لامه عثمان رضي اللّه عنه على ذلك.

وكان هؤلاء القادة يسيرون خلف جندهم في وقت الأمن والعودة، يرفقون بهم، ويحملون الكلّ ويعينون الضعيف.

واقرأ ما قاله رسل "المقوقس" إلى عمرو بن العاص بعد أن لبثوا يومين في جيش المسلمين - بعد أن عادوا إليه:

"راينا قوماً، الموت أحبّ إليهم من الحياة، والتواضع أحبّ إليهم من الرفعة ليس لأحد منهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، جلوسهم على التراب، وأميرهم كواحد منهم، ما يُعرف كبيرهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم".

وقد وصفهم أعداؤهم بأنهم:

"رهبان في الليل، فرسان النهار، لو حدثك جليسك حديثاً ما فهمته، لما علاَ من أصواتهم بالقرآن والذكر، يصومون النهار، ويقومون الليل، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصحون بينهم، يعفّون عن المغانم، ولا يستحلّونها إلاّ محلّها".

وهذه الصفات التي تمتع بها القادة والجند استهوت أهل البلاد المفتوحة، وكانت من أهم أسباب تسارع الناس إلى اعتناق الإسلام.

تطبيق مبادئ الحرب في الإسلام:

طبق المسلمون قواعد الإسلام في حربهم، فكانوا يعرضون على أعدائهم أحد أمرين قبل القتال: الإسلام، أو الجزية:

فمن أجاب للإسلام كان أخاً للمسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن أبى وأجاب للجزية قبل الحرب، فليس عليه ذل أو صغار، ويبقى في أرضه مكرّماً في ذمة المسلمين، أماّ من حارب حتى رضخ للجزية فهو الصّغار، الذي هو الخضوع لأحكام الإسلام. قال الإمام الشافعي:

وسمعت عدداً من أهل العلم يقولون:

"إن الصّغار أن يجريَ عليهم حكم الإسلام".

وهذا محتوىَ الآية الكريمة في قوله تعالى:

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}.

فكن أول ما يبتدئ به القادة المسلمون: الدعوة إلى الإسلام. والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها:

- دعوة خالد بن الوليد لأهل الحيرة، عندما خرج إليه أشرافهم.

فقال لهم: "أدعوكم إلى الله، وإلى الإسلام. . . ".

وعندما واجه خالد بن الوليد "جرجة "أحد قادة الروم مبارزاً إياه يوم اليرموك، دعاه إلى الإسلام، وبدت له محاسنه، وأكد له:

"أن أجر من يدخل الدين، مثل السابقين، وأفضل".

فكان أن أسلم "جرجة "وقاتل قومه، واستشهد مع المسلمين يوم اليرموك.

- وتظهر الدعوة إلى الإسلام بوضوح في المفاوضات التي كانت تسبق المعارك الحاسمة كالقادسية واليرموك، وأجنادين، ونهاوند، وجلولاء، وبابليون. . .
- ففي القادسية: ترددت الرسل بين سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه، و"رستم "قائد الفرس. وكان "رستم" قد طلب من سعد أن يوجه إليه بعض أصحابه فأرسل إليه المغيرة بن شعبة رضي اللّه عنه، فقصد سرير "رستم "وكان يجلس عليه، وهو من الذهب، وقد زيّن مجلسه بالفرش المنسوج بالذهب، ولبس على رأسه التاج وأقيمت الفيلة حول المكان -وأراد المغيرة أن يجلس على سريره معه، فمنعه الأساورة، وبعد مداولات قال المغيرة:

"إن اللّه بعث إلينا نبيه صلى الله عليه وسلم، فسعدنا بإجابته، واتباعه وأمرنا بجهاد من خالف ديننا، حتى يعطوا الجزية، ونحن ندعوك إلى عبادة اللّه وحده، والإيمان بنبيه صلى الله عليه وسلم، فإن فعلت، وإلا فالسيف بيننا وبينكم".

ولما قال "رستم":

"والشمس والقمر، لا يرتفع الضحى غداً حتى نقتلكم أجمعين"، قال المغيرة: "لا حول ولا قوة إلا بالله "وانصرف عنه.

وكان "رستم" قد استمع إلى عدد من رسل المسلمين، وبينوا له أهداف الجهاد، فأعجب بالمسلمين، وبإجاباتهم السديدة حتى قال لأصحابه:

"انظروا فإن هؤلاء لا يخلو أمرهم من أن يكون صدقاً، أو كذباً، فإن كانوا كاذبين، فإن قوماً يحفظون أسرارهم هذا الحفظ، ولايختلفون في شيء، وقد تعاهدوا على كتمان سرهم هذا التعاقد، بحيث لا يظهر أحد منهم سرهم، لقوم في غاية الشدّة والقوة، وإن كانوا صادقين، فهؤلاء لا يقف حذاءهم أحد".

- في مفاوضات حصن بابليون عام 20هـ، استقبل عمرو بن العاص، رسل المقوقس في محاولة للتوصل إلى الصلح، فأبقاهم عنده يومين -ليشاهدوا حياة المسلمين الإسلامية، وهي طريقة ناجحة لتبليغ الدعوة، كما كان يفعل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مع الوفود - وبعد ذلك قال لهم عمرو:

"ليس بيننا وبينكم إلا إحدى خصال ثلاث: الدخول في الإسلام، فتكونون إخواننا، ولكم ما لنا، وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فالجزية، وإما القتال، حتى يحكما الله بيننا وبينكم، وهو أحكم الحاكمين".

الغنائم نتيجة وليست سبباً في الفتوحات:

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه اللّه لعباده جميعاً.

قال تعالى:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ}.

وقوله سبحانه وتعالى:

{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} .

ورابطة الإسلام تعلو وتسمو على الروابط القبلية، والإقليمية، والوطنية، والقومية. قال تعالى:

{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} .

واستنفر الإسلام المسلمين لتبليغ دعوته، وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً. قال تعالى:

{انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .

فقام المسلمون بذلك، وقدموا أموالهم وأنفسهم، وسارعوا إلى الجهاد والفتح، وحملوا الدعوة وبلغوها.

عن صفوان بن عمرو قال:

كنت والياً على حمص، فلقيت شيخاً قد سقط حاجباه، من أهل دمشق، على راحلته، يريد الغزو. قلت:

"يا عم، أنت معذور عند الله".

فرفع حاجبه وقال:

"يا ابن أخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً، ألا من أحبه الله ابتلاه".

وعن الزهري قال:

خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو، وقد ذهبت إحدى عينيه. فقيل له: إنك عليل، صاحب عذر.

فقال: "استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن عجزت عن الجهاد، كثّرت السواد، وحفظت المتاع".

وكان ابن أم مكتوم رضي اللّه عنه أعمى وأنزلت فيه {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} فكان بعدُ يغزُ ويقول:

"ادفعوا إليّ اللواء، فإني أعمى لا أستطيع أن أفرّ، واقيموني بين الصفين"

وحضر القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع. ويقال انه استشهد يوم القادسية.

فكان توجه الفاتحين إرضاء للّه سبحانه وتعالى، وابتعدوا من المصالح الدنيوية، واصطدموا بالدولتين الكبريات فارس، والروم، دون أن يكون هناك نسبة بالمقاييس المادية بين الفاتحين والدولتين، لا في العدد ولا في العدة، فما من معركة خاضها المسلمون إلا وواجهوا قوات أكثر عدداً وعدة، وكانت كل من الدولتين تحشد عدداً كبيراً من الجند يدل على قوتها، لا على ضعفها. وإن من يقدم حياته من أجل عقيدته لا يفكر بالغنائم، فكانت الغنيمة نتيجة للفتوحات وليست سبباً فيها، فنال المسلمون خيري الدنيا والآخرة، وكانوا يؤثرون الشهادة على الغنيمة، وعلى الحياة. ولا يعني هذا أن جميع الجند كانوا يحملون هذه الروح، بل وُجد بين المسلمين من اندفع من أجل الغنيمة. وهؤلاء لا يعتَدّ بهما، وليسوا سبباً في الفتوحات، ولا يخلو من أمثالهم زمن، حتى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في حنين، وحصار الطائف، وغزوة تبوك وغيرها، ومن البديهي أن ذلك لا يمثل القيادة الفكرية التي كانت تدفع المسلمين للفتوحات، وتبنّاها الخلفاء والقادة والجند، ونفّذها الجند المسلم. كما أنه لا يمثل بحال من الأحوال وجهة نظر الأمة

المسلمة، ورأيها العام. ولذلك فقد تعرض أمثال هؤلاء للسخرية اللاذعة، كقول الشاعر:

ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر

فلا جنة الفردوس أراك تبتغي

وهذا تحقير لمن جعل همه المغانم، لا الجهاد في سبيل اللّه، الذي يفضي إلى الجنة.

ولهذا فقد تميز الجند الإسلامي بالحرص على نيل الشهادة، والعفّ عن المغانم، وعدم استحلالها إلا محلها، تشهد بذلك النصوص الصريحة الكثيرة، وشهد بذلك أعداؤهم.

فنجد أبا بكر رضي الله عنه يكتب إلى قادته باستنفار من قاتل أهل الردة، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمرهم ألا يسمحوا لأحد أرتد بالغزو معهم، فلم يشترك أن ارتد في الفتوحات إلا بعد أن قطعت شوطاً كبيراً زمن عمر رضي اللّه عنه، الذي سمح لهم بالمشاركة في الجهاد، ولم يسمح لهم بتولي قيادة. وبذلك تنهار فكرة اشغال أبي بكر رضي اللّه عنه للعرب في الفتوحات الإسلامية.

ولما افتتحت المدائن - طيسفون - عاصمة الفرس عام 16هـ، لم يأخذ أحد من الجيش لنفسه شيئاً مما وقع في يده، وإنما أدّاها بتمامها إلى سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه، ولما رأى سعد أمانة رجاله قال:

"واللّه إن الجيش لذو أمانة، ولولا ما سبق لأهل بدر، لقلت أنها على فعيل أهل بدر".

ولما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مقدار ما وصل إليه من أموال إلى المدينة، قال:

"إن جيشاً أدّى هذا لذو أمانة".

فأجابه علي رضي الله عنه:

"عففت فعفّت الرعية، ولو رتعت لرتعوا".

ولما انسحب المسلمون من حمص في خطة عسكرية محكمة لمواجهة القوات البيزنطية في اليرموك، أعادوا الجزية لأهل حمص، مخالفين كل ما يتوقعه الناس من جند ينسحب عن مدينة (إذ يعمل فيها الخراب والتدمير)، فدهش أهلها، فقال لهم المسلمون:

"قد شغلنا عن نصرتكم، والدفع عنكم، فأنتم على أمركم". فقالوا:

"لولايتكم وعَدلكم أحبّ إلينا مما كنا فيه أن من الظلم والغش".

ومنعوا الروم من دخول المدينة، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود.

ومما يلفت النظر ويذكر بفخر لحملة الإسلام الأول من القادة و الجند، قلة أموالهم في العراق وخراسان والشام ومصر بالقياس إلى غيرهم. لأنهم كانوا لا يمدون يداً إلى أموال أهل البلاد المفتوحة، ولم ينصرفوا إلى شئون الكسب والمعاش انصرافاً تاماً، فقد جاهدوا في سبيل اللّه، ونصحوا ونصروا بأموالهم وأنفسهم، وهم في هذا حالة فريدة في التاريخ العالمي. وأما الغنائم فكانت حلالاً لهم، فأخذوها وأكلوا منها، وكانت أوسمة من أوسمة الجهاد في سبيل اللّه، فليست غاية في ذاتها. فكانت عزتهم في إسلامهم.

اقرأ ما قاله عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه حين غادر المدينة إلى بيت المقدس ليتسلمها من الروم:

"الحمد لله الذيَ أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، وحصّننا بالقرآن، ورحمنا بنبيه محَمد صلى الله عليه وسلم، فهدانا به من الضلالة وبصّرنا من الجهالة، ورفعنا به من الخمولة، وجمعنا به بعد الشتات و الفرقة، وألف بين قلوبنا، ونصرنا على أعدائنا، ومكن لنا في البلاد، وجعلنا به إخواناً متحابين، فاحمدوا الله عباد الله !على هذه النعمة، وسلوه المزيد فيها والشكر عليها، إن الله يزيد المستزيدين الراغبين ويتم نعمته على الشاكرين. . . ".

ومن عوامل إقبال أهل البلاد المفتوحة على اعتناق الدعوة:

وتأتي على رأس هذه العوامل:

تمسك الفاتحين بعقيدتهم، وتطبيق أحكام الإسلام على أنفسهم، والتزامهم بها، وحسن عرضهم لدعوتهم. فقد عرضوا الإسلام على أهل البلاد، سلوكا، وعملاً، وقولاً، فاعتنقه كثير من النصارى واليهود والمجوس وفي أعداد كثيرة، وحماسة كبيرة. وأقبلت عليه جميع العناصر التي أظلتها راية دولة الإسلام في الشام، والعراق، وفارس، ومصر، وبرقة، وتركستان، والمغرب. وفيهم ا لعربي، والفارسي، والقبطي، والبربري، والتركي وغيرهم. وامتزجت هذه العناصر وكونت أمة واحدة هي أمة الإسلام، وبلاداً هي دار الإسلام، ومملكة هي مملكة الإسلام، جمعتهم عقيدة تعالى على المصالح المادية الزائلة، والوطنية، والإقليمية، والقومية. فكان جند الإسلام دعاة يخرجون الناس من الظلمات إلى النور.

فلما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية، خيّر الأسرى بأمر من الخليفة، فمن دخل الإسلام كان للمسلمين أخاً، وكانوا يكبّرون كلّما أسلم أسير مثل تكبيرة الفتح وأشدّ.

الفصل الحادي عشر

معاملة أهالي البلاد المفتوحة وفق أحكام الإسلام



معاملة أهالي البلاد المفتوحة وفق أحكام الإسلام

وهذا من العوامل الهامة في إقبال الناس على اعتناق الإسلام، فاشتغل من بقي على دينه من أهل الذمة مطمئناً بالمهن، في ظل الحكم الإسلامي، فكادوا يحتكرون المهن لانشغال المسلمين بالجهاد، وشئون الحكم، ورعاية شئون الناس. فاحترف اليهود مثلاً: الصياغة، ونسج الحرير، وصناعة الزجاج، وأدوات السفن. ونفذ النصارى إلى الوظائف الكتابية الإدارية في الدولة الإسلامية في الدواوين. وتركت لهم حرية تنظيم جماعاتهم.

وأقرّ المسلمون الناس في بلادهم، كما فعل خالد بن الوليد في العراق، إذ أقرّ الفلاحين، وأصبحت أرضهم لهم، بعد أن كانوا أقناناً عند الدهاقين (ملاك الأراضي من الفرس)، وكما فعل سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه بفلاحي "بهرسير" بعد أن دعاهم إلى الإسلام فأبوا، فأقرهم على الجزية.

وألغى الإسلام الامتيازات الطبقية، تلك التي كانت تتمتع بها طوائف خاصة في البلاد المفتوحة، أيام الفرس والرومان، وأصبحت الأرض ملكاً عاما للأمة، ونظمت ضريبة الأرض الخراجية على أسس عادلة، مقدرة على كل وحدة مساحة.

وأصبحت جزية الرؤوس عينية على كل فرد.

وهذه الضرائب الخراج والجزية كانت بسيطة وتُجبى من أجل تحقيق المصالح العامة للأمة. مراعية مبدأ طاقة الناس ومقدار تحملهم.

وقد أعفى الناس من ضرائب المنازل، وأراضي المدن، والضرائب على المهن، والتجارة، وعلى الماشية. وأعفوا مما كان يؤخذ على الغلال لأغراض الكنائس، ومما كان يفرض على الأرض لمختلف الأغراض، كتطهير القنوات، والرسوم على النقل داخل البلاد، وغير ذلك. وأعفوا في بلاد فارس مما كان يطلبه رجال الدين المجوس من ضرائب أو تبرعات وما كان يُفرض عليهم في أوقات الحرب.

وبفضل الحكم الإسلامي ساد في الأقطار المفتوحة السلام، والأمن، فعمل الناس في النواحي التي كفلت لهم الرخاء، وحققوا تقدماً في مختلف النواحي العمرانية. واهتم ولاة المسلمين بالزراعة فحفروا الآبار، والأنهار بناحية البصرة، وكسكر، وأحيوا موات الأرض، وأكثروا سن تربية الماشية، واهتموا بإعمار البلاد.

وبالحكم الإسلامي تخلص أهل البلاد المفتوحة من أعظم بلاء كانوا يعانونه وهو الاضطهاد الديني، الذي ساد في عهد دولتي فارس والروم، وتركت لهم حرية الاعتقاد. وأعفوا من الاشتراك في الحروب الداخلية والخارجية.

هذه المعاملة الحسنة كانت تنفيذاً لأمر الدين، و اتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ففي الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهاجم عقائد اليهود والنصارى بسبب اتخاذهم أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله، يحرمون ويحلّون - كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بهما خيراً، ويزورهم، ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم و يعطيهم، فاستقبل وفد نجران في مسجده وبحضرة المسلمين. وأجرى الصدقة على أهل بيت من اليهود، ورهن درعه عند أبي الشحن اليهودي، وكان بوسعه أن يقترض من أصحابه، ولكنه أراد أن يعلم أمته، ووقف لجنازة يهودي مرت به. وكل هذه من وسائل الدعوة التي تستهوي القلوب.

وقد سار خلفاؤه (صلى الله عليه وسلم) على نهجه، وعلى هديه، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ويأمره بالترفق في جيش المسلمين، ولا ينس أثناء ذلك أن يوصي بأهل الذمة قائلا:

"ترفق بالمسلمين في سيرهم، ولا تجشّمهم عسيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم، والسفر لم ينقص من قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم، حامي الأنفس والكراع. وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة، حتى تكون لهم راحة، يحيون بها أنفسهم، ويربون أسلحتهم، وأمتعتهم، ونحّ منازلهم

عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق به، ولا يرزأ أحداً من أهلها شيء، فإن لهم حرمة وذمة، ابتليتم بالوفاء بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم، فتولوهم خيراً، ولا تنتصر على أهل الحرب بظلم أهل الصلح. . . ".

ولما طعن أحد أهل الذمة (وهو فيروز الديلمي - ولؤلؤة المجوسي النصراني) عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالتآمر مع اليهود والنصارى، قال وهو في النزع الأخير:

"اوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، أن يوفي بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم".

وهذا كله طاعة لأمر اللّه سبحانه، فالذمي جار المسلم يواليه، ولا ينقص من حقه شيئاً، ولا يتدخل في شئونه التي له بها عهد، وله العدل، ظلمه حرام، واضطهاده حرام، وحرمانه من حقه حرام، له دينه، وللمسلم دينه، وعلى المسلم أن ينصره، ويمنعه، ويمنعه اضطهاده، بل وصل الإسلام إلى حدّ أنه أمر المسلم بأن يعمل على توفير الأمن للمشرك الخائف وحمايته، وإيصاله إلى مأمنه. قال تعالى:

{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} .

وأوجب نصرة المعاهدين، ولم يوجب نصرة المسلم الذي ليس بينه وبين المسلمين ميثاق، قال تعالى:

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاق} .

وقد طبق المسلمون أحكام دينهم، فعاملوا أهل الذمة بما يوجبه الإسلام في معظم عهودهم، ولم يضيقوا عليهم حتى فيما يعتقده المسلمون حراماً، فسمحوا للنصارى بالخمر، والخنزير. قال الشافعي رحمه اللّه:

"وعلينا أن نمنع أهل الذمة، إذا كانوا معنا في الدار، وأموالهم، التي يحل لهم أن يتمولوها مما نمنع منه أنفسنا، وأموالنا، من عدوهم إن أرادوهم، أو ظلم ظالم لهم، وأن نستنقذهم من عدوهم لو أصابهم، وأموالهم التي يحل لهم، فإذا قدرنا استنقذناهم، وما حل لهم ملكه، ولم نأخذ لهم خمراً ولا خنزيرا".

وقد ألزم الإسلام أهل الذمة بواجبات مقابل هذه الحقوق، وتتلخص في: ترك ما فيه ضرر على المسلمين في مال أو نفس، وهي ثمانية أشياء.

عدم الاجتماع على قتال المسلمين، وأن لا يزني أحدهم بمسلمة، ولا يصيبها باسم النكاح، ولا يفتن مسلم عن دينه، ولا يقطع عليه الطريق، ولا يؤوي للمشركين عيناً (أي جاسوساً)، ولا يعاون على المسلمين بدلالة(أي يدل على عورة المسلمين بإخبارهم عدوهم بها)، ولا يقتل مسلماً، ولا مسلمة.

ويلزم الذمي بترك ما فيه غضاضة، ونقض على الإسلام، وهي ثلاثة أشياء:

ذكر الله تعالى وكتابه، ودينه بما لا ينبغي. فهذه الأشياء يُلزم الذمي بتركها.

ويلزم الذمي بأداء الجزية: وهي في أبسط مفاهيمها في الإسلام ضريبة على الذمي من رعايا الدولة الإسلامية، مقابل حمايته، ومقابل فريضة الجهاد المفروضة على المسلم.

قال خالد بن الوليد عندما صالح أهل الحيرة:

"إني عاهدت على الجزية والمنعة. . . فإن منعناكم فلنا الجزية، وإلا فلا"

وتسقط الجزية إذا عجز المسلمون عن حماية أهل ذمتهم، كما حصل عندما أعاد المسلمون جزية أهل حمص بعد أن أخذوها، عند انسحابهم (كما سبق).

وتسقط عن الذمي إذا قام بواجب الدفاع عن دار الإسلام كالذي صنعه عتبة بن فرقد مع أهل أذربيجان فكان:

(عليهم أن يؤدوا الجزية قدر طاقتهم، إلا من حشر منهم في سنة، فيوضع عنه جزاء تلك السنة).

ويُعفى منها من لا يستطيع القتال كالمرأة، والصبي، والشيخ الكبير، والرهبان، ومن يؤدي خدمة المسلمين.

وكانت أموال الجزية والخراج تُنفق محلياً في كل ولاية لأغراض المشروعات العامة، ولم تكن تسدّد للدولة أحياناً، بعلم المسئولين.

كل ذلك مكّن لدعوة الإسلام من أن تدخل قلوب أهل البلاد المفتوحة.

حرية التدين لأهل الذمة في ظل الحكم الإسلامي:

تختلف دولة الإسلام عن الدولة الدينية في المفهوم الغربي. فالدولة الدينية (في عرف الغربين) تخوض الحروب الدينية لتجعل ولو بالإكراه كل رعيتها متدينة بدينها، بل بمذهبها الديني، لأنها توحّد بلاد الدين والدولة، والرعية مكون من مكونات الدولة".

ولذلك لم يميّز من كتب من وجهة النظر الغربية في تاريخ الإسلام بين مفهوم الجهاد- الذي يعمل على إزالة العقبات، وتحطيم الحواجز التي تعترض الدعوة، وتحول دون وصول الإسلام إلى الناسِ -وبن اعتناق الناس للإسلام الذي هو أجلّ نعمة للبشرية. والنعمة لا تُفرض فرضاً، ولكن النفوس الطيبة تسارع إليه عندما تتاح لها الفرصة للمعرفة والمشاهدة. والفتوحات وفرت هذه الفرصة، فلم تكن الفتوحات إذن لإجبار الناس على الدخول في الدين، قال تعالى:

{أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}.

وقال سبحانه وتعالى:

{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } .

فأمر سبحانه وتعالى الرسول والمسلمين أن تكون الدعوة طيبة، تخاطب الناس في رفق لمحاولة إقناعهم، لا إكراه فيها ولا تهديد، وأن يكون حوارهم مع أهل الكتاب هادئاً لا يجادلونهم إلا بالتي هي أحسن، فإن آمنوا فقد اهتدوا، وإن تولوا فالأمر متروك لله سبحانه وتعالى. قال تعالى:

{وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} .

ومن الغربيين من أكد على عدم إكراه المسلمين لغيرهم على اعتناق الإسلام مثل: "فون كريمر". وأجاد "غوستاف لوبون" في عرضه عدم إكراه المسلمين الناس على الإسلام، وبينّ أن الإسلام انتشر بالدعوة وحدها.

وقال "فرانز روزنتال "معبراً عن ذلك:

"وقد نمت المدنية الإسلامية بالتوسع لا بالتعمق، داعية إلى العقيدة، مناقشة لتلك الحركات الفكرية الموجودة. وفوق كل ذلك، فبتقدم الإسلام تهاوت الحواجز القديمة من اللغة، والعادات، و. توفرت فرصة نادرة لجميع الشعوب، والمدنيات لتبدأ حياة فكريه جديدة، على أساس المساواة المطلقة، وبروح من المنافسة الحرة".

والواقع أن أعمال الفاتحين المسلمين لا تدع مجالاً للشك في أن المسلمين لم يُكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام، بل سارع الناس لاعتناقه لما لمسوه من نعمة الإسلام، ولما لمسوه في الفاتحين. ووصيّة محمد صلى الله عليه وسلم لجيش مؤتة معروفة، وعلى نمطها أوصى أبو بكر رضي اللّه عنه جند المسلمين، وبيّن لهم كيفية معاملة أهل البلاد المفتوحة. وأمر خالد بن الوليد أن يتألف أهل فارس ومن كان في

ملكهم. فترك المسلمون لأهل الذمة حريتهم الدينية، وخلّصوهم من اضطهاد بعضهم لبعض.

وأقرأ ما كتبه "ساويرس بن المقفع" النصراني الأرثوذكسي المعاصر للفتوحات الإسلامية، وهو يتكلم عن عدل المسلمين، ويذكر غبطة غير المسلمين في ظل الحكم الإسلامي:

"وكانت أعمال الأرثوذكسية الصالحة تنمو، وكانت الشعوب فرحين، مثل العجول الصغار، إذا حُلّ رباطهم، وأطلقوا على ألبان أمهاتهم".

واقرأ رسالة البطريق النسطوري "يشوع ياف "إلى "سمعان "رئيس أساقفة فارس، وقد راعه تسارع الناس إلى الدخول في الإسلام:

"أين أبناؤك أيها الأب، الذي ثكل أبناءه، أين أهل مرو العظماء، الذين على الرغم من أنهم لم يشهدوا سيفاً، ولا ناراً، ولا تعذيباً. . .

واحسرتاه، واحسرتاه على هذه الآلاف المؤلفة التي تحمل المسيحية، والتي لم يتقدم حتى واحد منها ليهب نشمه ضحية للرب، ويريق دماءه في سبيل الدين الحق. . . .

أين كذلك معابد كرمان، وبلاد فارس جميعاً. . .

وإن العرب الذين منحهم الله السلطان يشاهدون ما أنتم عليه، وهم بينكم كما تعلمون ذلك حق العلم، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية، بل على العكس يعطفون على ديننا، ويكرمون قسيسينا، وقديس الرب، ويجودون بالفضل على الكنائس والأديار، فلماذا هجر شعبك من أهل مرو عقيدتهم من أجل هؤلاء العرب؟ ولماذا حدث ذلك أيضاً في وقت لم يرغمهم فيه العرب

كما يصرح بذلك أهل سرو أنفسهم -على ترك دينهم؟. . .".

إن الـذي جـذب النـاس للإسـلام، هـو الإسـلام ذاتـه، لأنـه فطـرة الإنسـان، فتتجاوب مع الفطر السليمة. قال تعالى:

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} .

وهذا سر عظمة هذا الدين، وسر استجابة الناس لعقيدة التوحيد العقيدة التي لا لبس فيها ولا تعقيد، البعيدة عن الفلسفات الخيالية، وعن الغموض، والتناقض. فمن السهل إدراك عقيدته من جميع البشر على مختلف مستوياتهم، ويرتفع بالإنسان من هبوطه، ويسمو به، فيعز به من يعتنقه، ويحس بالكرامة، باعتدال وتوازن عام في مختلف جوانب الحياة، وفي كل البيئات البشرية، وفي كل زمان ومكان. ولذلك لا نجد شعباً اعتنق الإسلام وتراجع عنه باختياره، وقلّ بل ندر أن نجد عالماً سقط علماء المسلمين ارتد عن الإسلام، في حين نجد كثيراً من عظماء الأديان الأخرى ومفكريها اعتنق الإسلام، وآمن بعقيدته، وعمل على نشرها وتبليغها.

ورعية الدولة الإسلامية تشمل المسلم وغير المسلم، وكل له حقوق وعليه واجبات، وسمح الإسلام بتمايز العقائد في إطار هذه الحقوق، والواجبات، وأنقذ الناس من التعصب، والإرهاب الديني، وعاشوا في ظل دولة الإسلام بالأمن، فأقبلوا على اعتناقه، وجذبهم إليه القدوة عندما تمسك المسلمون بدينهم والعدل الذي نعموا به في ظل الدولة الإسلامية.

والعدل: أول قواعد الحكومة الإسلامية، وميزة النظام الإسلامي. ومفهومه في الدولة الإسلامية بصفة عامة: تنفيذ حكم الله، أي الحكم في الناس بما جاء به القرآن الكريم، وبسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى:

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} .

وقال سبحانه وتعالى:

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ}

وقال جل وعلا:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} .

وقال تعالى:

{إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } .

ولا نعلم حكومة في تاريخ العالم التزمت بالعدل بالقدر الذي ظهر في حكومة الإسلام، وخاصة في العهدين النبوي والراشدي، فنتج عن ذلك سرعة انتشار الإسلام وشيوعه بين الناس على مختلف أجناسهم وألوانهم وعاداتهم، ولغاتهم، وأوطانهم.

ولما دوّن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ديوان الجند والعطاء، شمل بالعطاء جميع رعايا الدولة الإسلامية من المسلمين(بدون تمييز في الجنس أو اللون) ومن احتاج من غير المسلمين. فكان لذلك أثر كبير في إقبال الناس على الإسلام.

وأجمل ما تميز به العدل في الدولة الإسلامية - العدل و القضاء. فكان الفصل في خصومات الناس يتم على أساس الأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة. ورسالة عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنه إلى أبي موسى الأشعريَ في القضاء معروفة، وقد اتخذها القضاة المسلمون أساساً لأنظمتهم القضائية.

وعينّ الخلفاء الراشدون قضاة للأمصار الإسلامية المفتوحة، مستقلين عن الأمراء وقادة الجند، ينوبون عنهم في الفصل بين الناس، على أساس من الكتاب والسنة والاجتهاد فيما لم يرد فيه نص.

وكان يراعي في اختيار القاضي، غزارة العلم، والتقوى، والورع، والعدل، فكان القضاة من خيار الناس، يخشون اللّه، ويحكمون بين الناس بالعدل، وكلمتهم نافذة على الولاة وعمال الخراج، بل على الخلفاء، واستمر ذلك في عهد الأمويين، وفي كثير من عهود دولة الإسلام. كما كان للقاضي رزق من بيت المال لما يلزمهم من الانقطاع لهذا العمل، وترك ما يرتزقون منه، ورزق القاضي كبير، ويُعطاه مقدماً حتى لا ينظر بعد ذلك إلى شيء، وكثير من قضاة الإسلام كانوا يرفضون الرزق محتسبين.

وحفظ لنا التاريخ نزاهة هؤلاء القضاة، فلم يُعرف عنهم ميل إلى الدنيا واغترار بها يعدل بهم عن قول الحق، والحكم به، وكان في نظرهم سواء: الشريف والوضيع، والخليفة وأفراد الرعية، ولم يتأثروا بالفتن، وبقي القضاء نظيفاً كما هو من الاستمرار في العدل فكان عامل جذب كبير لرعايا الدولة الإسلامية إلى اعتناق الإسلام.

وقد اهتم الخلفاء بجميع أفراد الأمة من مسلمين وغير مسلمين، وقصة القبطي الذي ضربه ابن عمرو بن العاص مشهورة. وقصة العاشر والتّغلبي النصراني مع عمر بن الخطاب، واليهودي المتسوّل الذي فرض له ولأمثاله من بيت مال المسلمين. وقصة جبلة بن الأيهم الغساني مع الأعرابي الفزاري، وقصص جلوس الخلفاء أنفسهم للقضاء أمام خصومهم، كل ذلك مكن للدعوة الإسلامية من التثبيت، والامتداد، والانتشار.

وجلس الخلفاء أنفسهم أمام رعاياهم من أهل الذمة للقضاء، وقضية الخليفة علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه مع الرجل النصراني دليل على ذلك:

"وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شريح قاضيه، وقال له:

"الدرع درعي، ولم أبع، ولم أهب".

فقال شريح للنصراني: "ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين"؟.

فقال النصراني: "ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب".

فالتفت شريح إلى علي. فقال:

"يا أمير المؤمنين هل من بينة " فضحك علي.

وقال: "أصاب شريح مالي بينة".

فقضى شريح للنصراني. فأخذ النصراني الدرع، ومشى خطوات، ثم رجع وقال:

"أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه يقضي عليه. أشهد أن لا اله إلا اللّه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع واللّه درعك يا أمير المؤمنين".

فقال: "أما إذا أسلمت فهي لك "وحمله على فرسه

وهكذا كان القضاء عامل جذب كبير الإسلام.

كما كانت صلاة الجماعة في المسجد عامل جذب قوي أيضاً، تلك العبادة التي تتجلى فيها روعة المساواة بين البشر جميعاً بأعلى صورها في إلغاء الفوارق.

ففي الجمعة والجماعة تأخذ المساواة صورتها العملية، وتزول كل الفوارق التي تميّز بين الناس، فمن ذهب إلى المسجد أولاً آخذ مكانه في مقدمة الصفوف، وإن كان أقل

الناس مالاً، وأضعفهم جاهاً، ومن تأخر حضوره أخذ مكانه مهما يكن مركزه، وتجد الغني يجانب الفقير، والعالم يجانب الأمي، والشريف بجانب الوضيع، والحاكم بجوار الخادم، ولا فرق بين واحد وآخر، فكلهم سواسية أمام الله سبحانه، في قيامهم، وركوعهم، وسجودهم، قبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، وحركاتهم واحدة خلف إمام واحد، ترتبط قلوبهم بخالقهم، لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى.

وهذه المساواة التي تظهر عملياً، وتتكرر في اليوم الواحد مرات، جذبت سكان البلاد المفتوحة للإسلام، فانتشر بينهم، وأصبح لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

وهكذا كان المسجد وسيلة من وسائل الدعوة الهامة، فكان ركيزة هامة من ركائز بناء المجتمع الإسلامي، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل للمسلمين في بناء المساجد والاهتمام بها، فبنى مسجد قباء، ثم المسجد النبويَ، وبنى المساجد في الأسفار الطويلة في الطرقات والمنازل، وفي أثناء الغزو، وأثناء الحصار. واهتم الراشدون بذلك وكتب عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه إلى ولاة الأقاليم في العراق ومصر باتخاذ مسجداً للجماعة، وللقبائل مسجداً، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجمعة فشهدوا الجمعة. وأما في الشام فأمرهم أن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً، ولا يتخذوا للقبائل.

وفي تخطيط المدن الإسلامية حرص المسلمون على إنشاء المساجد في المدن التي مصرّها المسلمون الكوفة، والبصرة، والموصل، والفسطاط، وكانت تقام في هذه الأمصار حياة إسلامية تحس بها الشعوب التي أظلتها راية الإسلام، وتلمسها كنماذج كاملة للمجتمع المسلم يتوسطها المسجد. فكانت الأمصار والأجناد من عوامل بث الدعوة، وانتشارها وبهذا يتضح لنا أثر الفتوحات الإسلامية في انتشار الإسلام.

الصحابة رضي الله عنهم:

أ. تعريف الصحابي: هو من لقي النبي مؤمناً به، ومات على الإسلام.

ب. ضوابط يُعرف بها الصحابي:

1. التواتر، بأن ينقل إثبات صحبته عن عدد كثير جداً من الصحابة، كالخلفاء الراشدين الأربعة.
2. الشهرة والاستفاضة القاصرة عن رتبة التواتر. كضمام بن ثعلبة، عُكّاشة بن مِحْصن.
3. أن يُروى عن واحد من الصحابة أن فلاناً له صحبة.
4. أن يُروى عن أحد من التابعين أن فلاناً له صحبة.
5. أن يقول هو عن نفسه إنه صحابي، وذلك بشرطين: أن يكون ثابت العدالة، وأن يكون في المدة الممكنة، وهي مائة سنة بعد وفاته.

ج. طبقات الصحابة:

- الطبقة الأولى: قوم أسلموا بمكة، مثل أبي بكر وعمر و عثمان وعلي.
- الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة، وهم جماعة من أهل مكة.
- الطبقة الثالثة: المهاجرة إلى الحبشة.
- الطبقة الرابعة: الذين بايعوا النبي عند العقبة.
- الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثانية، وأكثرهم من الأنصار.
- الطبقة السادسة: أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله وهو بقُباء قبل أن يدخل المدينة ويبني المسجد.
- الطبقة السابعة: أهل بدر.
- الطبقة الثامنة: المهاجرين الذين هاجروا بين بدر والحديبية.
- الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان.
- الطبقة العاشرة: المهاجرين بين الحديبية والفتح.

- الطبقة الحادية عشرة: هم الذين أسلموا يوم الفتح.
- الطبقة الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوا رسول الله يوم الفتح وفي حجة الوداع.

د. عدالة الصحابة.

لقد اختص الله سبحانه وتعالى الصحابة رضي الله عنهم بخصيصة ليست لطبقة من الناس غير طبقتهم، وهي أنهم لا يُسأل عن عدالة أحد منهم، فهم جميعهم عدول ثبتت عدالتهم بأقوى ما تثبت به عدالة أحد، فقد ثبتت بالكتاب والسنة: أما الكتاب فقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}آل عمران: 110 وقوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} البقرة: 143وهذا ينطبق على الصحابة كلهم،لأنهم المخاطبون مباشرة بهذا النص.

أما السنة: فقوله: (ا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم انفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ أحدهم ولا نصيفه (وقوله):خير الناس قرني. ثم الذين يلونهم...).

اعتقاد أهل السنة في الصحابة:

أولاً: أدلة عدالتهم من القرآن الكريم، ومن السنة المطهرة، فاخترت ما يدل على ذلك دلالة ظاهرة من الآيات والأحاديث الصحيحة، مع تعليقات بعض الأئمة.

ثانياً: منزلة الصحبة لا يعدلها شئ، بحثت فيه فضلهم على من بعدهم.

ثالثاً: أنواع سبهم وحكم كل نوع، وضحت فيه الفرق بين السب الذي يطعن في عدالتهم، وما دون ذلك. وكذلك من سب ما تواترت النصوص بفضله، وما دون ذلك. ومن سبهم جملة، أو سب بعضهم.

رابعاً: الموقف فيما شجر بينهم؛ وضحت فيه بعض الأسس والجوانب التي ينبغي أن ينظر إليها الباحث حين بحثه لما شجر بينهم؛ لكيلا يقع في سبهم.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا حب صحابة رسول الله ﷺ وأن يحشرنا في زمرتهم.

أدلة عدالة الصحابة من الكتاب العزيز:

عدالة الصحابة عند أهل السنة من مسائل العقيدة القطعية، أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة، ويستدلون لذلك بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

الآية الأولى: يقول الله عز وجل: [لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا] {الفتح:18} . قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كنا ألفا وأربعمائة (صحيح البخاري: كتاب المغازي – باب غزوة الحديبية – حديث[4154]فتح الباري: 7/507. طبعة الريان). فهذه الآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم، تزكية لا يخبر بها، ولا يقدر عليها إلا الله. وهي تزكية بواطنهم وما في قلوبهم، ومن هنا رضي عنهم. (ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر؛ لأن العبرة بالوفاة على الإسلام. فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام) (الصواعق المحرقة: ص 316ط). ومما يؤكد هذا ما ثبت في صحيح مسلم من قول رسول الله ﷺ(لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد؛ الذين بايعوا تحتها)) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة. . حديث [2496]. صحيح مسلم 4/1943.

الآية الثانية: قوله تعالى: [مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا] {الفتح:29} .

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: (بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة – رضي الله عنهم – الذين فتحوا الشام، يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا: (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ) {الفتح:29} . ثم قال: (وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ){الفتح:29} أي فراخه. {فآزره} أي: شده {فاستغلظ} أي: شب وطال. (فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) {الفتح:29} فاستوى على سوقه يعجب الزراع} أي فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه، فهو معهم كالشطء مع الزراع ليغيظ بهم الكفار (الاستيعاب لابن عبد البر 1/6 ط. دار الكتاب العربي بحاشية الإصابة، عن ابن القاسم. وتفسير ابن كثير: 4/204ط. دار المعرفة -بيروت، دون إسناد).

الآية الثالثة: قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) {التوبة:100} . والدلالة في هذه الآية ظاهرة. قال ابن تيمية: (فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان. ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان) (الصارم المسلول: 572). ومن اتباعهم بإحسان الترضي عنهم والاستغفار لهم.

الآية الرابعة: قوله تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى) {الحديد:10}

والحسنى: الجنة. قال ذلك مجاهد وقتادة (تفسير ابن جرير: 27/128. دار المعرفة. بيروت ط الرابعة 1400هـ).

واستدل ابن حزم من هذه الآية بالقطع بأن الصحابة جميعاً من أهل الجنة لقوله عز وجل: (وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى) {النساء:95} (الفصل: 4/148، 149. ط).

أدلة عدالة الصحابة من السنة المطهرة:

الحديث الأول: عن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شئ، فسبه خالد. فقال رسول الله ﷺ لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُد أحدهم ولا نصيفَه ((رواه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ.

الحديث الثاني: قال ﷺ لعمر: ((وما يدريك، لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)) (صحيح البخاري فتح الباري: حديث 3983).

وقال النووي: ((قال العلماء: معناه الغفران لهم في الآخرة، وإلا فإن توجب على أحد منهم حد أو غيره اقيم عليه في الدنيا. ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد. وأقامه عمر على بعضهم -قدامة بن مظعون قال: وضرب النبي -صلى الله عليه وسلم – مسطحاً الحد، وكان بدرياً)) (صحيح مسلم بشرح النووي: 16/56، 57).

الحديث الثالث: عن عمران بن الحصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم قال عمران: (فلا أدري؛ أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً)(البخاري: حديث [3650]. ومسلم: حديث [2535]. وهذا سياق البخاري مختصراً).

الحديث الرابع: عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((النجوم امَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وانا امَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبت انا اتى أصحابي ما يُوعَدُون،واصحابي امَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب اصحابي اتى أمتي ما يُوعَدُون))صحيح مسلم: حديث [2531]. والأمنة هي الأمان).

الحديث الخامس: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (أكرموا أصحابي؛ فإنهم خياركم) (رواه الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم بسند صحيح. انظر مشكاة المصابيح: 3/1695.

الحديث السادس: عن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار) (البخاري 113 / 7، ومسلم1/85). وقال في الأنصار كذلك: (لا يحبهم غلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق)(البخاري 7/113ومسلم 1/85من حديث البراء رضي الله عنه).

نستنتج من العرض السابق للآيات والأحاديث في مناقب الصحابة ما يلي:

أولاً: إن الله عز وجل زكى ظاهرهم وباطنهم؛ فمن تزكية ظواهرهم وصفهم بأعظم الأخلاق الحميدة، ومنها: {أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} {الفتح:29} . {وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} {الحشر:8} . {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} {الحشر:9}

أما بواطنهم، فأمر اختص به الله عز وجل، وهو وحده العليم بذات الصدور. فقد أخبرنا عز وجل بصدق بواطنهم وصلاح نياتهم؛ فقال على سبيل المثال: {فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ} {الفتح:18} . {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} {الحشر:9} . {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا} {الفتح:29} . {لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ} {التوبة:117} . فقد تاب عليهم سبحانه وتعالى؛ لما علم صدق نياتهم وصدق توبتهم. والتوبة عمل قلبي محض كما هو معلوم. . وهكذا.

ثانياً: بسبب توفيق الله عز وجل لهم لأعظم خلال الخير ظاهراً وباطناً أخبرنا أنه رضي عنهم وتاب عليهم، ووعدهم الحسنى.

ثالثاً: وبسبب كل ما سبق أمرنا بالاستغفار لهم، وأمر النبيُ ﷺ بإكرامهم، وحفظ حقوقهم، ومحبتهم. ونُهينا عن سبهم وبغضهم. بل جعل حبهم من علامات الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق.

رابعاً: ومن الطبيعي بعد ذلك كله أن يكونوا خير القرون، وأماناً لهذه الأمة. ومن ثم يكون اقتداء الأمة بهم واجباً، بل هو الطريق الوحيد إلى الجنة: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)) (رواه أحمد 4/126، 127وأصحاب السنن والدارمي. والحديث صححه جماعة من المحدثين -انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحديث (38) ص 387، دار الفرقان ط. الأولى 1411هـ وانظر الإرواء 107/8 (2544) للتوسع).

سب الصحابة وحكمه:

ينقسم سب الصحابة إلى أنواع، ولكل نوع من السب حكم خاص به.

والسب: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم من السب بعقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح ونحوهما. (الصارم المسلول 561).

وسب الصحابة رضوان الله عليهم دركات بعضها شر من بعض، فمن سب بالكفر أو الفسق، ومن سب بأمور دنيوية كالبخل، وضعف الرأي. وهذا السب أما أن يكون لجميعهم أو أكثرهم، أو يكون لبعضهم أو لفرد منهم، وهذا الفرد إما ان يكون ممن تواترت النصوص بفضله أو دون ذلك.

واليك تفاصيل وبيان أحكام كل قسم:

من سب الصحابة بالكفر والردة أو الفسق، جميعهم أو بعضهم فلا شك في كفر من قال بذلك لأمور من أهمها:

أولاً: إن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وبذلك يقع الشك في القرآن والأحاديث، لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول. إن في هذا تكذيبا لما نص عليه القرآن من الرضا عنهم والثناء عليهم. (الرد على الرافضة ص 19). ومن انكر ما هو قطعي فقد كفر.

إن في ذلك إيذاء لهﷺ، لأنهم أصحابه وخاصته، فسب المرء خاصته والطعن فيهم، يؤذيه ولا شك. وأذى الرسول ﷺ كفر كما هو مقرر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا حكم هذا القسم: (وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول اللهﷺ إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضا في كفره، لأنه مكذب لما نص القرآن في غير موضع، من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين. . إلى أن قال: وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام (الصارم المسلول 587 -586)

ثانيا: ما سبق ذكره من حديث أنس عند الشيخين أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار)، وفي رواية: (لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق). ولمسلم عن أبي هريرة عن النبيﷺلا يبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر (فمن سبهم فقد زاد على بغضهم، فيجب أن يكون منافقا لا يؤمن بالله ولا اليوم الآخر)الصارم المسلول ص 581).

ثالثا: ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انه ضرب بالدرة من فضله على أبي بكر، ثم قال عمر: (أبو بكر كان خير الناس بعد رسول اللهﷺ في كذا وكذا) ثم قال عمر: (من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على

المفتري). وكذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (لا يفضلني احد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري).

فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل عليا على أبي بكر وعمر، أو يفضل عمراً على أبي بكر، مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب، علم عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير. (الصارم المسلول ص 586).

فانظر أخي المسلم إلى قول إمام أهل السنة فيمن يعيب أو يطعن بواحد منهم، ووجوب عقوبته وتأديبه. ولما كان سبهم المذكور من كبائر الذنوب عند بعض العلماء فحكم فاعله حكم أهل الكبائر من جهة كفر مستحلها.

يتلخص مما سبق فيمن سب بعضهم سبا يطعن في دينه وعدالته، وكان ممن تواترت النصوص بفضله، انه يكفر – على الراجح – لتكذيبه أمراً متواترا. أما من لم يكفره من العلماء، فاجمعوا على أنه من أهل الكبائر، ويستحق التعزير والتأديب، ولا يجوز للإمام أن يعفو عنه، ويزاد في العقوبة على حسب منزلة الصحابي. ولا يكفر عندهم إلا إذا استحل السب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما إن سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء).

وهذا النوع من الطعن تطفح به كتب التاريخ، وكذلك الدراسات المعاصرة لبعض المنسوبين لأهل السنة، باسم الموضوعية والمنهج العلمي. وللمستشرقين أثر في غالب الدراسات التي من هذا النوع.

والذي أوصي به نفسي وإخواني الباحثين في تاريخ الصحابة إلا يتخلوا عن عقيدتهم، ومنها الاعتقاد بعدالة الصحابة وتحريم سبهم عند البحث في تاريخهم،

فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلهم، وليعلموا أن لأهل السنة منهجا واضحا في النظر إلى تلكم الأخبار، كما سيأتي في آخر البحث.

إن الإمامية ترى أن المجهودات التي بذلها محمد ﷺ لم تنتج إلا ثلاثة أو أربعة– وفقا لبعض الروايات – ظلوا متمسكين بالإسلام إلى بعد وفاته ﷺ، أما غيرهم فقد قطعوا صلتهم بالإسلام– والعياذ بالله فور وفاتهﷺ، وأثبتوا أن صحبة النبيﷺ وتربيته أخفقت ولم يعد لها أي تأثير.

وهذا الزعم يؤدي إلى اليأس من إصلاح البشرية، وعدم الثقة في المنهج الإسلامي وقدرته على التربية وتهذيب الأخلاق، وإلى الشك في نبوة محمد ﷺ، وذلك أن الدين الذي لم يستطع أن يقدم للعالم عددا وجيها من نماذج عملية ناجحة بناءة، ومجتمعا مثاليا في أيام الداعي وحامل رسالته الأول، فكيف يستطيع أتباعه ذلك بعد مضي وقت طويل على عهد النبوة ؟! وإذا كان المؤمنون بهذه الدعوة لم يستطيعوا البقاء على الجادة القويمة، ولم يعودوا أوفياء لنبيهم ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فلم يبق على الصراط المستقيم الذي ترك عليه النبي ﷺأتباعه إلا أربعة فقط، فكيف نسلم أن هذا الدين يصلح لتزكية النفوس وبناء الأخلاق؟ وانه يستطيع أن ينقذ الإنسان من الهمجية والشقاء، ويرفعه إلى قمة الإنسانية ؟ بل ربما يقال: لو أن النبي ﷺكان صادقا في نبوته، لكانت تعاليمه ذات تأثير، ووجد هناك من آمن به من صميم القلب، ووجد من بين العدد الهائل ممن امنوا به بضع المئات ثبتوا على الإيمان، فإن كان أصحابه سوى بضعة رجال منهم منافقين ومرتدين -فيما زعموا -فمن دام بالإسلام ؟!من انتفع بالرسولﷺ؟ وكيف يكون رحمة للعالمين؟ (صورتان متضادتان للشيخ أبي الحسن الندوي ص - 45- 13 58-99).

الإمساك عما شجر بينهم:

قال ﷺ: (إذا ذكر أصحابي فامسكوا، وإذا ذكر النجوك فامسكوا، وإذا ذكر القدر فامسكوا) (أخرجه الطبراني في الكبير 2/78/2، وأبو نعيم في الحلية 4/108 . ولذلك فمن منهج أهل السنة والجماعة الإمساك عن ذكر هفوات الصحابة وتتبع زلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم.

إذاً فالإمساك المشار إليه في الحديث الشريف إمساك مخصوص يقصد منه عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لأخرى. (منهج كتابة التاريخ الإسلامي لمحمد بن صامل 227). ونحن لم نؤمر بما سبق، وإنما أمرنا بالاستغفار لهم ومحبتهم ونشر محاسنهم وفضائلهم، وإذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل فلابد من الذب عنهم، وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل. (منهاج السنة 6/254). وهذا مما نحتاجه في زماننا، حيث ابتليت الأمة المسلمة في جامعاتها ومدارسها بمناهج – يزعم أصحابها الموضوعية والعلمية – تخوض فيما شجر بين الصحابة بالباطل دون التأدب بالآداب التي علمنا إياها ربنا عز وجل ورسوله ﷺ.

من أجل ذلك أردت أن أشير إلى بعض الأسس والتوجيهات التي ينبغي أن يعرفها الباحث إذا اقتضت الحاجة أن يبحث فيما شجر بينهم رضي الله عنهم.

أسس البحث في تاريخ الصحابة:

أولا: إن الكلام عما شجر بين الصحابة ليس هو الأصل، بل الأصل الاعتقادي عند أهل السنة والجماعة هو الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة، وهذا مبسوط في عامة كتب أهل السنة في العقيدة، كالسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، والسنة لابن أبي عاصم، وعقيدة أصحاب الحديث للصابوني، والإبانة لابن بطة، والطحاوية، وغيرها.

ويتأكد هذا الإمساك عند من يخشى عليه الالتباس والتشويش والفتنة، وذلك بتعارض ذلك بما في ذهنه عن الصحابة وفضلهم ومنزلتهم وعدالتهم وعدم إدراك مثله، لصغر سنه أو لحداثة عهده بالدين. . . لحقيقة ما حصل بين الصحابة، واختلاف اجتهادهم في ذلك، فيقع في الفتنة بانتقاصه للصحابة من حيث لا يعلم. وهذا مبني على قاعدة تربوية تعليمية مقررة عند السلف، وهي إلا يعرض على الناس من مسائل العلم إلا ما تبلغه عقولهم. قال الإمام البخاري رحمه الله: (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية الا يفهموا) . وقال علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله) وقال الحافظ في الفتح تعليقا على ذلك: (وفيه دليل على ان المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة). ومثله قول ابن مسعود: (ما انت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) .(رواه مسلم).

ثانيا: إذا دعت الحاجة إلى ذكر ما شجر بينهم، فلابد من التحقيق والتثبت في الروايات المذكورة حول الفتن بين الصحابة، قال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} {الحجرات:6} . وهذه الآية تأمر المؤمنين بالتثبت في الأخبار المنقولة إليهم عن طريق الفساق، لكيلا يحكموا بموجبها على الناس فيندموا. فوجوب التثبت والتحقيق فيما نقل عن الصحابة، وهم سادة المؤمنين أولى وأحرى، خصوصا ونحن نعلم أن هذه الروايات دخلها الكذب والتحريف، أما من جهة أصل الرواية أو تحريف بالزيادة والنقص يخرج الرواية مخرج الذم والطعن. وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب، مثل أبي مخنف لوط بن يحيى، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأمثالهما. (منهاج السنة 5/72، وانظر دراسة نقدية" مرويات ابي مخنف في تاريخ الطبري/عصر الراشدين، ليحيى اليحيى).

أيضا من المهم أن نعلم أن القتال الذي حصل بين الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن على الإمامة، فإن أهل الجمل وصفين لم يقاتلوا على نصب إمام غير

علي، ولا كان معاوية يقول إنه الإمام دون علي، ولا قال ذلك طلحة والزبير، وإنما كان القتال فتنة عند كثير من العلماء، بسبب اجتهادهم في كيفية القصاص من قاتلي عثمان رضي الله عنه، وهو من باب قتال أهل البغي والعدل، وهو قتال بتأويل سائغ لطاعة غير الإمام، لا على قاعدة دينية، أي ليس بسبب خلاف في أصول الدين. (منهاج السنة 327 /6). ويؤيد هذا ما ذكره الذهبي(أن أبا مسلم الخولاني وأناسا معه، جاءوا إلى معاوية، وقالوا: أنت تنازع عليا أم أنت مثله؟ فقال: لا والله، إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما، وأنا ابن عمته، والطالب بدمه، فائتوه فقولوا له، فليدفع إلي قتلة عثمان، وأسلم له. فأتوا عليا، فكلموه، فلم يدفعهم إليه).

وأيضا فجمهور الصحابة وجمهور أفاضلهم ما دخلوا في فتنة.

خامسا: ما ينبغي أن يعلمه المسلم حول الفتن التي وقعت بين الصحابة -مع اجتهادهم فيها وتأولهم-حزنهم الشديد وندمهم لما جرى، بل لم يخطر ببالهم أن الأمر سيصل إلى ما وصل إليه، وتأثر بعضهم التأثر البالغ حين يبلغه مقتل أخيه، بل إن البعض لم يتصور أن الأمر سيصل إلى القتال، وإليك بعض من هذه النصوص:

هذه عائشة أم المؤمنين، تقول فيما يروي الزهري عنها: (إنما أريد أن يحجر بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدا). مغازي الزهري.(وكانت إذا قرأت {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} تبكي حتى يبتل خمارها). سير أعلام النبلاء (177 / 2. وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يقول عنه الشعبي): لما قتل طلحة ورآه علي مقتولا، جعل يمسح التراب عن وجهه، ويقول: عزيز علي أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء. ثم قال: إلى الله أشكو عجزي وبجري. - أي همومي وأحزاني - وبكى عليه هو وأصحابه، قال: (يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة) (أسد الغابة لابن الأثير 89 – 88 / 3).

وهذا الزبير بن العوام رضي الله عنه - وهو ممن شارك في القتال بجانب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها- يقول: (إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها)، فقال مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: (ويحك، إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر) .(فتح الباري 67 / 12).

وهذا معاوية رضي الله عنه، لما جاءه نعي علي بن أبي طالب، جلس وهو يقول:(إنا لله وإنا إليه راجعون، وجعل يبكي. فقالت امرأته: أنت بالأمس تقاتله، واليوم تبكيه ؟!. فقال: ويحك، إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره). وفي رواية (ويحك، إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم) .(البداية والنهاية 133 – 15 / 8).

وعلى أقل الأحوال، لو كان ما حصل من بعضهم في ذلك ذنبا محققا، فإن الله عز وجل يكفره بأسباب كثيرة، من أعظمها الحسنات الماضية من سوابقهم ومناقبهم وجهادهم، والمصائب المكفرة، والاستغفار، والتوبة التي يبدل بها الله عز وجل السيئات حسنات، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. (للتوسع راجع منهاج السنة 205 / 6فقد ذكر عشر أسباب مكفرة).

سادسا: نقول أخيراً إن أهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن الصحابي معصوم من كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، ثم إذا كان صدر من أحدهم ذنب فيكون إما قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بسابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ وهم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي هم مجتهدون فيها: إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نادر، مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من إيمان وجهاد وهجرة ونصرة وعلم نافع وعمل صالح. (انظر شرح العقيدة الواسطية لخليل هراس 167- 164).

إذن، فاعتقادنا بعدالة الصحابة لا يستلزم العصمة، فالعدالة استقامة السيرة والدين، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا، حتى تحصل ثقة النفس بصدقه... ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي. ومع ذلك يجب الكف عن ذكر معايبهم ومساوئهم مطلقا – كما مر سابقا – ، وإن دعت الضرورة إلى ذكر زلة أو خطأ صحابي، فلا بد أن يقترن بذلك منزلة هذا الصحابي من توبته أو جهاده وسابقته -فمثلا من الظلم أن نذكر زلة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه دون ذكر توبته التي لو تابها صاحب مكس لقبل منه. . وهكذا. (الإمامة لأبي نعيم 340، ومنهاج السنة 207 / 6).

اللهم اجعلنا ممن يحب صحابة رسولك ﷺ، ويدافع عنهم، ويتبع منهجهم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخلافة:

الخلافة لغة: مأخوذة من خَلَفَ يخلف أي جاء بعده، وناب عنه ومن ذلك قوله تعالى: {وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة} أي جنساً يخلف الجنس الموجود فيها. أو بعضهم يخلف بعض كما في تفسير ابن كثير.

تعريف الخلافة اصطلاحاً: "نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا به". وقد جاء في مقدمة ابن خلدون:"حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها". وتحليل هذا التعريف كما يأتي:

نيابة بمعنى خليفة، وصاحب الشرع هو الرسول ﷺ.

حفظ الدين: كل الدين من عقائد وشرائع ومعاملات وأخلاق. وسياسة الدنيا به: فلو سيست الدنيا بغير الدين يضيع العدل ولا يجب أن تكون الدنيا تبعاً للدين. ولا بد من التوضيح بأن الدين في نظر الإسلام هو الحياة كلها كما جاء في قوله تعالى {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ} {الأنعام:162} فالدعوات التي ظهرت في أوروبا وتلقفها بعض المقلّدة من أبناء المسلمين من أمثال علي عبد الرازق ومن على شاكلته من أمثال تركي الحمد ومحمد عابد الجابري مقالاتهما في جريدة الشرق الأوسط ليس لها أصل في الإسلام فالإسلام يتضمن السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق وكل أمور الحياة.

والخلافة الإسلامية نظام جديد في جوهره وغاياته ويختلف عن أنظمة الحكم التي كانت معروفة وسائدة في العالم في ذلك الوقت وهما الكسروية والقيصرية ويقال لكل منهما مُلْك. ويراد بالمُلْك هو ذلك النوع من الحكم الاستبدادي المطلق الذي يمكن فيه لفرد أن يتحكم في مصائر أمة ويحكمها وفق هواه دون أن يكون خاضعاً لقانون يعلو إرادته.

أما في التاريخ الحديث ففي أوروبا ممالك تسمى ممالك دستورية أي أن هناك دستوراً يتحاكم إليه الملك والرعية، ويقال إن الملك يملك ولا يحكم بينما في الملكية السابقة كان الملك يملك ويحكم. وقد فكّر المسلمون في اتخاذ نظام للحكم بعد وفاة الرسولﷺ فوجدوا أن سنة الرسول ﷺ الفعلية والعملية هي النموذج الذي عليهم أن يحتذوه كما جاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي.

وقد ارتعد رجل في حضرة الرسول ﷺ فقال له: (ما أنا بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) وقد خشي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكون ملكاً فسأل ذات مرة: "أملك أنا أم خليفة؟ "فأجاب سلمان الفارسي رضي الله عنه: "إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك"وفي رواية أخرى أن عمر قال ذات مرة: "والله ما أدري أملك أنا أم خليفة فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم"، فقال أحد الصحابة: "يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً، فقال عمر وما هو؟ قال: "الخليفة لا يأخذ إلاّ حقاً ولا يضعه إلاّ في حق فأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا. "

وحين يكون المُلك مهتدياً بالدين "يتحرى الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق فيندرج تحت الخلافة ويكون من توابعها (المقدمة م1ص)262وقد أشار قبل ذلك (ص260)إلى أن "سليمان صلوات الله عليه وأبوه داود انفردا بملك بني اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به، وكانوا ما علمت من النبوة والحق.

طريقة اختيار الخليفة:

بعد إعلان وفاة الرسول ﷺ اجتمع نفر من الأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة من بينهم فعلم بالأمر بعض المهاجرين وكان منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة عامر بن الجراح فقال أبو بكر لنلحق بإخواننا فإن لهم

حقاً في هذا الأمر. وبعد مداولات لم يعرف التاريخ أكثر منها وعياً وعقلانية ومحبة وتحضراً دار نقاش رائع أبدى كل طرف وجهة نظره وانتهى الأمر باختيار أبي بكر رضي الله عنه للخلافة. وفي اليوم التالي تمت البيعة العامة، وخطب الصديق خطبة جامعة أوضحت موقفه من الخلافة والحكم وقد جاء فيها: "إني وليت عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأطيعوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة. الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه -إن شاء الله -والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه - إن شاء الله-، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلاّ ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلاّ عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم".

ويقول الدكتور العمري تعليقاً على هذه الخطبة بأنها: "تضمنت علاقة الحاكم بالمحكومين، فبيّن أن مجيئه للخلافة بإرادة الأمة وبتعاقد واضح، الطاعة من الناس مقابل التزام الحاكم بالشريعة، رقابة الأمة على سياسته وإعانته في الخير وتصحيح سياسته إذا انحرف، كما فيها بيان الالتزام بإقامة العدل والجهاد وتنظيف المجتمع من الانحراف الخلقي بالإضافة إلى ما تكشف عنه مقدمة الخطبة من تواضع الصديق الجم. (ص 46)

أما اختيار الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانت بعهد من أبي بكر الصديق بعد أن استشار كبار الصحابة وعرف موافقتهم على هذا الترشيح ولم يصبح عمر خليفة إلاّ بعد البيعة العامة. ولمّا طُعن عمر رضي الله عنه أوصى بالخلافة لأهل الشورى الذين مات الرسول ﷺ هو عنهم راض. وهم عثمان بن عفان،وعلي بن أبي طالب، وطلحة ابن عبيد الله، وسعد ابن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام. وتداول هؤلاء في الأمر وأخرج عبد الرحمن ابن عوف نفسه منها على أن يوليها خيرهم فاختار عثمان بن عفان بعد أن أدرك أن الناس يريدونه. وبعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بايع أهل الحل والعقد علي بن أبي طالب بالخلافة. ثم آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان بعد أن تنازل عنها الحسن بن علي رضي الله عنه. وتغير الأمر إلى أن أخذ معاوية بن أبي سفيان

البيعة لابنه يزيد بولاية العهد، وكانت سنّة جديدة ولكنه رضي الله عنه أراد تجنيب الأمة الإسلامية ويلات الفتن والحروب وعرف أن بني أمية لا يرضون بخروج الحكم منهم كما ذكر ذلك ابن خلدون في المقدمة. وله عبارة جميلة أبدى فيها الآداب التي ينبغي على المسلم أن يتأدب بها مع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين(1):

فتوح الشام:

بعد أن نجح المسلمون في القضاء على المرتدين كان لا بد أن يقوموا بنشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، وكان من المعروف مسبقاً موقف الدول المجاورة فقد بعث حاكم الفرس إلى عامله على اليمن يأمره بأن يأتيه بالرسول ﷺ فأخبره أن سيده قد قتل في ذلك اليوم. ولاشك أن الدول الكبرى التي كانت تحيط بالجزيرة العربية لم تكن لترضى بوجود قوة دولية جديدة في الجزيرة العربية وهم الذين لم يعرفوا للعرب وزناً في السياسة الدولية فقد انضم فرع من العرب للروم وهم الغساسنة كما انضمت قبائل أخرى وهم المناذرة إلى الفرس، وكانت الحروب تقع بين الغساسنة والمناذرة من أجل الأسياد. وقد ظهرت غطرسة الفرس والروم عندما بدأت المواجهات الحربية حيث كان قادتهم يحرصون على تذكير المسلمين أنهم كانوا ضعفاء فقراء لا يطمعون في أكثر من أن يعطيهم ملوك هذه الدول بعض المساعدات المالية ويعودون إلى بلادهم. (وما أشبه الليلة بالبارحة فبعض الدول الإسلامية تتسلم في هذه الأيام المساعدات من الدول الكبرى، ويتنافس بعض الزعماء العرب على كسب ود هذه الدول من أجل حفنة من الدولارات أو الفرنكات أو الجنيهات أو الماركات أو بعض المعدات العسكرية التي أكل عليها الزمان وشرب).

وكان لا بد للمسلمين أن ينطلقوا لمواجهة أخطار تلك الدول، فكان التمهيد للفتوحات الإسلامية يتلخص في الأعمال الآتية:

1. غزوة مؤتة في جمادى الأولى من السنة الثامنة بقيادة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم فلما استشهد هؤلاء القادة تولى القيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه فاستطاع أن ينسحب بالجيش دون خسائر حيث إن الجيش الروماني كان يتجاوز المئة ألف مقابل ثلاثة آلاف. وكانت مؤتة من مناطق الحماية الرومانية.
2. غزوة تبوك: ذكرت كتب التاريخ أن الرسول ﷺ عندما عزم على القيام بهذه الغزوة لم يُوَرِّ بغيرها لبعد المسافة ولحدوث الغزوة في وقت الحر الشديد فجاء في كتب المغازي أن النبي ﷺ "أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم" وكان من أهداف هذه الغزو وفقاً للدكتور شوقي فيصل في كتابه (الفتوحات الإسلامية): التمهيد للدعوة في الشام باستصلاح الواحات لما لها من أهمية في تمويل الجيوش. وثانيا: تدريب العرب على هذا اللون من الخروج واستئصال ما مُكّن للروم من هيبة في بعض النفوس.
3. بعث إسامة بن زيد رضي الله عنه في محرم عام 11هـ. فقد أصرّ ابو بكر الصديق على بعث هذا الجيش لأن الرسول ﷺ كان قد أعده قبل وفاته وبدأ تحركه ولكنه توقف في منطقة الجرف من المدينة المنورة عندما اشتد المرض بالرسول ﷺ. وكان في الجيش بعض كبار الصحابة. وقال الصديق رضي الله عنه قولة قوية: "والله لو أن السباع تخطفني في المدينة لأنفذت جيش أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق غيري لأنفذته "واستمرت حملة جيش أسامة رضي الله عنه أربعين يوماً لم يلق خلالها قتالاً ولكنه خوّف الأعراب حول المدينة بأن اعتقدوا أن المسلمين لم ينفذوا جيش أسامة إلاّ لأنّ لديهم من القوة الكافية لمواجهة المعتدين.

فتوح الشام: كانت بداية الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام لأن الروم كانوا قد تغلبوا على الفرس قبل سنوات قليلة وكانوا يعدون العدة لمهاجمة الدولة

الإسلامية ولذلك أرسل الصديق رضي الله عنه فرقة عسكرية بقيادة خالد بن سعيد لاستكشاف المناطق المتاخمة للجزيرة من جهة الشام وأمره أن يتجنب المواجهة ولكنه لم يستطع ولم تكن المواجهة الأولى في صالح المسلمين مما جعل خالد بن سعيد يستنجد بالخليفة الذي أرسل خمسة ألوية إلى الشام ليحاربوا الروم في عدة جبهات فتتشتت قيادة الروم بشغلهم بجيوش المسلمين وكانت هذه القيادات الأربعة هي:

1. أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه ووجهته فلسطين
2. يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه ووجهته دمشق.
3. شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه ووجهته الأردن.
4. عمرو بن العاص رضي الله عنه ووجهته فلسطين.

وبدأت المعارك بين جيوش المسلمين وجيوش الروم ولكن الروم حشدوا جيشاً ضخماً لمواجهة الجيوش الإسلامية مما جعلها تتوحد وترسل بطلب النجدة من المدينة فأمر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد الذي كان يقاتل في بلاد الفرس فتوجه بنصف الجيش الذي كان معه إلى الشام. ويذكر المؤرخون أنه حرص على أن يكون البدريين والصحابة الكرام معه ولكن المثنى بن حارثة رضي الله عنه غضب وطلب أن يبقى معه عدد مساوٍ لما لهؤلاء من مكانة في نفوس المسلمين وبركة في الجيش. وقطع خالد بن الوليد المسافة بين العراق والشام في زمن قصير جداً مما يعد أعجوبة عسكرية حيث إن تلك المسافة تقطع عادة في شهرين فقطعها في أقل من نصف شهر.

ووصل خالد ووجد الجيوش الإسلامية لها قيادات متعددة فاقترح عليهم أن يوحدوا القيادة ويتناوبوها وأن يكون اليوم الأول له. وكان الجيش الرومي يتكون من أكثر من مئة وخمسين الف بينما لا يتجاوز جيش المسلمين الخمسين ألفاً على أعلى تقدير.

دروس ومواقف من المعركة:

1. ارتفاع الروح الحماسية القتالية لدى الجيش الإسلامي،وكان أبو سفيان رضي الله عنه يقوم بقراءة القرآن ويحث المسلمين على الاستبسال في القتال.
2. استشهد عدد من الصحابة في هذه المعركة وكانوا في قلب الجيش.
3. أسلم أحد قادة الروم بعد سؤال خالد بن الوليد عن سبب تسميته (سيف الله المسلول).
4. وما سر هذا السيف.
5. الناحية الدينية(يراجع محمود شيت خطاب في كتابه: قادة فتوح الشام) وكتاب شكري فيصل (الفتوحات الإسلامية)فقد حاول هرقل توحيد المذاهب الدينية النصرانية ليكون في ذلك تقوية لجيشه. كما إن الجيش الرومي كان يضم عدداً كبيراً من البطارقة والقساوسة والشماسة (ألقاب نصرانية)يقومون معه إذا قام ويرتحلون معه إذا ارتحل ويخندقون معه إذا خندق يثيرون حماسة الدين إذ ينعون له النصرانية إذا هو انهزم.
6. الناحية الاجتماعية: كان البطارقة (ليست من بطريرك)وهو لقب سياسي يتولون الإشراف على المملكة الرومانية وكانوا يتولون حكم المستعمرات الشرقية وقد انتشر في عهدهم الربا والاحتكار والضرائب المرتفعة وأهملت الزراعة.
7. الزعم بأن العرب وقفوا إلى جانب المسلمين بدافع القومية العربية زعم كاذب فقد جند هرقل عشرات الألوف من العرب في جيشه من قبائل كلب وتنّوخ ولخم وجذم وعشار. وكانوا يقومون بأعمال التجسس والاستطلاع لجيش الروم. وكيف لهؤلاء أن يتعاونوا مع المسلمين وهم لا يعلمون كيف ستنتهي المعارك، فلو تعاونوا مع المسلمين وانهزم المسلمون فإن الرومان كانوا سينتقمون منهم أشد انتقام. لذلك التزموا بالحرب في صفوف الروم.

تعريف موجز ببعض قادة فتوح الشام:

أسامة بن زيد رضي الله عنه: قيل فيه بأنه "القائد الذي هاجم الإمبراطورية الرومانية وجرّأ العرب على مهاجمتها "هو أسامة بن زيد بن شراحيل بن عبد العزى الكلبي. كان يطلق عليه حِبُّ رسول الله ﷺ وابن حِبّه، عاش في كنف الرسول ﷺ، ردّه يوم أحد لصغر سنّه، وأجازه يوم الخندق، وكان ممن ثبت يوم حنين. اتصف بالشجاعة والإقدام والذكاء الخارق والاتزان في التفكير والنضوج العقلي المبكر(محمود شيت خطاب، قادة فتوح الشام).

أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه: هو عامر بن الجراح القرشي الفهري كان أحد العشرة السابقين إلى الإسلام هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، شارك في بدر وقتل أباه، سمّاه الرسول – صلى الله عليه وسلم –أمين هذه الأمة. كان معروق الوجه خفيف اللحية،طوالاً أجنأ أثرم ما رؤي قط أحسن منه. وصفه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "أصبح الناس وجوهاً وأحسنهم خلقا وأشدهم حياء ثلاثة: أبو بكر وعثمان وأبو عبيدة. "

عكرمة بن أبي جهل: هو عكرمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الملك بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي. كان شديد العداء للإسلام حتى إنه كان ممن أهدر دمهم الرسول ﷺ يوم الفتح لولا أن زوجته أسلمت واطمعته في عفو الرسول ﷺ وكان قد ركب البحر متوجهاً إلى الحبشة فعاد ولما رآه الرسول ﷺ قال له: (مرحباً بالراكب المهاجر) شارك في حروب الردّة،وشارك في اليرموك وفيها استشهد وله قصة طريفة عندما كان في الرمق الأخير وجاء من يريد أن يسقيه شربة ماء وكان بجواره الحارث بن هشام وسهيل وكل واحد كان يؤثر الآخر على نفسه حتى ماتوا دون أن يشربوا. ومن صفاته أنه كان كريماً مضيافاً شهما غيوراً، صادقاً وفياً وشاعراً وخطيباً رضي الله عنه وأرضاه.

يزيد بن أبي سفيان: يزيد بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أسلم يوم فتح مكة، وشهد حنين، وكان يسمى يزيد الخير، استعمله الرسول ﷺعلى تيماء، ولاه أبو بكر رضي الله عنه على دمشق وولاه عمر رضي الله عنه على فلسطين.

فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عاني المجتمع المسلم من هذه الفتنة معاناة شديدة لم تتوقف آثارها عند مقتل الخليفة الراشد عثمان ابن عفان رضي الله عنه بل تجاوزتها إلى إحداث شروخ في وحدة المجتمع المسلم حيث استمرت هذه الشروخ فقادت إلى ما حدث بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وظهور بعض الفرق في التاريخ الإسلامي ومنها فرقتي الشيعة والخوارج.

لقد دخل في الإسلام أجيال جديدة لم يتمكن الإيمان في قلوبها ولم تعرف للصحابة والخلفاء الراشدين بخاصة مكانتهم في الأمة الإسلامية. فهؤلاء الذين عاصروا الإسلام منذ كان وليداً يترعرع في مكة المكرمة وأفنوا حياتهم وأموالهم في سبيل هذا الدين. صحيح أنه لا يصل الحب والاحترام والتقدير لهذه الشخصيات ادعاء العصمة لها ولكن لابد من الوقوف عند حدود الأدب في الحديث عنهم وعن تاريخهم.

ولهذا فالذين تولوا كبر الفتنة التي أدت إلى مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه كانوا في الغالب من الرعاع الذين يتبعون كل ناعق كما وصفهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإن ظهر فيهم من ادعى الدين والتقوى والصلاح. إما ما نقموه على عثمان ابن عفان رضي الله عنه فأمور دينية واقتصادية واجتماعية وليس لديهم دليل على صحة ما زعموا وإليك ما نقموه:

1. جمع القرآن في مصحف واحد وحرق ما سواه وهو المسمّى مصحف عثمان.
2. إتمام الصلاة بمنى أواخر خلافته خلافاً لسنة المصطفى ﷺ.

3. تغيبه عن غزوة بدر وعن بيعة الرضوان وموقفه في غزوة أحد وحنين.

والرد على هذه الأمور تجده في كتاب الدكتور أكرم العمري في الصفحات من 378إلى 382 وكذلك في كتاب العواصم من القواصم لابن العربي بتحقيق الشيخ محب الدين الخطيب وتعليق مهدي الاستنبولي.

ويرى الدكتور العُمري أن الدراسات الحديثة ترجع أسباب الفتنة إلى "عوامل اقتصادية واجتماعية، فيشيرون إلى تدفق الأموال في المجتمع الإسلامي نتيجة الفتوح، وظهور بوادر الترف في المجتمع، وحدوث تفاوت كبير في مستوى المعيشة نتيجة التباين في توزيع الثروة، وإلى توقف الفتوح في النصف الثاني من خلافة عثمان رضي الله عنه مما جعل الناس في الأمصار يحسون بالفراغ وينغمسون في الفتن والشغب على الحكام. (ص 382).

لا شك في أهمية هذه العوامل لكن لابد من النظر في أن ثمة أسباب أخرى أدت إلى هذه الفتن وتعود إلى بعض العوامل الخارجية كظهور ابن سبأ اليهودي في اليمن وتنقله في البلاد يثير الناس ضد الخليفة مع إظهاره الورع والتقوى. . وليس غريباً أن يظهر من اليهود ابن سبأ فهم أشد الناس حقداً على الإسلام بل لعل هناك أبناء سبأ آخرون. وكان من المشاركين مع الثوار من كان يكنّ حقداً شخصياً على الخليفة الراشد، كما بين ذلك الدكتور محمد السيد الوكيل في كتابه (جولة في تاريخ الخلفاء الراشدين)

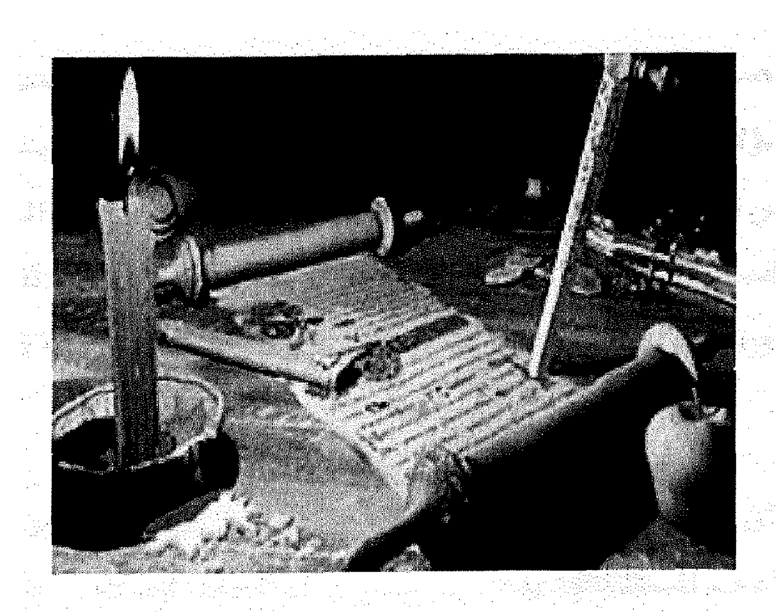
أما المراحل الأخيرة من الثورة ضد عثمان بن عفان فهو وصول الثوار إلى المدينة والتقاؤهم بعثمان بن عفان وغيره من الصحابة الذين وقفوا موقفاً رائعاً في الدفاع عن عثمان بن عفان بالإضافة إلى ردود عثمان رضي الله عنه عن نفسه. ولكن الثوار بالرغم من التفاهم معهم والموقف الحضاري الرائع من عثمان بن عفان رضي الله عنه ومن الصحابة الكرام، وما تمتع به المجتمع المسلم من حرص على الحرية الحقيقية لإبداء الرأي ولو كان ذلك يمس الخليفة نفسه، أقول بالرغم من كل

ذلك فإنهم كانوا يبيتون النية السيئة حتى إذا عادوا إلى بلادهم أهل العراق إلى العراق وأهل مصر إلى مصر ولم تمض أيام حتى عادوا مرة أخرى متذرعين بالخطاب المزعوم حتى قال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه "إن هذا أمر دبِّر بليل".

أما بقية الأحداث فكانت مأساوية في حبس الخليفة رضي الله عنه في بيته وحبس الماء عنه، ولكنه كان صابراً محتسباً أقسم على الصحابة الكرام رضي الله عنهم أن يكفوا أيديهم عن الثوار الذين زاد تعنتهم في طلبهم من الخليفة أن يخلع نفسه من الخلافة فرفض. وفي النهاية قتلوه رضي الله عنه فباؤوا بالخسران في الدنيا وفي الآخرة.

الفصل الثاني عشر

أبرز الشبهات حول الخلفاء الراشدين



أبرز الشبهات حول الخلفاء الراشدين

إن الحاقدين على الدين الإسلامي الذين حرصوا في كتابتهم في التاريخ الإسلامي أن يثيروا الشبهات حول الخلفاء الراشدين لأنهم بزعمهم إذا استطاعوا أن يشوهوا هذه الفترة من التاريخ الإسلامي فإن تشويه ما سواها أيسر، ولأن هذه الفترة هي الأساس في الدولة الإسلامية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهم جيل القدوة. والخلفاء الراشدون المهديّون بنص حديث الرسول ﷺينبغي الحديث عنهم بالإجلال والاحترام والتقدير. فجهادهم في الإسلام أمر واضح أشد الوضوح ولا ينكر ذلك إلاّ مغرض وحاقد. بل إن الرسول ﷺ نهى عن سب أصحابه عموماً فكيف بالخلفاء الراشدين وحبهم بلا شك من حسن إسلام المرء.

ومصادر الشبهات التي أثيرت حول الخلفاء الراشدين هي أولاً مصادر الخوارج وهؤلاء عرفنا موقفهم بإيجاز في الحديث عن الفتنة في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما ظهرت فئة أخرى تطعن في الخلفاء الراشدين وهم الرافضة وقد تناول القاضي ابن العربي في كتابه العواصم من القواصم بعض افتراءاتهم ورد عليها، كما إن كتاب منهاج السنة للإمام ابن تيمية فيه ردود رائعة على هؤلاء.

ولكن هناك فئة تناولت تاريخ الخلفاء الراشدين وأثارت كثيراً من الشبهات حوله وهؤلاء هم المستشرقون وتلاميذهم من أبناء العالم الإسلامي. ويمكن تصنيف هذه الشبهات حول شخصيات الخلفاء الراشدين وحول الأحداث التي وقعت في هذه الفترة. وقد وقع بعضهم في الشبهات بسبب الجهل بالتاريخ الإسلامي وبمنهج المحدثين في تمحيص الروايات التاريخية بينما وقع البعض الآخر في الشبهات بسبب الحقد والعداوة.

أما الشبهات التي تتناول شخصيات الخلفاء الراشدين فلعل أولها ما زعموا (توماس آرنولد وكايتياني و وليام ميور وبرنارد لويس) الله عنهم أجمعين بالتآمر للوصول إلى الخلافة. وقد ردد كتّاب دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) في طبعتها الأولى والثانية هذه المفتريات. وهذا الزعم ناتج عن سوء نية وقصد، فهل يصدق عاقل أن هؤلاء الثلاث العظام كان يمكن أن يتآمروا على الخلافة؟ ويكفي الرجوع إلى كتب المناقب لمعرفة مكانة هؤلاء. بالإضافة إلى أن ما قاد المستشرقين إلى هذه الفرية التفكير المادي الذي يحكم الغربيين فما ذا كانت مكاسب الصديق رضي الله عنه أو عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الخلافة؟ هل سعيا إلى تحقيق أمجاد شخصية ومصالح ذاتيه أو أسرية أو قبلية؟

كما إن هذه الدائرة وغيرها تناولت الردة وأسبابها هل هي دينية أو سياسية ورأي البعض أنها اقتصادية وان إصرار أبي بكر الصديق على حرب المرتدين كان هدفه الناحية المالية حيث إن ميزانية الدولة تعتمد على هذه الإيرادات. كما ذكرت الطبعة الأولى من الدائرة أن جيش أسامة رضي الله عنه لم يكن له أهمية البتة.

ومن الكتاب العرب المعاصرين الذين حشدوا كثيراً من الشبهات والأخطاء في دراسة التاريخ الإسلامي الدكتور محمد عبد الحي شعبان الذي كتب عن الصديق بأن سلطاته كانت محدودة ولهذا عندما لم تكفه موارده من حلب شياه الحي وعمله التجاري لجأ إلى عمر ابن الخطاب وغيره من الصحابة ليفرضوا له من بيت مال المسلمين ما يكفيه.

ومن الافتراءات على شخصيات الخلفاء ما أوردته دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)بأن عمر بن الخطاب كان صاحب شخصية قوية فكان الحكم لأبي بكر اسميا وله فعلياً. وافتروا على عثمان بن عفان رضي الله عنه بأنه كان ضعيفاً وكان غير شجاع، بل وصلت بهم الوقاحة إلى اتهامه بالجبن رضي الله عنه. وقد رد عليهم عباس محمود العقاد في كتابه(ذو النورين عثمان بن عفان)بأن الشجاعة

التي كان يملكها عثمان بن عفان كان مثار الإعجاب والإكبار فهو الذي كان يرى أن الثوار سيقتلونه لو لم يتنازل عن الخلافة فيصر على التمسك بالخلافة حتى لو كان في ذلك قتله فأي شجاعة أكبر من هذه الشجاعة؟

ويورد صاحب العواصم من القواصم الشبهات التي أثيرت حول عثمان رضي الله عنه والردود عليها وأهمها: التغيب يوم بدر، وبيعة الرضوان، والفرار يوم أحد ويوم حنين، واتهامه بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد وحرق المصاحف الأخرى، كذلك اتهامه بمحاباة أقاربه. واتهامه بأنه حمى الحمى وأعطى من الخمس وغير ذلك من الشبهات الواهية. ويكفي للرد على هذه الشبهات معرفة مصدرها فهي صادرة من أشخاص لم يتمكن الإيمان في قلوبهم أو أشخاص لهم مطامع وأحقاد شخصية ضد عثمان رضي الله عنه.

وثمة شبهات للمستشرقين حول الفتوحات الإسلامية بأنها كانت تهدف إلى إشغال العرب بالحروب حتى لا يثيروا الفتن كما ذكر ذلك الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه (تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي)، وأن الفتوحات كانت آخر موجات الهجرات السامية من جزيرة العرب بسبب تغير وسائل الإنتاج وازدياد عدد السكان. وهذه الافتراءات لا صحة لها فإن المسلمين خرجوا للجهاد ليؤمنوا طريق الدعوة لتصل كلمة الله إلى البشر أجمعين ولنشر الحق والعدل. أم الزعم بالأهداف المادية والسعي عن الغنائم فيمكن الرجوع إلى تاريخ الفتوحات الإسلامية لمعرفة طبيعة الجنود الذين خاضوا هذه الفتوحات وأنهم أبعد الناس عن السعي للمادة. أليس قادة الجيوش الإسلامية هم الذين ضحوا طوال حياتهم بالغالي والرخيص في سبيل هذه الدعوة فهل كانوا يبحثون عن المكاسب المادية؟ نعم كانت هناك فئة قليلة دخلت المعارك بحثاً عن الغنائم ولكن النظرة المادية تقول إن الأعداد القليلة من المسلمين التي كانت تقاتل جيوشاً يفوقونهم عدداً وعدة ما كانت المغانم هي التي تدفهم للجهاد. لقد "كان الجنود المسلمون رهباناً بالليل فرساناً بالنهار إذا سرق ابن قائدهم أقاموا عليه الحد".

ومن الشبهات التي أثاروها في الفتوحات الإسلامية الطعن في قادة الجيوش الإسلامية وأنهم كانوا يسعون إلى تحقيق أمجاد شخصية. فمن هذه الشبهات أن خالد بن الوليد رضي الله عنه انطلق إلى العراق بعد حروب الردة دون إذن من الخليفة أبي بكر الصديق. وكذلك اتهام عمرو بن العاص رضي الله عنه في انطلاقته لفتح مصر بأن ذلك لم يكن بإذن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وللتقليل من شأن الانتصارات الإسلامية زعموا أن الدولتين الفارسية والبيزنطية كانتا مرهقتين من حروبهما وأنهما كانتا في حالة انهيار. وقد رددنا على هذه الشبه في معرض الحديث عن الفتوحات الإسلامية. كما شكك بعض المؤرخين الغربيين في أعداد الجيوش الفارسية والبيزنطية مستبعدين انتصار المسلمين على تلك الأعداد الضخمة ذات العدة التي تفوق ما كان للمسلمين.

وباختصار فإن المستشرقين وغيرهم من الحاقدين على التاريخ الإسلامي بحثوا في الروايات الضعيفة والواهنة في كتب التاريخ الإسلامي كما رجع بعضهم إلى كتب متعصبة مثل تلك التي تتخذ التشيع مذهباً وعقيدة فأخذوا منها ما يحلو لهم.

مظاهر المدنية في الحضارة الإسلامية:

في عصر الخلفاء الراشدين:

عندما نتحدث عن المدنية لا شك أن أذهاننا تنطلق إلى الحضارة الغربية المعاصرة التي أصبحت لها الهيمنة والسيطرة في العالم. فهي التي تصنع أدوات المدنية من سيّارات، وطائرات، والأجهزة بأنواعها والأسلحة بأنواعها حتى المشروبات الغازية التي أدمنّاها بينما العالم الآخر يستهلك. وهي التي تقول عبر وكالات الأنباء والقنوات الفضائية التي نملكها ويملكونها وعبر الصحافة والإذاعة ونحن الذين نسمع بل ننصت بخشوع، وهي التي تحكم بما لديها من قوة اقتصادية،

وسياسية، وعسكرية، وثقافية وعلمية، وتكنولوجية. فما الفائدة في الحديث عن مظاهر المدنية في الحضارة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين؟

نعم ما الفائدة من مثل هذا الحديث؟ إن الأمم التي تريد أن يكون لها وجود في العالم لابد أن أول خطوة تقوم بها أن تحدد هويتها ومشروعها الحضاري ومنهجها الذي تريد السير عليه. فالغرب المسيطر بالرغم من النظريات والفلسفات المختلفة والمتنوعة والمتناقضة التي تسيطر عليه، فإنه واع بذاته وبحضارته وبوجوده وبمناهجه.

ونحن علينا أن نبحث عن هذه الهوية وهذه الذاتية والمنهج والمشروع الحضاري الذي نريد بناءه في هذا العالم. لذلك فالحديث عن عصر الخلفاء الراشدين هو الحديث عن الانطلاقة لهذه الأمة المباركة التي صنعت حضارة تفيأ ظلالها العالم قروناً عديدة وما زال يجد لديها الكثير لو أحسن أبناؤها فَهْمَ تاريخهم وحضارتهم وأحسنوا التمسك بهويتهم ومشروعهم الحضاري.

لذلك فهذه الصفحات محاولة لإظهار لمحات من المدنية التي بدأت في عهد الخلفاء الراشدين والتي ينبغي أن لا تكون مادة نحفظها لنؤدي فيها الامتحان بل أن تكون امتحاناً حقيقياً لنا في إيماننا برسالة هذا الدين العظيم الذي اختاره الله خاتمة لرسالاته.

النظام السياسي:

إن النظام السياسي الإسلامي هو أرقى نظام سياسي عرفته البشرية في تاريخها وقد كان تطبيقه في القمة في فترة الخلافة الراشدة، ثم تراجع المسلمون في التطبيق في جوانب منه لكنهم بقوا متمسكين بمصادر هذا النظام لا يتنازلون عنها وإن كان في ذلك فناؤهم. فما أبرز ملامح هذا النظام؟

اختيار الحاكم:

لقد قام المسلمون بتطبيق معايير لم يسبقوا إليها في اختيار الحاكم وهذه الأسس هي الشروط التي استنبطها الفقهاء في كتب الأحكام السلطانية. وقد قال الدكتور أكرم العمري معلقاً: "والحق ان انتخاب أبي بكر للخلافة يوضح استعلاء قيم الإيمان وخضوع مقاييس الشخصية لها، لأن أبا بكر من تيم وتيم من أضعف عشائر قريش. (الخلافة الراشدة، ص46)، وأين النظام الديمقراطي الذي يجعل انتخاب الشخص لما يملكه أو لنجاحه في اللعبة الانتخابية حتى لو كان فاسداً صاحب فضائح في نظام ترشيح أهل العقد والحل.

الشورى:

فهذا مجتمع بني على الشورى حيث نزلت آية الشورى {وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون}، والخبر إذا أريد به الإنشاء الطلبي فهو أقوى من الأمر. أما الآية الثانية التي تناولت الشورى فهي قوله تعالى {وشاورهم في الأمر}، ويضيف الدكتور العمري: "ليس في القرآن قرينة تصرف هذا الأمر عن الوجوب، وليس في السنّة كذلك، بل الأحداث في السيرة تدل على أخذ النبي ﷺبالشورى كما في يوم أحد وفي الخندق وفي غيرها. كما إن الشورى في الإسلام تضمن لصاحب الرأي الحرية التامة ليقول رأيه. وكانت الشورى تتناول كلّ ما لم يرد نص فيه في جميع المجالات.

وقد عرفت الأمة الإسلامية الاستفتاءات العامة فعندما فتح العراق والشام وكان رأي الخليفة بناءً على رؤيته للمصلحة العامة ان تبقى الأراضي في أيدي أصحابها ويقومون بتقديم الخراج للدولة الإسلامية بدل تقسيمها بين الجنود الذين فتحت على أيديهم. فكان الرأي في هذا للجميع.

الإدارة والقضاء:

يعاني العالم العربي الإسلامي من ضعف شديد في مجال الإدارة بسبب بعدنا عن الأصول الإسلامية في الإدارة، والدليل على ذلك أننا نتسول الفكر الإداري من الغرب والشرق (أمريكا واليابان)نظراً لنجاحهما في مجال الصناعه فهذه الشهادات العليا في الإدارة هي في الغالب من الغرب عامة ومن الولايات المتحدة بصفة خاصة، وأيضاً الدورات الإدارية والكتب المترجمة.

لقد بدأ المسلمون نظامهم الإداري والقضائي في عهد الرسول ﷺ ، وتوسعت الدولة الإسلامية ويمكننا أن نستنبط بعض الأسس لهذا النظام والبراهين على تطبيق هذه الأسس فما على الباحث سوى مراجعة التاريخ الإسلامي مراجعة يسيرة للتأكد من ذلك.

أما هذه الأسس فهي:

1. استعمال الأصلح، والأصلح هو القوي الأمين، والحفيظ والعليم.
2. مدة الولاية تخضع لظروف الولاية ونجاح الوالي. ومن الأمثلة على ذلك بقاء معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه أميراً على الشام عشرين سنة. بينما لم تستمر بعض الولايات أكثر من سنة وربما أقل من سنة. وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه فكر أن لا تزيد مدة ولاية أي وال عن سنة واحدة.
3. الابتعاد عن العواطف في تولية الأمراء ومراعاة مقتضيات المصلحة العامة.
4. الفصل بين الولاية (الإمارة)والمسؤولية المالية.
5. مراقبة الولاة في عملهم.
6. محاسبة الولاة أو الأمراء إذا قصروا أو ظلموا أو ارتكبوا ذنباً أو لخصومة أهل الولاية لهم.

الفصل الثاني عشر

القضاء:

وضع المسلمون أسساً للنظام القضائي منها:

1. فصل القضاء عن سلطة الولاة واستقلالية القضاء.
2. اختيار الأصلح.
3. المرتبات المجزية لإعفاف القضاة.
4. تقاضي الخليفة واي فر إلى قاضي المسلمين والأمثلة على ذلك كثير كتقاضي عمر بن الخطاب وأبي بن كعب والتحاكم إلى زيد.

النظام الاقتصادي:

حرصت الدولة الإسلامية أن تكون دولة قوية، وقوة الدولة بقوة شعبها واكتفائه اقتصادياً واستقلالها عن غيرها. ولذلك حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ترك أرض السواد والأراضي المفتوحة عموماً في أيدي أصحابها الأصليين لتكون مصدر دخل مستمر للدولة لإعداد الجيوش والإنفاق على الدولة.

وقد اهتمت الدولة بمواردها المالية وهي: الزكاة، والخراج، والعشور، والغنائم. وقد اهتمت الدولة الإسلامية بسياسة الإنفاق على ما يأتي:

1. بناء المساجد، تجديد سقف المسجد النبوي، ثم توسعة المسجد وبنائه في عهد عثمان ابن عفان رضي الله عنه بالحجارة.
2. -2بناء المدن لتكون معسكرات للجيوش الإسلامية قريبة من الماء والمرعى ومن هذه المدن الكوفة والبصرة والفسطاط. وتخطيط هذه المدن تخطيطاً إسلامياً مبتكراً يراعي التشريعات الإسلامية في ذلك مع الابتكار والإبداع. فشوارع الكوفة كما شارك في تخطيطها عمر بن الخطاب جعلت الشارع الرئيسي أربعين ذراعا 2800 =70×40) سم(حوالي ثلاثون متراً)

3. حفر الأنهار وإقامة السدود والمنشآت ومن هذه المنشآت استراحات للحجاج بين مكة والمدينة توفر فيها الماء والظل.

الثقافة والتعليم:

ومن عجب ان أمة أول كلمة نزلت في كتابها الكريم {اقرأ} تصبح من دول العالم الثالث أو الدول النامية بينما تسبقها الأمم الأخرى، ومن أبرز الأسس لأي مدنية هو العلم. وأما في عصر الخلفاء الراشدين فكانت الثقافة والتعليم في تقدم مستمر وذلك بسبب "الانسجام العقدي والفكري والاجتماعي، ووضوح الأهداف العامة للدولة والمجتمع دفعا بقوة حركة التعليم بل الحركة الثقافية أيضاً(العمري).

و بالرغم من أن الدولة الإسلامية كانت تقوم بجهد كبير في مجال الفتوحات الإسلامية إلاّ إنها بذلت الكثير في مجال التعليم مما جعل بعض المنصفين من المستشرقين يشيدون بمساهمات المسلمين الفكرية في أسرع وقت كما نقل الدكتور العمري عن بعض هؤلاء: "إن العرب يمثلون ظاهرة خارقة في تاريخ البشرية. . . وفي خلال مائة عام من مسيرة الفتوحات رأيناهم يتصدرون أمماً غيرهم في الجهد الفكريط".

أما أسس النظام التعليمي التربوي فيمكن إيجازها فيما يأتي:

1. مسؤولية الدولة عن التعليم فقد بعث الرسول ﷺ من يعلم الناس أمور دينهم في البوادي ورغم المخاطر المحتملة لمثل هذه المهمات. وقد واجهت إحدى هذه البعثات الغدر من إحدى القبائل العربية. وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، فإني بعثتهم يعلمون الناس دينهم وسنة نبيهم". وجاء أيضاً أن عمر بن الخطاب أرسل رجلاً يقال له أبو سفيان يستقرئ أهل البوادي القرآن فمن لم يقرأ ضربه بالسوط.
2. لانسجام بين الدولة والأمة في مشوار التعليم.

3. مجانية التعليم أو ما يسمى في عصرنا الحاضر التعليم للجميع مما جعل الفقراء أحياناً يسبقون الأغنياء.
4. ارتباط العلم بالعمل، فلم يكن التعليم ترفاً أو مجرد شهادات تعلق على الجدران.
5. نفاق الدولة على التعليم فقد فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمسة عشر درهما لثلاثة معلمين يعلمون الصبيان. ويقول الدكتور العمري: "ولم يعرف عن طلبة العلم أنهم دفعوا نفقة للتعلم آنذاك"غ.
6. رية التعليم وبعده عن هيمنة الدولة ظلاّ سمة مميزة له طوال القرون اللاحقة، إلى أن ظهرت المدارس والجامعات الأولى في الإسلام، تلك التي رعتها الدولة غير أنها لم تكن في الحقيقة تحت إشراف الدولة إلاّ من حيث إمدادها بالنفقات ومساعدتها على البقاء، فقد استمرت حرية التعليم بعد ظهور تلك المؤسسات". (العمري ص 248).

ونظراً لهذه السمات للحركة التعليمية الثقافية في الأمة الإسلامية فقد استطاع المسلمون في وقت قصير أن يصبحوا سادة الدنيا ومعلموها بما تمتعوا من تفتح دهني وبعد نظر وأفق واسع، فلم ينغلقوا على ما عندهم وإنما اطلعوا على الثقافات الأخرى بعد أن تعمقوا في فهم ما عندهم وتأكدت شخصيتهم العلمية والثقافية.

طعنه في الصحابة وحصره الصحبة في المهاجرين والأنصار فقط وأنهم الذين هاجروا قبل الحديبية وبيعة الرضوان، وقوله بعدم عدالتهم في الجملة، وزعم أن هذا التعريف عليه جمهرة من المحدثين وأكثر الصحابة، وقوله أيضاً بأن الصحابة ليس كلهم عدول والأدلة التي ذكرها العلماء في إثبات عدالة الصحابة كلهم لا تفيد ذلك، وقال إن بيعة أبي بكر لو سبقها شورى واتفاق فإن معظم الناس سيختارون علي لفضله وقربه من النبي ﷺ وكونه من بني هاشم أفضل قبيلة في قريش، وسبب ميل الأنصار لعلي أكثر من ميلهم لأبي بكر وعمر لأن علياً كان أكثر فتكاً في مشركي قريش بعكس أبي بكر وعمر وعثمان إذ لم يثبت أنهم قتلوا من قريش أحداً باستثناء رجل واحد قتله عمر يوم بدر، وقال إن بيعة أبي بكر أشبه

ما تكون بالغلبة والقهر وجمهور الصحابة لا يرون بيعته بلا شورى، وأن نصف الأنصار وافق على بيعة أبي بكر على مضض.

وقال إن البعض يرى أن اختلاف الصحابة في السقيفة على الخلافة لم يكن بأسباب بحثهم عن مصلحة الإسلام، بل هناك أسباب قبلية وتعصب لفئات وأشخاص وليس هناك دليل شرعي ولا عقلي يمنع من هذا، وقال إن الأمر لم يستتب لأبي بكر ولا لعمر إلا بانشغال الناس بالفتوحات التي أنستهم الأحق في الخلافة، وقال عن معاوية إنه انتزى على الأمة بالسيف وجعل الخلافة ملكاً عضوضاً واستأثر ببيت مال المسلمين وأحدث مفاسد، وأنه خرج على علي بهدف سياسي بحت وليس المطالبة بدم عثمان ولا غيره، وأنه من أبرز النواصب في الشام، وقد لعنه ابن عباس وكان يلعنه أيضاً كثير من المهاجرين السابقين والأنصار وذهب إلى جواز لعنه من العلماء المتأخرين محمد بن عقيل في كتابه (النصائح الكافية).

وقال عن أبي سفيان شكك العلماء في إسلامه، وقال إن أبا هريرة يروي عن كعب الأحبار بعض الإسرائيليات فيرويها الناس عنه ظناً منهم أنها أحاديث عن النبي ﷺ، وقال عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً إنه يهم وينسى في التحديث، وكذلك قال عن عبد الله بن عمرو أنه ظفر بزاملتين يوم اليرموك فهو يحدث منهما فيظن الناس أنه يحدث عن الرسول ﷺ، وقال بأن عبد الله بن الزبير يقاتل من أجل الملك، وقال عبد الله بن عمر يهم وينسى في الحديث.

وقال الذين أسلموا بعد الفتح ليسوا صحابة وهم أصحاب أطماع مادية، وقوله عمرو بن العاص وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة ومن أسلم بعدهم ليسوا من الصحابة، هذا بعض ما قاله إلى غير ذلك من تعمده ذم الصحابة وإنكار فضلهم وإسقاط عدالتهم.

ويتضح لك من ذلك أنك لا تراه مع أهل البدع والضلال إلا موالياً مناصراً مدافعاً عنهم بالباطل وينفي ما نقله العلماء عنهم أنه حق بدعوى أنه اتهام

من خصومهم، وإذا جاء الحديث عن أهل السنة وعلمائهم تنصل من نصرهم وحاول التشكيك في علومهم واجتهاداتهم، وذمهم بما هو شرف لهم.

ثانياً:

سعيه الحثيث والدائم على تشويه حقائق التاريخ والتشكيك بها، رغم أنه لم يأت إلى الآن بما يصلح أن يكون نقداً علمياً موثقاً ومعتبراً عند أهل التخصص سوى بعض كلامه على سيف بن عمر، إنما همه النيل من المؤرخين جميعاً، ووصفه بأن التاريخ وضع ليخدم السلاطين، ولا يوجد عندنا من التواريخ ما يصلح لأن نعتمد عليه كحقائق فكلها تمثل وصفاً للصراعات السياسية والمذهبية فقط، والسلطة السياسية هي المسؤولة عن تشويه التاريخ زيادة إلى النزاعات المذهبية وضعف العقل وضعف التحليل، وأن الذي يقرأ كتب المتقدمين في التاريخ أو العلوم الشرعية بإحسان ظن مبالغ فيه فإنه سيكون ضحية للتشويهات والتحيزات التي فيها، واتهامه لجميع المؤرخين المعاصرين بالجهل وتشويه حقائق التاريخ وكتبهم أكثرها خلط وتحكيم للعقل وجمع للضعيف ولا يحسن أحد منهم على تحقيق إسناد واحد وهم أبعد الناس عن منهج أهل الحديث، وكثير منهم يستحلون الكذب والتحريف، وقد طمسوا الحقائق وبعضهم تلاعب بتاريخنا الإسلامي، إلى غير ذلك من التهم.

جميع ما ذكرته من الأقوال السابقة موجودة في كتبه (الصحابة بين الصحبة اللغوية والصحبة الشرعية) و (قراءة في كتب العقائد) و محاضرة صوتية هي (عدالة الصحابة) و مقابلة صوتية مسجلة مع قناة الجزيرة في يوم 22/4/1421هـ ومقالات متفرقة في جريدة الرياض طبعتها الجريدة بعنوان (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي).

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. كتب السنة المطهرة- صحيح مسلم، صحيح البخاري- فتح الباري- مسند أحمد...
3. ابن الأثي- الكامل في التاريخ- دار الكتاب العربي- بيروت- ط1403 /4هـ 1983 م.
4. رنولد- توماس- الدعوة إلى الإسلام- ترجمة حسن إبراهيم حسن وزميله- مكتبة النهضة المصرية 1970 م.
5. لفرد بل- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي- ترجمة عبد الرحمن بدوي- دار الغرب- بيروت ط 1981 /2 م.
6. بتلر- فتح العرب لمصر- ترجمة فريد أبو حديد دار الكتب المصرية.
7. برنارد لويس- تاريخ العرب Arabs in history London 1966 -
8. بروكلمان- كارل- تاريخ الشعوب الإسلامية- ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي- دار العلم للملايين- بيروت ط1968 /5م.
9. البلاذري- فتوح البلدان- دار الكتب العلمية- بيروت 1403 هـ 1983 / م.
10. ابن تيميه- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية- دار الكتاب العربي- مصر ط1969 /4م.
11. جب- هاملتون- التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى- دمشق- مهمل السنة.
12. جب- هاملتون- دراسات في حضارة الإسلام- ترجمة إحسان عباس وزملاؤه- دار العلم للملايين- بيروت ط 1979 /2 م.
13. جميل عبد الله المصري- أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية- مكتبة الدار بالمدينة ط 1410 /1 هـ 1989م.
14. جميل عبد الله المصري- الموالي - موقف الدولة الأموية منهم- دار أم القرى- عمان- الأردن ط 1/1408 هـ 1988 م.

15. جميل عبد الله المصري- تاريخ الدعوة الإسلامية- مكتبة الدار بالمدينة ط140 1/7 هـ 1987 م.
16. الجندي- أنور- الإسلام وحركة التاريخ- دار الكتاب المصري ط 1/1980م.
17. جولد تسيهر- أجناس- العقيدة والشريعة في الإسلام- ترجمة محمد يوسف موسى ورفاقه ط /2 دار الكتب بمصر 1378 هـ 1959 م.
18. حتي- فيليب- صانعو التاريخ العربي- ترجمة أنيس فريحه- دار الثقافة ط 1969/ 1 م.
19. حتي- فيليب- تاريخ العرب- مطول- دار الكشاف ط 1961 /3 م.
20. خوري - فيليب- تاريخ العرب- ترجمة محمد مبروك- القاهرة ط3/1953م.
21. الدينوري- الأخبار الطوال- تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة ط 1960 /1.
22. رورنتال- فرانز- علم التاريخ عند المسلمين- ترجمة صالح أحمد العلي- مؤسسة الرسالة ط 2/1403هـ 1983 م.
23. الريس- محمد ضياء الدين- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية- دار المعارف بمصر ط3/1969م.
24. زيدان- جورجي- تاريخ التمدن الإسلامي- مكتبة الحياة- بيروت- مغفل السنة.
25. ابن سعد- محمد بن سعد- الطبقات الكبرىَ- تحقيق ادواردسخاو، ويوسف هوروفيتش- دار التحرير- القاهرة 1388 هـ 1968م.
26. سورديل- دومنيك- الإسلام في القرون الوسطى- ترجمة علي المقلد- بيروت ط1983/ 1.
27. سيديو- ل. م. تاريخ العرب العام- تعريب عادل زعيتر- عيسى البابي الحلبي- مصر ط 1389 2/هـ 1969م.
28. الشافعي- الإمام محمد بن إدريس- الأم- الجزء الرابع ط1 الأميرية 1321 هـ.
29. ابن طباطبا- ابن الطقطقي- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية- بيروت 1385 هـ19 66م.

30. الطبريَ- محمد بن جرير- أبو جعفر- تاريخ- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- مصر ط 1971 / 2م.

31. الطماوي- سليمان- عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارية الحديثة- بيروت 1396 هـ.

32. ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- طبع ليدن- بريل- بغداد 1920 م.

33. أبو عبيد- الأموال- القاهرة 1353 هـ.

34. ابن عساكر- تاريخ دمشق- مخطوط- تصوير مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

35. فان فلوتن- السيادة العربية- ترجمة حسن إبراهيم حسن وزميله ط 2/1965 م.

36. فلهورن- يوليوس- تاريخ الدولة العربية- ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة- القاهرة 1968 م.

37. القلقشندي- صبح الأعشى في صناعة الإنشا- دار الثقافة والإرشاد المصرية- مطابع كونستانس 1383 هـ 1963 م.

38. كلود كاهين- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية- تعريب بدر الدين القاسم- دمشق ط 1/1972م.

39. ابن كثير- البداية والنهاية- دار الفكر العربي- دار النيل- الجيزة بمصر، مهمل السنة.

40. لاندو- روم- الإسلام والعرب- تعريب منير البعلبكي- دار العلم للملايين- بيروت ط 1/1962م.

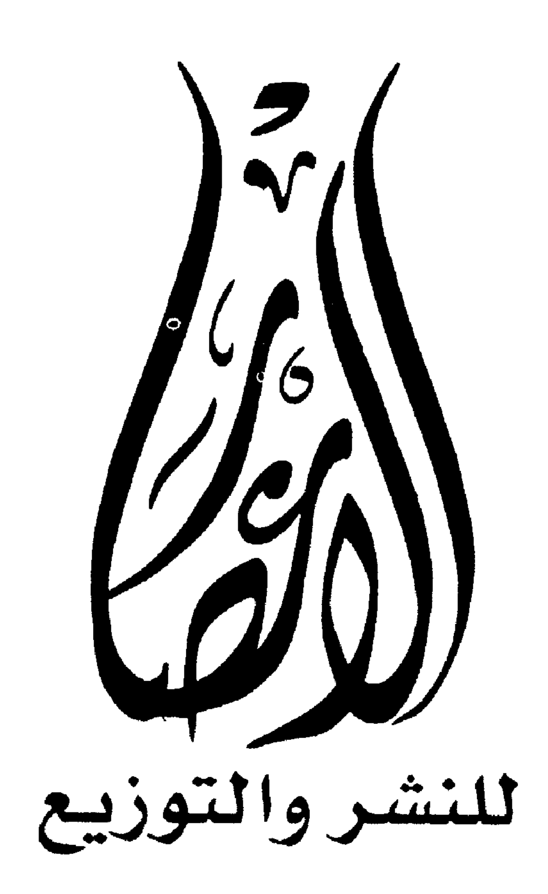
41. لوبون- غوستاف- حضارة العرب- تعريب عادل زعيتر- دار إحياء التراث العربي- بيروت ط 1389 /3 هـ 1979م.

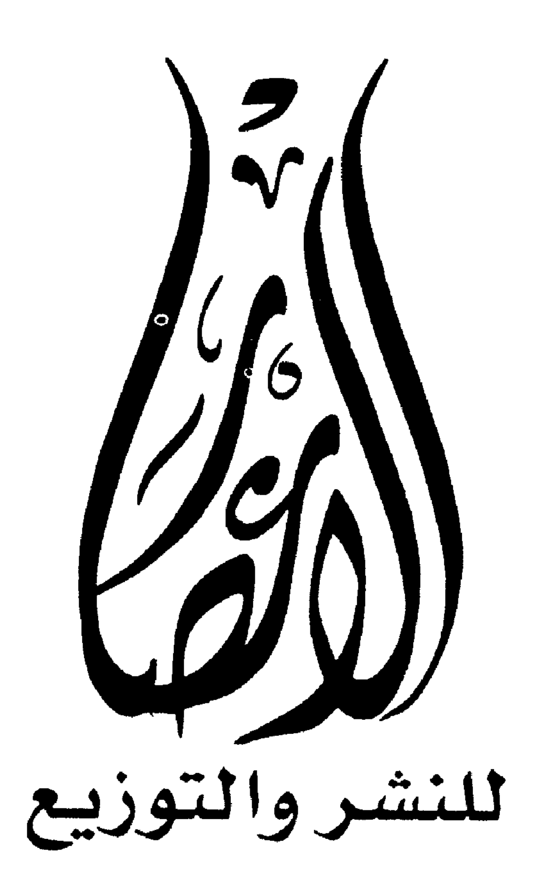
42. الماوردي - الأحكام السلطانية والولايات الدينية- المكتبة التوفيقية- القاهرة- مغفل السنة.

43. مجير الدين الحنبلي- الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل- النجف 1388هـ1968/م.

44. المقريزي- إمتاع الأسماع- تحقيق محمود محمد شاكر- القاهرة 1941 م.

45. المقريزي- المواعظ والاعتبار- خطط- طبعة جديدة بالأوفست.
46. نتنج- أنتوني- العرب- انتصاراتهم وأمجاد الإسلام- ترجمة راشد البراوي- الانجلو المصرية- القاهرة 1974م.
47. نورمان دانيال- الإسلام والغرب.
48. ابن هشام- السيرة النبوية- تحقيق السقا وزملاؤه- مهمل مكان الطبع والسنة.
49. الواقدي- المغازي- تحقيق مارسدن مونس- مطبعة جامعة اكسفورد 1966م.
50. وكيع محمد بن خلف بن حيان- أخبار القضاة- عالم الكتب- بيروت مهمل السنة.
51. ول ديورانت- قصة الحضارة- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة. 195م.
52. يحي بن آدم- الخراج- تحقيق أحمد محمد شاكر- المطبعة السلفية 1347 هـ.
53. اليعقوبي- تاريخ- دار صادر بيروت- بيروت 1960 م.
54. أبو يوسف- الخراج- المطبعة السلفية بمصر 1346هـ.


للنشر والتوزيع


للنشر والتوزيع

الفتوحات الإسلامية
في عهد الراشدين


Bibliotheca Alexandrina
15503922



الأردن - عمان - وسط البلد - ش. الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري
هاتف : 96264646208+ فاكس : 96264646470+

الأردن - عمان - مرج الحمام - شارع الكنيسة - مقابل كلية القدس
هاتف : 96265713906+ فاكس : 96265713907+
جوال : 00962-797896091

info@al-esar.com - www.al-esar.com

 دار الاعصار العلمي


9 789957 980306